نحن إذا أمام قطعة من تاريخ أصبهان لابن منده ، تبـدأ بأحمد بن محمد بن جعفر وتنتهي بأحمد بن إبراهيم بن أبان .

ولكن ما يلفت الانتباه حقاً أن هذه التراجم لرجال عاصروا المؤلف ، أو كانوا بمرتبة شيوخه أو شيوخ شيوخه أو قبلهم بقليل ولا يوجد فيهم من تجاوز القرن الرابع إلى ما قبله . فهل كان ذلك عن طريق المصادفة ؟

ولا يسعني إلا أن أقدم وافر امتناني إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني الذي هداني إلى معرفة هذه القطعة من تاريخ أصبهان ، وأرجو أن نعثر قريباً على مخطوطة هذا الكتاب كاملة .

سكينة الشهابي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جواب عن سؤال

الاستاذ عبد الاله نبهان

وجه الأستاذ عبد القادر زمامة سؤالاً إلى قراء مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق « المجلد ٤٦ / ج ٤ ص ٨٣٠ » يسأل فيه عن قائل هذين البيتين :

رأتْ قمرَ السماء فأذكرتني ليالي وَصْلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكن رأيتُ بعينها ورأتْ بعيني

وقد علق هذا السؤال في خاطري إلى أن وقعت على ما أظنه جواباً عنه ، وقد مر بي عرضاً أثناء تقلبي وتصفحي كتاب « طراز المجالس » لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المعروف بالشهاب الخفاجي (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ / ١٥٦٩ - ١٦٥٩ م) . والكتاب مطبوع بالمطبعة العامرة الشرقية بلا تاريخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الشهاب (ص ٢١٢) :

قرأت في ديوان الرئيس شرف الدين مُسْتَوْفي إربل قال : قلت بديهة في سنة أربع وستمائة :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

قال الشهاب :

اعتنى الناس بهذه القطعة حتى رأيت بعض الأدباء صنف في شرحها تأليفاً لطيفاً أتى فيها بما لم يخطر ببال قائلها فتدبر .

قلت : والشاعر المذكور هو المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللّخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي وهو مؤرخ أديب ناقد شاعر كان رئيساً جليلاً ولد بإربل سنة ٥٦٤ هـ/ - ١١٦٩ م ، وولي فيها استيفاء الديوان ثم الوزارة . ولما استولى عليها الصليبيون انتقل إلى الموصل وتوفي بها سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م . له كتاب تاريخ إربل وكتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ، وديوان شعر .

وانظر : الأعلام ١٤٩/٦ . معجم المؤلفين ١٧٠/٨ . بغية الوعاة : ٢٧٢/٢ . مرآة الجنان ٩٥/٤

حمص **عبد الاله نبهان**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتخاب زميل جديد : الدكتور احسان النص

عضواً عاملا في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الثانية عشرة من دورته المجمعية ١٩٧٨ - ١٩٧٩ (١٥ آذار ١٩٧٩) قد انتخب الأستاذ الدكتور احسان النص عضواً عاملا في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٨٥٤ والتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٧٩

رئيس الجمهورية ...

يرسم ما يلي

مادة ١ - يعين الأستاذ الدكتور احسان النص عضواً عاملا في مجمع اللغة العربية بدمشق .

مادة ٢ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه

التوقيع : رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استدراكات وتصويبات

نورد فيما يلي جملة من الاستدراكات والتصويبات والملاحظات على ما جاء في هذا المجلد والذي قبله :

(١)

بعث الينا الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي بالاستدراكات التالية :

أولاً :

كتب الأستاذ الأديب « م خ » (من أعضاء لجنة هذه المجلة ، هامشاً في صفحة ٨٥٧ من مقالتي « معروف الرصافي والاستقلال العربي » في الجزء الرابع من المجلد الثالث والحسين . فاستأذنه لكتابة ما يلي على سبيل الايضاح :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) قول الأستاذ المعلق ان نشيد « نحن خواضو غمار الموت » كان معروفاً قبل سنة ١٩١٨ صحيح ، وهو مطابق لما قلته انا في المقالة . اما دور النشيد الثاني الذي ذكره السيد المعلق ولم اذكره أنا ، فغير وارد في ديوان الرصافي (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩) ، والوارد هو فقط الدور الأول (ص ٥٥٣) تحت عنوان « النشيد الوطني » دون تحديد والرصافي أعزف مني ومن السيد المعلق بسبب اثبات الدور الأول واسقاط الدور الثاني .

(٢) قلتُ إن نشيدَ « نحن خواضو غمار الموت » هو ترجمة الرصافي لقصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت . والذي قال ان النشيد هو ترجمة للنشيد الوطني التركي هو قاسم الخطاط في كتابه عن الرصافي ،

لا أنا . لهذا فقول المعلق الفاضل إن (نحن خواضو غمار الحرب) يختلف في المعاني عن النشيد الوطني التركي لا يُعدُّ رداً على ما قلتُه أو تصحيحاً له .

(٣) نُشِر النشيد (نحن خواضو غمار الموت) مع لحنه بالرموز الموسيقية في مجموعة (الأناشيد المدرسية) في سنة ١٩٢٠ في حديقة القدس باسم خليل طوطح مدير دار المعلمين ومعروف الرصافي معلم اللغة العربية فيها . والغالب أن الألحان مع رموزها الموسيقية في هذه المجموعة كانت من وضع أو اصطناع زوجة خليل طوطح الامريكيه ، فقد كانت موسيقية ماهرة . ولكن المجموعة ليست بين أيدينا ، فلا يمكن التحقق من اللحن الموسيقي الذي نُشر فيها مع (نحن خواضو غمار الموت) ، فلهذا لا يمكن قبول قول الأستاذ المعلق إن اللحن الذي نُشر في تلك المجموعة يختلف عن لحن النشيد الوطني الفرنسي (المارسليز) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤) ولهذا السبب لا تَصِح تخطئة الأستاذ المعلق للمرحوم الأستاذ درويش المقدادي الذي انتقد لحن نشيد (نحن خواضو غمار الموت) بأنه مطابق أو مشابه لِلَّحْنِ النشيد الوطني الفرنسي . كنتُ أحد طلاب الأستاذ المقدادي عندما تحدّى السلطات البريطانية بإنشاء فرقة كشافة عربية مستقلة عن الكشافة الانكليزية بشاراتها وأناشيدها . واذكر أنه رفض اتخاذ نشيد (نحن خواضو الموت) لسبب واحد ، وهو ان اليهود قد يعدُّون مُنْشِديه من الفرنسيين . وكان الأستاذ المقدادي يعرف الفرنسية والانكليزية فلا شك أنه كان يعرف النشيد الوطني الفرنسي ولحنه . فإذا لم يَثْبُت خلاف ذلك بظهور نسخة من (الاناشيد المدرسية) فانه يصحّ الاستنتاج ان اللحن الذي نُشر في سنة ١٩٢٠ في القدس مع نشيد (نحن خواضو غمار

الموت . كان على الأقل شبيهاً بلحن النشيد الوطني الفرنسي .

ثانياً :

حاشيتان

الأولى : في سنة ١٩٤٤ سمع كامل الجادرجي من الرصافي حديثاً شرح فيه كيفية ذهابه إلى القدس ليكون معلماً في دار المعلمين فيها . ونشر هذا الحديث في سنة ١٩٥٤ في العدد الأول من مجلة الثقافة الجديدة (بغداد) . وكان الحديث يثبت أن الرصافي اعتمد على ما تذكره من حوادث جرت في ١٩١٩ – ١٩٢١ أي بعدما لا يقل عن ٤٥ سنة لا على شيء مكتوب .

الثانية : اشترك الرصافي وهو في القدس مع خليل طوطح مدير دار المعلمين في نشر كتيب عنوانه « الأناشيد المدرسية » مع الألحان الموسيقية بالرموز ، طبع في القدس في سنة ١٩٢٠ . ولم استطع الحصول على نسخة منه ، لكني أحفظ عن السيد جمال العلمي وعن السيد محمود العابدي (من طلاب دار المعلمين في سنة ١٩٢٢ – ١٩٢٣) بعض أبيات من نشيدها الذي نظمه الرصافي ولم يرد في ديوانه . والأبيات المروية دون التحقيق في نصّها أو وزنها ، هي :

دار المعلمين لا زلت مقراً للعلى
فإن داء الجهلا يشفيه مَنْ تخرجين

نحن نعز الوطنا ومن بـه قطنا
بالعلم ما دامت لنا دار المعلمين] اللازمة

داراً إذا فيها ثدى مَنْ كان ظمآن ارتوى
وعاد ريان القوى منْ منبع العلم المبين

ثالثاً :

إصلاح الخطأ في مقالة « معروف الرصافي والاستقلال العربي »

ص ٨٤٤ س ٩ ضع نقطتين على ةاء الولاية

ص ٨٤٦ س ١٦ احذف الفاصلة بعد كلمة سكوته

ص ٤٤٨ س ٢٢ احذف الكلمتين بعد « بالتركية » وضع (بيلنديرم)

ص ٤٥١ س ١٢ كلمة السِيْر غلط وصوابها السر وهو لقب انكليزي sir

ص ٤٥١ س ٢١ الهامش رقم (٢) الكلمة الانكليزية الأخيرة تحتاج إلى حرف في آخرها لتصبح

ص ٨٥٣ س ١١ تكرّمني خطأ وصوابها تكرُمني

ص ٨٥٨ س ١٠ إبراهام صوابها أبراهام

ص ٨٥٩ س ١١ الى هربرت صموئيل المعظم خطأ وصوابها : « الى هربر صموئيل المعظم » مع حذف التاء ووضع الاقتباس

ص ٨٦٣ س ٥ ضع كلمة « ملأ » في أول السطر قبل كلمة « رَدّ »

ص ٨٦٣ س ٩ تحذف التاء من « هربرت »

ص ٨٦٧ س ٧ يصحح الاسم هكذا : غرترود بيل

(٣)

تصويبات في مقال الأستاذ محمد يحيى زين الدين « حول ديوان عروة بن الورد » المنشور في الجزء (٤) المجلد (٥٣) الصفحات (٨٨٠ — ٨٩٩)

ص	س	الصواب
٨٨٠	٣	١٨٦٣
٨٨٤	١١،١٣،١٦،١٩	كراء
٨٨٤	١٢	كرا
٨٨٨	١٠	بليلة
٨٩٠	١٧	أجدهما
٨٩١	٩	يبقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨٩٢	٣	جاءه
٨٩٢	٦	مثقفٌ
٨٩٢	١٣	تدبُ
٨٩٣	٣	وبالحلس
٨٩٤	١١	بات تسري
٨٩٤	٢٢	مذلةٌ
٨٩٥	٧	الأدنين

(٣)

استدراك بعض الأسماء في قائمة أعضاء مجمع اللغة العربية المنشورة في المجلد (٥٤) الجزء (١) الصفحات (٢٨٧ – ٢٩٥)

تأسف لجنة المجلة للخطأ الذي وقع في قائمة أسماء الأعضاء ؛ فقد تجاوزت المطبعة اسم الزميلين الأستاذين : « الأستاذ محمود محمد شاكر » في قائمة أسماء الأعضاء المراسلين من القاهرة . « والأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح » في قائمة أسماء الأعضاء المراسلين من الجزائر .

وسنستدرك ذلك في قائمة العدد المقبل إن شاء الله .

(٤)

أخطاء مطبعية في هذا المجلد

ص	س	الخطأ	الصواب
٦٥٠	٦	المؤلين	المؤلفين
٦٥١	٥	خادمة	خاصة
٦٥٥	١٩	ألم	آلم
٦٦٤	١٩	الشاط	الشاطر
٦٦٤	٢١	الفشتالي	القشتالي
٩٠٨	١٠	استطعت	اسطعت

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ الآثار الكاملة لأدب ذي النون أيوب (المجلد الثالث)	وزارة الثقافة العراقية	بغداد ١٩٧٨
ـ ابراهيم صالح شكر (حياته وآثاره)	عبد الحميد الرشودي خالد اسماعيل جميل الجبوري	= ١٩٧٨
ـ ادمون صبري	فوزي كريم	= ١٩٧٩
ـ الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية في العراق	د. طارق شكر محمود	= ١٩٧٨
ـ الأيام الطويلة (١-٢)	عبد الأمير معله	= ١٩٧٨
ـ تاريخ المن بالامامة على المستضعفين	ابن أبي صاحب الصلاة تح : عبد الهادي التازي	= ١٩٧٩

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ جبال الثلاثاء (شعر)	مالك المطّلبي	بغداد ١٩٧٨
ـ الحصار (مجموعة قصص)	محمود جنداري	= ١٩٧٨
ـ حضارة العرب في الأندلس (الجزء الثالث)	خير الله طلفاح	= ١٩٧٧
ـ ديوان جاسم الجبوري	جمعه وحققه منذر الجبوري	= ١٩٧٤
ـ ديوان عبد المحسن الكاظمي (المجموعة الثالثة والرابعة)	جمع رباب الكاظم	= ١٩٧٨
ـ سلاماً أيها الفقراء (شعر)	جواد الحطّاب	= ١٩٧٨
ـ شرح الصولي لديوان أبي تمام (الجزء الثاني)	تح د. خالف رشيد نعمان	= ١٩٧٨
ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر	ابراهيم الوائلي	= ١٩٧٨
ـ شعر عمر بن لجأ التيمي	تح د. يحيى الجبوري	= ١٩٧٦
ـ الصفعة (قصص)	الياس فركوح	= ١٩٧٨
ـ الصقريات في العراق والوطن العربي	شفيق مهدي	= ١٩٧٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ عبد المحسن السعدوني	لطفي جعفر فرج	بغداد ١٩٧٨
ـ عروبة العلماء المنسوبين في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور وأذربيجان الى البلاد الاعجمية (الجزء الثالث)	د. ناجي معروف	= ١٩٧٨
ـ العمل العلمي ومؤسساته في البلاد المبتدئة	شيث نعمان	= ١٩٧٨
ـ الغناء في أقبية عميقة (شعر)	محمد الأسعد	= ١٩٧٤
ـ الفكر الاقتصادي في القرن العشرين	كلاوديو نابوليوني تعريب نعمان كنفاني	= ١٩٧٩
ـ القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية	خلف الهيتي	= ١٩٧٨
ـ كتاب الشعر	ياسين حافظ طراد الكبيسي	= ١٩٧٨
ـ لاعب الجودو والأحزمة الخمسة	علي بجمان	= ١٩٧٧
ـ ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة	أبو الوفاء محمد البوزجاني تح د. صالح العلي	= ١٩٧٩

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مرايا الاسئلة (شعر)	رعد عبد القادر	بغداد ١٩٧٨
ـ من الأدب البلغاري	يوردان يوفكوف ترجمة كال بطي	= ١٩٧٣
ـ من تاريخ الصحافة العراقية	خالد الراوي	= ١٩٧٨
ـ نحن (مجموعة شعرية)	صلاح نيازي	= ١٩٧٨
ـ نقد الشعر العربي الحديث في العراق من (١٩٢٠ - ١٩٥٨)	عباس توفيق	= ١٩٧٨
ـ يوميات السيد علي سعد (رواية)	د. عدنان رؤوف	= ١٩٧٩
ـ يونس السبعاوي	خيري العمري	= ١٩٧٨
ـ الابهاج في قصتي الاسراء والمعراج	عبد الله العلمي	بيروت ١٣٢٤ هـ
ـ تصنيف نهج البلاغة	لبيب وجيه بيضون	= ١٩٧٩
ـ العرب من هم وما قيل عنهم	عمر رضا كحالة	= ١٩٧٩
ـ المرأة في عالمي العرب والاسلام (الجزء الثاني)	عمر رضا كحالة	= ١٩٧٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ المرأة في القديم والحديث (١ – ٢)	عمر رضا كحالة	بيروت ١٩٧٩
ـ الوثائق العربية لعام (١٩٧٦)	الجامعة الأميركية	= ١٩٧٩
ـ أدب العلماء في القرن الرابع وبداية القرن الخامس (البيروني والخيام)	د. محمد سويسي	تونس ١٩٧٧
ـ كتاب أفعل	أبو علي القالي تح محمد الفاضل بن عاشور	= ١٩٧٢
ـ التراث ودوره في البناء الحضاري المعاصر	ملتقى يحيى بن عمر	= ١٩٧٨
ـ الحضارة الاسلامية بين أمسها الزاهر وغدها المأمول	البشير العريبي	= ١٩٦٩
ـ خطك رديء	عبد المجيد عطية	= ١٩٧٨
ـ ديوان خزنه دار (١ – ٢)	خزنه دار	= ١٩٧٢
ـ الصراع العقائدي في الفلسفة الاسلامية	ملتقى الامام المازري	= ١٩٧٨
ـ العرب أمام قضية فلسطين	الشاذلي القليبي	= ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور	ابراهيم الرقيق القيرواني اختيار علي المسعودي تح عبد الحفيظ منصور	تونس ١٩٧٦
ـ كتاب النمر والثعلب	سهل بن هرون تح عبد القادر المهيري	= ١٩٧٣
ـ تراجم الرجال	محمد الخضر حسين	دمشق ١٩٧٢
ـ البلاغة العربية في فنونها	د. محمد علي سلطاني	= ١٩٧٩
ـ بيان عن أهم المنجزات الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العربية السورية خلال عام ١٩٧٨	وزارة التخطيط	= ١٩٧٩
ـ تراجم الأعيان في أنباء أبناء الشيباني الموصلي من أهل الزمان في القدس الشريف ودمشق الشام	صلاح الدين الموصلي	= ١٩٧٩
ـ محاضرات في طرق تدريس اللغة العربية في المرحلتين الاعدادية والثانوية	نعيم الحمصي	= ١٩٧٩
ـ مع البلاغة العربية في تاريخها (القسم الأول)	د. محمد علي سلطاني	= ١٩٧٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ المورد الندي في المولد المحمدي	عبد الله العلمي الحسني	دمشق ١٣٥٠هـ
ـ الدليل على موضوعات نهج البلاغة	علي انصاريان	طهران ١٩٧٨
ـ التجديدات التربوية في الأردن من (١٩٧٦ ـ ١٩٧٩)	محمد علي الشامي د. حلمي فوده	عمان ١٩٧٩
ـ تطور التربية والتعليم في الأردن	وزارة التربية والتعليم	= ١٩٧٧
ـ رسائل أبي العلاء المعري (١ ـ ٣)	تح: د. عبد الكريم خليفة	= ١٩٧٨
ـ الإلماع على بيتي الرضاع	عبد الله العلمي الحسني	القاهرة ١٣١٧هـ
ـ البرق الوامض في شرح متن الفرائض	عبد الله العلمي	= ١٣١٨
ـ البصيرة على بيتي الجبيرة	عبد الله العلمي	= ١٣١٣هـ
ـ الحديقة في مولد خير الخليقة	عبد الله العلمي	= ١٣٢٣هـ
اربع منظومات	عبد الله العلمي	= ١٣١٧هـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
صبح الدجى في كتاب صور المحاسن الشبيهة بحروف الهجا	عبد الله العلمي	القاهرة ١٣٢٣هـ
مصادر الحديث عند الامامية	محمد حسين الجلالي	= ١٣٩٥هـ
ـ النفاق (صفة المنافق)	الفريابي تح : زهير برقاوي	= ١٩٧٩
ـ النوردجة في قصة المولد الأرجة	عبد الله العلمي	= ١٣٢٥هـ
ـ البيبلوجرافيا المختارة عن الكويت والخليج العربي	ثريا محمد قابيل	الكويت ١٩٧٠
ـ قاموس اسباني ـ عربي	ف كورينطي	مدريد ١٩٧٠
ـ قاموس عربي ـ اسباني	ف كورينطي	مدريد ١٩٧٠
ـ شعر عمرو بن شأس الأسدي	د. يحيى الجبوري	النجف ١٩٧٦
ـ فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة الامام الحكيم العامة (الجزء الثاني)	محمد مهدي نجف	= ١٣٩٩هـ
ـ قلائد الغيد	علي الحسيني الجزائري	١٣٩٩

ARCHIVE

الفهارس العامة للمجلد الرابع والخمسين

آ ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

(أ)

ـ أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها ٦٣٥

ـ أخبار يموت بن المزرع ٦٧٧

ـ اختلاف المؤرخين حول انتساب بعض القبائل اليمانية ٧٩٧

ـ استدراكات وتصويبات للمجلدين (٥٣ ـ ٥٤) ١٠٠٤

ـ الاستعراب السوفييتي ٩٣٦

ـ أسماء أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٨٧

ـ أهم مائة شخصية في تاريخ البشرية ١٦٠

(ب)

ـ بقايا الفصاح ٢٩٩، ٧٣٣

(ت)

ـ تأثير ابن رشد على مر العصور ٢٤

ـ تاريخ الخلفاء (لابن ماجه) ٣٩٥

ـ تاريخ مدينة دمشق ٤٨٣

ـ تخطئة الأوائل ٣٧١

ـ الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى ٦١١

ـ تعزيز بيـتي الحريري

(للصغاني) ٩٠٦

(ج)

ـ جواب عن سؤال ١٠٠١

ـ حول رحلة ابن طوير الجنة ٦٨٥

(د)

ـ الدنيا أزمان ٣

ـ الدين الإلهي الأكبري ٤٥٥

ـ ذكريات وآراء عن الأستاذ أحمد الصافي النجفي ١٤٦

(ر)

ـ رجال عروة بن الزبير ١٠٧

ـ رد على تصويب ٩٩٠

ـ رسائل نادرة ٣٥٨

(س)

ـ السيد الدكتور محمد يوسف ٥١٩

(ش)

ـ شعر الراعي النميري ٤٩٥

ـ شيوخ أبي الوليد ابن الأحمر ٦٦١

(ق)

ـ القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ٧٥٣

ـ قطعة من تاريخ أصبهان ٩٩٦

(ك)
- كتاب الأزهية في علم الحروف ١٨٥
- كتاب الاستشراق ٤٨٧
- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ١٩٣
- الكتب المهداة الى مجمع اللغة العربية خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٨ ٢٨٠
- الكتب المهداة خلال الربع الأول من عام ١٩٧٩ ٥٢٨
- الكتب المهداة خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٩ ٧٢٠
- الكتب المهداة خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٩ ١٠٠٩
- كثرة المصادر والأسماء ٥٣٩

(م)
- مجمعي افتقدناه (الدكتور أسعد الحكيم) ٦٩٤
- محمد اقبال فيلسوف الذات وشاعر العشق ٥٥٩
- مخطوطات يتيمة في دبلن(٣) ٥١٥
- مدخل إلى فنون القول عند العرب القدماء ٣١٩
- مرسوم انتخاب الزميل الدكتور احسان النص ١٠٠٣
- المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ ١٧٣
- من أروع الشعر (القصيدة الشقراطسية) ٨٦
- من أسرار الأبجدية العربية ٧٧
- موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة للدورة (٤٤) ٢٠٢
- موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة للدورة (٤٥) ٩٥٠

(ن)
- نحو معجم جديد ٨٢٤
- النحو والنحاة ٨٣٩
- ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ٢٢٩
- نشاط المسلمين البحري ٩٢٦
- نظرة تحليليـــة لمصادر العلاقات العربية الخزرية ٥٧٩
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٣٩) (٤٠)(٤١)(٤٢) ٨ ، ٣٠٣ ، ٥٤٢ ، ٧٣٧

(و)
- وفاة بعض أعضاء المجمع المراسلين (محمد جميل بيهم) ٢٣٣
- وفاة بعض أعضاء المجمع

المراسلين (عبد العزيز الميمني) ٢٣٦
— وقفة مع ديوان بشار بن برد ٤٥
« القسم الرابع

ب — فهرس الأعلام : كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(أ)
— ابراهيم صالح ١٩٣،٤٩٥،٦٧٧
— أبو القاسم سعد الله ٦٨٥
— أحمد خان ٩٠٦
— اسماعيل الأكوع ٧٩٧
(ح)
— حسني سبح ٨،٣٠٣،٥٤٣،٧٣٧
— حسين نصار ٨٢٤
(خ)
— خليل سمعان ٤٧٨
(س)
— سبيع الحاكمي ١٨٥
— سكينة الشهابي ١٠٧،٩٩٦
— شاكر الفحام ٤٥،٢٣٦
— شفيق جبري ٣،٢٩٩،٤٨٣،
٥٣٩،٧٣٣
— شكري فيصل ٢٢٩،٢٣٣
(ص)
— صبحي البصام ١٧٣
— صفاء خلوصي ١٦٠ ، ٥١٥
— صلاح الدين الزعبلاوي ٣٧١،٨٣٩
(ع)
— عبد الاله نبهان ١٠٠١
— عبد القادر زمامة ٦٦١
— عبد الكريم اليافي ٧٧ ، ٥٥٩
— عبد اللطيف الطيباوي ٦٣٥،٧٥٣
— عبد الله كنون ٨٦
— عبد المجيد عابدين ٣١٩
— عبد المنعم مختار أمين ٥٧٩
— عبد النبي اصطيف ٩٣٦
— عدنان الخطيب ٢٠٢،٦٩٤،٩٥٠
— عمر فروخ ١٦١
(ف)
— فيصل دبدوب ١٤٦
(م)
— محمد أحمد دهمان ٣٥٨
— محمود أحمد غازي ٤٥٥
— محمد حميد الله ٩٢٦
— محمد كامل عياد ٢٤
— محمد مطيع الحافظ ٣٩٥
— محمد شوقي أمين ٩٩٠
— مختار الدين أحمد ٥١٩

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والخمسين

الصفحة	المقالات	
٧٣٣	بقايا الفصاح	الأستاذ شفيق جبري
٧٣٧	نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٢) .	الدكتور حسني سبح
٧٥٣	القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام (١) .	الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي
٨٢٤	نحو معجم جديد	الدكتور حسين نصار
٨٣٩	النحو والنحاة	الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي
٨٩٧	اختلاف المؤرخين حول انتساب بعض القبائل اليمانية	الأستاذ إسماعيل الأكوع
٩٠٦	تعزيز بيتي الحريري (تصفاني) . .	الدكتور أحمد خان

النقد والتعريف

٩٢٦	نشاط المسلمين البحري	الأستاذ محمد حميد الله
٩٣٦	الاستعراب السوفييتي	الأستاذ عبد النبي اصطيف

آراء وأنباء

٩٥٠	موجز وقائع موتمر القاهرة في دورته (٤٥) .	الدكتور عدنان الخطيب
٩٩٠	رد على تصويب	الأستاذ محمد شوقي أمين
٩٩٦	قطعة من تاريخ أصفهان	الأستاذة سكينة الشهابي
١٠٠١	جواب عن سؤال	الأستاذ عبد الإله نبهان
١٠٠٣	مرسوم انتخاب الزميل الدكتور إحسان النص	
١٠٠٤	استدراكات وتصويبات	
١٠٠٩	الكتب المهداة لمجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٩	
١٠١٧	الفهارس العامة للمجلد الرابع والخمسين	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقايا الفصاح

« شفيق جبري »

تستفيض في لغة العامّة ألفاظ وتراكيب لا يخطر ببال واحد منّا أنها فصيحة وأنها استعملت في الحديث على نحـــو استعمالها في القديم ، من هذا القبيل قول العامّة : كأنه عَطَسَة ، أو ما يقرب من هذا القول ، أي كأنه جاء به شبهاً له في كل شيء ، خلقــه وعادته ومزاجه ونحو ذلك ، وفي اللغة : فلان عطسة فلان أي يشبه خَلْقاً وخُلقاً فالقولان متشابهان ، الا أن العامّة عدّت فعل عطس وهو لازم : عطس يعطِس ويعطُس عطساً وعطاساً أتته العطسة .

وقد يتفق في بعض الأحايين أن العامّية تستعمل لفظاً من الألفاظ فصيحاً ولكنه لم يرد على ألسنتها وروده في أصله وانمـــا تجوّزت بعض التجوز : اذا وقـــع قتال بين الناس ونشأت عنه ضوضاء وغير ذلك عبّرت العامّة عن هذا الأمر بقولها : حميت الطوشة ، فالطوش في اللغة خفّة العقل أفلا نجد أن الطوشة العامّية قريبة من لفظة الطوش الفصيحة فلا بدّ في القتال من شيء من خفّة العقل وما يشبهه ، وقد تفرح العامّة في بعض الأوقات بهـذه الطوشة فتدعو ربّها أن : « تحمى الطوشة لتلعب بالبرطوشة » ، وماذكرت هذا الاصطلاح الاخير الا للاشارة الى البرطوشة ، فلم أجد في اللغة هذه اللفظة ، وانما وجدت ماهو قريب منها في تركيبه ، ففي

اللغة : المبرطش الدلاّل أو الساعي بين البائع والمشتري وكان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطشاً . أو بالسين المهملة ، فالذي يهمنا من هذا كله أن كلمة البرطوشة العامية وان لم يكن لها أصل فصيح الا أن تركيبها قريب من المبرطش الفصيحة .

والغريب في بقايا الفصاح أننّا نمرّ بألفاظ نظنها في فاتحة الأمر أعجميةً ثم يتبيّن لنا بعد التدقيق أنها عربية فصيحة وان كنا لانجد تقارباً بين المعنيين الفصيح والعامي : يجلس أحدنا في مقهى من المقاهي فيشرب القهوة أو الشاي فاذا فرغ من الشرب وضع الكأس الى جنبه ، فيسمع من صوتاً من صاحب المقهى أو من أحد الخدمة : خذ البوش أو ارفع البوش أي خذ الكأس الفارغة أو الفنجان الفارغ ، ومن منّا يظن أن هذه اللفظة عربية فصيحة وان كان معناها العامي يختلف عن معناها الفصيح . فالبوش في اللغة لها معان كثيرة ، من جملتها : الجماعة المختلطة أو الكثرة من الناس وغير ذلك ، ولكني لم أجد لأحد هذه المعاني صلة بكلمة البوش المستعملة في المقاهي ، وكل ما نستطيع أن نقوله إن البوش الفصيحة لاصلة لها بالبوش العاميّة وقد توسّعت العامّة في معاني هذه اللفظة فاذا أقدم فلان على مشروع ولم ينجح فيه أو اذا أخفق في أمر من الأمور عبّرت العامة عن هذا كله بقولها شُغْلُهُ بوش .

ومن مثل هذا التصرف في المعاني التي تطلقها العامّة على بعض الألفاظ الفصيحة فتحوّل المعنى العامي دون أن يكون صلة بين المعنيين قولها : فلان طفش ، وهي تريد بذلك أنه ذهب على وجهه إمّا

أنّ يكون منقبض الصدر وإمّا أن يكون قد أخفق في بعض الأمور أو اذا أزعجه شيء فلا تسعه الأرض فيطفش ، أي يذهب على وجهه . ولكن ماذا نجد في اللغـــة ، إنّا نجد من معاني الطفش : القذر والنـكاح فما الذي يربط بين المعنيين ، المعنى الفصيح والمعنى العامي ؟ .

ولا يبعد عن مثل هذا التصرف استعمال العامّة لفعل حاص ولاص ، فاذا وقع رجل في حيرة من أمره أو مال الى حيلة وهو يفكر في شيء وأخذ يجيء ويذهب ولا يدري ماذا يفعل قالوا فيه : حاص ، لاص كأنه يريد أن يقدم على أمر فلا يقدر عليه ، والعامة تستعمل الفعلين دون حرف العطف ، وقد يستعملون فعل : لاص وحده أو حاص وحده وهم يريدون بذلك أنه حيران فلا يعلم ماذا يفعل ، وفي اللغة : حاص عنه يحيص عدل وحاد ولاص يليص حاد ، فما هو التقارب في هذين الاستعمالين بين المعنى العامي والمعنى الفصيح ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما تستعمل العامّة في بعض لغتها ألفاظاً فصيحة سواء أتقارب المعنيان الفصيح والعامي أم تباعدا ، فانها قـــد تستعمل تراكيب على سبيل المجاز ، فاذا أراد أحد الناس أن ينجو من رجل طويل اللسان يقع في الناس ويذمّهم قالوا له : اقطع لسانه أي أسكته بالإحسان اليه وفي اللغة : قطع لسانه أي أسكته باحسانه إليه ، فالقولان الفصيح والعامي متماثلان لا فرق بينهما ، فالعامّة كما استعملت هذا التركيب على حقيقته اقطع لسانه ، كذلك استعملته على وجه المجاز .

وقد تخترع العامّة في بعض الأحوال مجازاً فصيحاً لم يستعمل

في القديم ، من هذا الشكل قولها : فلان يلحقنا على الدَّعْسَة أي يتعقّبنا في كل أمرٍ من أمورنا ، يتعقّبنا في أخلاقنا وعاداتنا وطباعنا ليكشف عن كل عيب من عيوبنا اذا كان لنا عيب ، فالدعسة : شدّة الوطء والأثر والطعن ، أفلا نجد أن هذا المجاز العامي لا يخلو من طرافة .

ما أكثر ما نهتدى إليه من الطرائف في لغة العامة .

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر
واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٤٢ -

الدكتور حسني سبح

12547 Son ou bruit entotique ١٢٥٤٧ صَوتَ الأذن المتوسطة

وأرجع طنين الأذن ، وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة (١)

12548 son fondamental ١٢٥٤٨ صَوتٌ أساسي

وأرجع لَحنٌ أصيل

12556 son de sonorité pulmonaire mormale

١٢٥٥٦ صوت رنّانيّة الرئة النظامية

وأفضل الصَوت السَّوِي أو الطبيعي لوضوح الرئة أو وضاحتها، وكذلك صَوت الرئة وصَوت التنفس الطبيعي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

12557 son tympanique, retentissant, son de boite, v. tympanisme

١٢٥٥٧ صَوت طبلي ، رنّان، صَوت العلبة ، انظر طبلية

وأفضل صَوت طبلي ، داوٍ ، صَوت "علبة المقوّى، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

(١) الصفحة ٥٨٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة
(٢) (pulmonary sound, respiratory normal sound)
(٣) (handbox sound)

12558 Sonde, cathetr ١٢٥٥٨ مِسْبار ، مِحْجاج ، قَثاتير
وأرجح مِسْبار ، قِثْطار

12561 sonde pour le cathétérisme de la trompe d' Eustache ١٢٥٦١ مِسْبار لِقَثْترَة بُوق أُستاكيُوس
وارجح قِثْطار الأذن وقِثْطار أستاكيوس ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

12562 sonde à demeure ١٢٥٦٢ مِسْبار ثابت ، مُلْزِم
والصحيح قِثْطار ثَابِت أو مُسْتَقِر

12563 sonde duodénale ١٢٥٦٣ مِسْبار عَفَجي
وأفضل قِثْطار عَفَجي أو أنبوب العَفَج، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

12565 sonde explorative vésicale ١٢٥٦٥ مِسْبار لاستقصاء المَثانة
وأفضل قِثْطار لتَحرّي حَصَى المثانة ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

12566 sonde en gomme à béquilles
١٢٥٦٦ مِسْبار صَمْغي مُعكَّز
وأفضل قِثْطار صَمْغي مَعْقُوف (وهو المستعمل في
ضخامة البروستاتة) وكذلك قِثْطار مرسيه ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

---

(١) (ear catheter, eustachian catheter)

(٢) (duodenal tube)

(٣) (probe for detecting stone in the bladder, vesical probe)

(٤) (Mercier catheter)

12569 Sonore ١٢٥٦٩ طَنّان ، رَنّان

وأرجح رَنّان ومُصِيت ، مخصصاً الطَنين ترجمة لـ (tintement) كما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣٤٠٥)

12574 Souche microbienne ١٢٥٧٤ ذُرِيَّة جُرثُومية

وأرجح سُلالة جُرثومية

12576 Soude (benzoate de) ١٢٥٧٦ الصُّود (جاوات)

وأفضل الصود (بَنزُوات)

12577 soude (oléate) ١٢٥٧٧ الصُّود (زيتات)

وأفضل الصود (أوليات)

12583 Souffle funiculaire ١٢٥٨٣ نفخة سَرَرِيَّة

وسُرِّيَّة وهي الفضلى

12590 Souffrance V. tourment ١٢٥٩٠ عَذاب ، أنظر تألم ، غصَّة

وأرجح تألم

12591 souffrance fœtal , état de souffrance du fœtus (pendant le travail)

١٢٥٩١ عَذابٌ جنيني ، حَالة عَذاب الجنين أثناء (المخاض)

وأفضل تألم الجنين أو تأذيه

12593 Soufrage ١٢٥٩٣ كَبْرَتَة ، طَلْي بالكِبْريت ، رَشّ الكبريت

وأفضل كَبْرَتة ، التَعفير بالكبريت

12598 Soufrer ١٢٥٩٨ كَبْرَتَ ، رشّ بالكبريت

كَبْرت ، عَفَّر بالكبريت

12601 Soupape électrique ١٢٦٠١ دِسام كَهْرَباوي

وأفضل صِمام كهربائي

12602 soupape à mercure ١٢٦٠٢ دِسَام زِئْبَقي

وأفضل صِمام زئبقي

12603 soupape de retenue, clapet de retenue

١٢٦٠٣ دِسَام الحفظ والوقاية، مِصْراع الوقاية

وأرجح صِمام الضَّبْط ، دِسام الحجز أو الاحتجاز ، مُوقِف الضغط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

12604 Soupe au beurre, lait au roux

١٢٦٠٤ صُبَّة (حِساء) بالزُبدة ، وَلِيقة ، لَبَنٌ بالسَّمْن والدَّقيق

والحِساء بالزُبدة السَمراء أو القاتمة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية المعجم الأصلي (٢)

12611 Sourd, sourde (douleur)

١٢٦١١ عَميقٌ أو خَفي (ألم) مَضَض

وأرجح غامِض (ألم)

12613 sous - alimenté, ée

١٢٦١٣ قَليل التغذية ، خَمِص

12614 sous - alimentation

١٢٦١٤ قِلَّة الغِذاء ، نَقْص الغذاء ، خَمَص

وأفضل نَاقِص التَغذية في اللفظة الأولى ، ونَقْص الغِذاء او سُوء التَغْذية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٣) في الثانية . وليس للفظة خَمَص أن تفي بالمعنى (٤)

12615 sous - arachnoïdien, dienne

١٢٦١٥ تَحْ - عَنْكَبوتية ، تَحت العَنكبوتية

---

(١) (check valve, back pressure, retaining valve)

٢) (brown butter soup)

(٣) (subalimentation, underfeeding, malnutrition)

٤) في لسان العرب : الخَمْصان والخُمْصان الجائع الضامر البطن

12616 sous - clavier, ière, sous claviculaire

١٢٦١٦ تَحْ ـ تَرْقَوي ، تَحْتُ التَرْقوة

تَحْتَ العَنْكَبُوتية في اللفظة الاولى ، وتَحْت التَرقُوة في الثانية

12618 sous - cutiréaction, réaction sous - cutanée

١٢٦١٨ تَفاعُل تَحْ ـ جِلْدى ، ارْتِكاس ما تَحْت الجِلْد

ارتِكاس تَحْت الجلد

12619 Sous - dicrote ١٢٦١٩ نَبْضٌ مُزْدَوِج خَفيف

وأفضل دُون ثنائي التَثَلُّمْ (نَبْض)

12620 sous - épineux,euse infraspinal,ale

١٢٦٢٠ تحْ ـ شَوكي ، تَحتَ الشَوك

12621 sous - muqueux,euse ١٢٦٢١ تحْ ـ مُخاطي تَحتَ الغِشاء المُخاطي

وأفضل تَحْت الشَوك ودُون الشَوك في اللفظة الاولى ، وتَحْت المخاطي في الثانية

12623 sous - produits ١٢٦٢٣ مَحاصِيلٌ تَالِية

وأفضل مُنْتَجات ثَانَويَّة أو مُنْتَجات أخرى

12625 soustraire, priver ١٢٦٢٥ انْتَشَل ، طَرَح ، حَرَمَ

وأفضل طَرَحَ ، اسْتَبعاد ، حَرَمَ

12626 sous - vêtement ١٢٦٢٦ شِعارٌ

وأرجع اللِبَاس الداخِلي ، أو القميص ، خشية الالتباس بمعنى آخر

12628 sparadrap ١٢٦٢٨ مُشَمَّع

12629 sparadrap d' ichtyocolle ١٢٦٢٩ مُشَمَّع بِغِراء السَمَك

والصحيح لَزْقَة لاصِقة (adhesive plaster) في

اللفظة الاولى كما جاء في معجم بلاكستون[1] ولزقة لاصقة بالأكَيُوقول أو غِراء السَّمك في اللفظة الثانية. وسبق للجنة أن ترجمت (toile cirée) بالقماش المُشمّع (اللفظة ١٣٤٥٨). ولا يشترط في اللزقة أن تكون من القماش المشمع فحسب [2] واللفظة إيطالية الأصل

١٢٦٢٩ تَشَنُّج رُسْغ القَدَم ، تقلصات النهايات 12629 spasme carpopédal, contraction des extrémités

تَشَنُّج رُسْغ القَدم ، تقلص النهايات

12630 spasme fonctionnel, crampes fonctionnelles ou professionnelles dyskinésie, dyscinésie professionnelle

١٢٦٣٠ تَشَنُّج وَظيفي ، مُعوِّض وَظيفة أو مهنة ، فَقْد الحركات الاختيارية ، فقد الحركة المهني والصحيح ترجمة (dyskinésie) أو (dyscinésie) بعُسْر الحركة [3] شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٤٥١٠) فيقال عُسْر الحركة وعُسْر الحركة المهني .

هذا وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (convulsion) بتَشَنُّج وجاء في التعريف : إنقباض عَضَلي قَسْري شديد ، كما أنه أقر ترجمة (spasme) بتَقَلُّص

(١) لفظة (sparadrap) في معجم (Blakiston's Medical Dictionary)

(٢) لفظة (sparadrap) في Manuila, Dictionnaire Français de Médecine et de Biologie

(٣) الصفحة ٦٠٧ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

وجاء التعريف : إنقباض عضلي لا إرادي يحدث بغتة .
وأرى الصواب بأن تترجم (spasme) بتشنج و (convulsion) باختلاج [1]

12631 spasme intentionnel, convulsion (tonique) intentionnelle

١٢٦٣١ تشنج إختياري ، مقصود ، إختلاج إختياري
وأفضل تشنج قصدي، إختلاج (توتري) قصدي

12634 spsme saltatoire, convulsion saltatoire réflexe

١٢٦٣٤ تشنج وثبي ، إختلاج وثبي انعكاسي
تشنج الوثب أو القفز ، منعكس الاختلاج القفزي أو الاختلاج القفزي الانعكاسي ، والتشنج الرقصي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2]

12635 spasme de sanglot

١٢٦٣٥ تشنج شهاقي

(١) في قاموس الأطبا وناموس الألبا تأليف مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (من مصورات مجمعنا) : والشَنَج تقبُّض بالجلد وغيره ، وقد شَنِج كفرِحَ وتشنّج تقبض ، قال الاطباء والتشنج تقبض يعرض للعصب يمنعه من الانبساط الى ان قال : وعلامته ان يعرض بغتة .

الاختلاج حركة موضع من البدن ليس من عادته أن يتحرك حركة سريعة متواترة ثم تسكن سريعاً وربما أختلج ثم زال ثم عاد ، الى أن : قال وهو اذا دام انذر بالصَرْع والاقوة ونحوهما . وفي تقويم الأبدان في تدبير الانسان لابي علي يحيى بن عيسى بن جزلة المصري : (مطبوع في دمشق سنة ١٣٣٣هـ) الرَعشة والاختلاج انحطاط العُضو وارتفاعه وهي حركة معروفة .

(٢) (palmus, saltatory reflex spasm, dancing spasm)

وأفضل تَشَنُّج النَّحيب [1] . وسبق للجنة أن ترجمت (coqueluche) بسُعال ديكي وشُهاق (اللفظة ٣١١٩)

12636 spasme de torsion, névrose de torsion, dystonie lordotique progressive

١٢٦٣٦ تَشَنُّج الانْفِتال ، عُصاب الانْفِتال ضعف قوة بزخي مترق

والصحيح تَشَنُّج الانْثِنــاء أو الانعطاف ، عُصابُ الانْثِناء أو الانعطاف وسوء التَوتُّر القَعَسي المترقي . لأن ما يأتي به العليل من حَرَكة بجزعه هي انعطاف لا انفتال .

12641 Spasmophilie

١٢٦٤١ مَيْل لِلتَشَنُّج

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة المِزاج التَّقَلُّصي ، وجاء في التعريف : وفيه يحدث نزوع للنوبات التشنجية كانطباق الفكين وتقلص الحَنْجَرة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأفضل اسْتِشْناج أو ميل الى التَشَنُّج أو نزوح إليه .

12642 Spatial, le

١٢٦٤٢ فَراغِي

وأفضل فَضَائي ، حَيِّزِيّ ، لتخصيص فراغ ترجمة لـ (vacuum) شأن مافعلته اللجنة (اللفظة ١٤٠٤٢)

12647 Spécifité

١٢٦٤٧ نَوْعِيَّة

وخُصُوصِيَّة ، ولا سيا فيا يختص بأحــد الأدوية فقد يعنى ناجعاً

12648 Spécifique

١٢٦٤٨ نَوْعي

---

(١) في لسان العرب : النحب والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، النحيب البكاء بصوت طويل ومَدّ

وخاص ، وناجع (للدواء)

١٢٦٤٩ نَوْعي (غير) 12649 spécifique (non)

لانَوْعي وغير خاص

١٢٦٥١ خُصُوصِيات 12651 Spécifiques

وناجِعات

١٢٦٥٥ طَيْف الانْبِعاث 12655 Spectre d'émission

وأرجح طَيْف البَثّ أو الإرْسال

١٢٦٥٧ مِنْظاري ، في المِرْآة 12657 Spéculaire, en miroir

وأفضل مِنظاري ، بالمرآة (أي بواسطة المرآة)

١٢٦٦٣ نُطَيْفة ، حُجَيْرة مَنَوِية 12663 Spermatide

وأرجح أرومة مَنَوِية . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سَلَف الحيوان المنوي وجاء في التعريف : خلية متولدة من خلية نطفية ثانوية بالانشقاق وتنشأ منها النُطَيْفة ، كما أنه أقر نُطَيْفة ترجمة لـ (spermatogoid) كما سيأتي ، وجاء في التعريف : وهي الخلية المولدة لسَلَف النُطَيْفة

١٢٦٦٥ خَلِيَّة مَنَوِيَّة 12665 Spermatocyte

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خَلِيَّة نُطْفِية

١٢٦٦٦ تَكَوّن المَني 12666 Spermatogénèse, spermatogénie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الإنطاف ، وهي الفُضلى

١٢٦٦٧ خَلايا الحُيَيْوانات المَنَوِية 12667 Spermatogonies

وأرجح أرومة الحُيَيّ المَنَوي . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سَلَف خلايا النطفة ،وجاء في التعريف : وهي خلايا ذَكَرِية لم تتميز بعد

12668 Spermatozoïdes, spermatszoaires , gamètes mâles ١٢٦٦٨ حُيَيْمَنيّات ، حُيَيْوانات مَنَوية، - أعراس ذُكور

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : نُطَيْفة (حُيَيّ مَنَوي) ، وجاء في التعريف : خليــة ذَكرية نَسْلية نَضجة من نِتاج الخِصْية

وأرجح حُيَيٌّ مَنَوي

(2) corpuscule central proximal

(٢) جُسَيْم مَركَزي مُجاوِر

(3) corpuscule distal

(٣) جُسَيْم مُتطرِّف (بعيد عن الخط المتوسط)

وأفضل جُسَيْم مَركزي دانٍ ، في اللفظة الاولى وجُسَيْم قاصٍ في الثانية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

12671 Spermicide ١٢٦٧١ قَاتِل الحُيَيْمنيّات

وأفضل قَاتِل الحُيَيّات المَنَوية ومُضاد الحَمْــل المَوْضِعي

12672 Spermogénèse (périodes de la)

١٢٦٧٢ تَكوّن المَني (أدوار)

وأفضل الإنطاف (أطوار)

(1) période d'accroissement

(١) دَوْر النُّمو

(2) période de maturation on réduction

(٢) دَوْر النُّضُوج

(3) période de multiplication

(٣) دَوْر التَّكاثُر

وأفضل طورُ التزايُد في اللفظة الاولى ،وطور النُضج أو التناقُص في اللفظة الثانية ، وطورُ التكثُر في الثالثــة .

12674 Sphénoïde ١٢٦٧٤ وَتَـدِي .

وأفضل العَظم الوَتَدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [١]

12675 Sphères attractives, centrosomes ١٢٦٧٥ كُرات الجاذِبيّة جُسَيْمات مَرْكَزِيّة

وأفضل كُرات الجَذب أو الاجتذاب في اللفظة الاولى ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٢]

12676 Sphygmographe ١٢٦٧٦ مُسَجِّل النَبْض

وأرجع مِخطاط النَبْض

12677 Sphincter ١٢٦٧٧ صَارَّة

12678 sphincter du pylore ١٢٦٧٨ صَارَّة البوّاب

12679 sphincter de la vessie ١٢٦٧٩ صَارَّة المَثَانَة

وأفضل مُصِرَّة في اللفظة الأولى،ومُصِرَّة البُواب في الثانية، ومُصِرَّة المثانة في الثالثة . هذا وأقر مجمعُ اللغة العربية المعاصرة

12681 Spica ١٢٦٨١ سُنْبُلَة

(١) (sphenoid bone)
(٢) (attraction spheres)

وأفضل رباط سُنْبُلي أو متصالب، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

١٢٦٨٢ سُنَيْبِلَة 12682 Spicule

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شويكة، وهي الفضلى اذ المقصود من اللفظة أي شيء مؤنف [٢]

١٢٦٨٣ شَوْك مَشْقوق سِنْسِنَة مَشْقوقة 12983 Spina bifida

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الصُلْب المَفْلوح وجاء في التعريف : وفيه بتغيب الجزء الخَلْفي من الصُلْب . وأرجح الشَوْك المَشْقوق

١٢٦٨٥ شَوْكِي ، نُخاعي ، سِيسائي 15685 Spinal, ale, épineux,euse, médullaire, rachidien.

وصُلْبي [٣]

في ترجمة (spinal) كما أقرهـا مجمع اللغة العربية في القاهرة .

١٢٦٨٦ ذو خَلايا شَوْكِيَّة 12686 Spino - cellulaire

وخَلَوي شَوْكي ، خلايا مِغْزَلِية ، وخَلَوي مِغْزَلي كما جاء

---

(١) (spica bandage)

(٢) لفظة (Spicula) في معجم درلند الطبي

Dorland 's Illustrated Medicsl Dictionary

(٣) في لسان العرب : الصُلْب والصالب عظم من لَدُن الكاهل الى العَجْب، الى أن قال : والصُلْب من الظهر ، وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصُلب

في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

12688 Spiralé, lée, serpentin, ine ١٢٦٨٨ حَلَزُني ، مُحَلْزَن

وأفضل حَلَزوني وثُعْباني ومتعوّج ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12689 Spirille ١٢٦٨٩ حلَزُونيَّة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة حُلَيْزِن (حليزنات)

12690 Spirochète ١٢٦٩٠ مُلْتَوِية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : لَوْلَبي (لَوْلبيات)

وأفضل مُلتوية (مُلتويات)

12691 Spirochète de la fièvre recurente (Obermeier) ١٢٦٩١ مُلْتَوِية الحمّى الراجعة (أوبرماير)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَلَزُونيَّة الرَّاجعة وجاء في التعريف : وهي مِكْرُوب الحمّى الرَّاجعة . والصحيح : مُلْتَوِية الحمّى الراجعة ، وسَبَقَ للمجمع أن أقر حَلَزُونيَّة ترجمة لـ (spirille)

12693 Spirochétose ictéro-hémorragique, ictérogène, ictère ١٢٦٩٣ داء المُلْتَويات اليرقاني النزفي - المولّد لليرقان

(spinocellular, spindle-cell, spindle) (١)

(spiral, winding) (٢)

يرقان نَخَجي،داء وايل infectieux, maladie de Weil
وأفضل يَرقان إنتاني واليَرقان النَزْلي الوافد ،والحُمَّى
الصَفراء لِحَوْض البَحْر المُتَوَسِط ، واليَرقان الحَمَوي
الحاد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [1]

١٢٦٩٦ مَبْحَث الأحشاء والأحشائيّات — 12696 Splanchnologie

12697 Splanchnopleure, feuillet fibro - intestinal
١٢٦٩٧ جدارٌ معَويٌ ، وُرَيْقَة لِيفيَّة معَوية
وأفضل الغشاء المعوي ، الوُرَيقة اللِيفيَّة المعَوية

12701 Spondylite ankyolopoiétique
١٢٧٠١ ألتهابُ الفقَرات الجاسىء ، المُشَوِّه
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [2] ويضاف إلى ما ذكر
الفقار المِسْعَري ، كما جاء في الترجمه الانكليزية من المعجم
الأصلي [3]

١٢٧٠٣ عَفْوي ، اِختياري — 12703 Spontané, ée
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ذاتي وأفضل عفوي،تاركاً
إختياري ترجمة لـ (faculetatil) شأن ما فعلته اللجنة
(اللفظة ٥٥٢٥)

---

(١) (epidemic catarrhal jaundice, mediterranean)
(yellow- fever, accute febrile jaundice
(٢) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة
(٣) (poker spine)

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

١٢٧٠٤ مَرَضٌ فَرْدي ، لا وبائي — 12704 Sporadique

اللفظة صِفة قد تتعلق بالمَرَض أو بغَيْرِه ، وأرجح تَرْجمتها بشَتيت ،إفرادي . هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (sproradic cases) بحالات منتشرة ولا أراها ملائمة

١٢٧٠٥ مَبْزَرَة — 12705 Sporange

وأرجح ذو أبواغ أو ذَاتُ أبواغ [١] ، والحفظة حامِلة البُوغ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢] وكِيس البُوغ (معجم الألفاظ الزراعية)

١٢٧٠٧ مُوَلِّد البُزَيْرَات — 12707 Sporogène

وأفضل مُولِّد البُوغ أو مُبوِّغ

١٢٧٠٨ تَكاثُر بُزَيْري — 12708 Sporogonie

وأفضل التَكَثُّر البُوغي

١٢٧٠٩ داء الشَعْرِيّات المُبَرَّزة — 12709 Sporotrichose

دَاء الشَعْرِيّات البُوغية تفضيلاً

١٢٧١٢ تَبَزُّر — 12712 Sporulation

وأفضل تَبَوُّغ ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

١٢٧١٤ زَبَدي (مُزْبِد) — 12714 Spumeux

(١) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٢) (spore - bearing capsules)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخَفيف وتافِه ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

12715 Sputation ١٢٧١٥ بصَق ، بَزَق

والتَقَشُّع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12720 Squelette, charpente osseuse

١٢٧٢٠ صَمِيم ، هَيْكل عَظْمي

12721 squelette axial ١٢٧٢١ صَمِيم مِحْوَري

12722 squelette branchial ١٢٧٢٢ صَمِيم غَلْصَمي

وأرجح هَيْكل عظمي ، رَكيزة عَظْميَّة في اللفظة الأولى ، وهَيْكل مِحْوَري في الثانية وهيكل غَلْصَمي في الثالثة وللفظة صَمِيم معنى خاص [٣]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

12723 squelette extérieur (chez les invertébrés)

١٢٧٢٣ صَمِيمٌ خارجيّ (في اللافقريّات)

الهَيْكَل الخارجي والهَيْكَلَ الجِلْدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٤]

2724 squelette viscéral ١٢٧٢٤ صَمِيمٌ حَشَوِيّ

وأرجح الهَيْكل الحَشَوِيّ

للبحث صلة

---

(١) (spumous, frothy)

(٢) (expectoration, act of spitting out)

(٣) في لسان العرب : والصميم العظم الذي به قوام العضو كصميم الوظيف وصميم الرأس

(٤) (exoskeleton, dermoskeleton)

القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ★

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

- ١ -

تقع مدينة القدس الشريف على هضبة حصينة محاطة بوديان ، وعلى هذه الهضبة أقامت منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد قبائل سامية من أشهرها الآموريون . وجاء في نصوص هيرُوغليفيّة وُجدت في مصر العليا أن « يرُوشالم » كانت خاضعة للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وهذا الاسم ساميّ معناه « مدينـة السلام » أو مدينة شالم (وشالم هو اسم إله السلام عند الكنعانيين) . ووُجد هذا الاسم أيضاً في نقوش مصرية تُبيِّن منها أن أحد حُكّام المدينة كان يعبد أحد آلهة الحثيين . وعلاقـة المدينة بالآموريين والكنعانيين والحثيين في هذه الشواهد لها هذا الصدى في التوراة : « هكذا قال السيد الرب لأورشليم : مَخْرَجكِ ومولدك من أرض كنعان . أبوك أموري وأمك حثّيّة . »[1]

وفي أواخر القرن الثالث عشر قبل الميـلاد تَرَاخَى حكم الفراعنة على أرض كنعان ، فدخلت بعضَ أجزائها من الشرق قبائلُ من العبرانيين جاءت من الصحراء ، ونزلت من البحر في سواحلها الجنوبية أفواجٌ من الفلسطينيين عُرفت أرض كنعان فيما بعد باسمهم .

(★) كنا نتمنى أن ننشر هذا المقال في عدد واحد لولا أن طوله حال دون ذلك فجعلناه في عددين هذا العدد والعدد الذي يليه ان شاء الله .

(١) حزقيال : الاصحاح ١٦ ، العدد ٢ — ٣

ولكن مدينـــة أورشليم ظلّت بأيدي اليبوسيين حتى أخذها داود حوالي سنة ١٠١٠ قبل الميلاد ، وأسس فيها مملكة وراثية ، وفيها بنى ابنه سليمانُ الهيكل . لكن المملكة انقسمت بعده إلى مملكتين متحاربتين ، تعرّضتا لغزو البابليين والفلسطينيين والمصريين . وفي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد خرّب نبوخَذنَصّر ملك بابل المدينة والهيكل وسبى خيرة السكان ، وبعد تغلّب الفرس على البابليين سُمح لليهود بالعودة وبناء الهيكل في ظل حكمٍ فارسيّ دام حتى أزاله الاسكندر المقدوني .

وتعاقب خلفاء الاسكندر : البطالسة في مصر والسلوقيون في سورية ، على حكم اليهود ، وحاول السلوقيون فرْضَ المدنية اليونانية عليهم فثاروا وخلعوا النير اليوناني عن أعناقهم ، ولكن سرعان ما وقعوا تحت النير الروماني . وعيّن هيرودتس ملكاً على اليهود تحت الحكم الروماني . وكان أدُوميّاً (نصف عربي) لم يقبله كل اليهود ، لكنه أعاد بناء الهيكل لهم على طراز فخم ، وبعد موته أعاد الرومان الحكم المباشر ، وكان بِنْطُسْ بِلاَطُسْ حاكمَهم عندما ولد السيد المسيح ، وأهم حوادث القرن الأول بعد ميلاده : هَدْمُ مدينـــة أورشليم وحرق الهيكل في سنة ٧٠ على يد طيطُسْ ، وسحق ثورة يهودية ، وحرث مكان المدينة وإقامة مستعمرة رومانية باسم إيلْيّاء على أنقاضها ، وبناء معبد لِجُوبِيتِر على أنقاض الهيكل ، في سنة ١٣٤ على يد هَدْرِيان . وهو الذي حرّم دخول المدينة على اليهود ، فانسحبت بقاياهم للإقامة في منطقة الجليل ، وغلب اسم « فلسطين » على البلاد في العهد الروماني ، وعُرفت أورشليم بإيلياء .

ورأى الحواريّون في تلك الحوادث مصداقاً لنبوة السيد المسيح عن الهيكل والمدينة : « الحق أقول لكم إنه لا يُترك فيها حجر على حجر لا يُنقض »[٢] . « وستأتي أيام يحيط بك أعداؤك بمتراسة ، ويُحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك ونبيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر »[٣] . أما اليهود فلم يؤمنوا برسالة السيد المسيح ، واضطهدوا القليلين من بني جلدتهم الذين آمنوا به ، فصبر هؤلاء على الأذى ، وظلوا بعد سيّدهم يُحيون ذكراه في معالم المدينة ، وعملوا بما أمرهم من التبشير باسمه « لجميع الأمم مُبْتَدأ من أورشليم »[٤] . فتفرقوا في أقطار الامبراطورية الرومانية ، وتحملوا الاضطهاد إلى أن اعترفت الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) بالنصرانية في سنة ٣١٣ ، وجاء الفرج عندما اعتنقها الامبراطور قسطنطين وجعلها الدين الرسمي .

وكان لهذا الانقلاب أثر عظيم في مدينة إيلياء ، إذ تحولت بسرعة من مدينة وثنية إلى مدينة نصرانية ، وسهّل ذلك زوال آثار اليهودية منها قبل مئتي سنة ، فقامت فيها وفي بيت لحم الكنائس العظيمة ، مثل كنيسة القيامة وكنيسة المهد ، بأمر قسطنطين وأمه هيلانة . وبأمرها أزيلت جميع المعابد الوثنية التي أقيمت بعد خراب الهيكل ، واستمر هذا التحول إلى أن قرّر مؤتمر إفَسُسْ الكنسي في سنة ٤٣١ إقامة بطريرك للكنيسة الارثوذكسية في المدينة .

(٢) انجيل لوقا : الاصحاح ١٩ ، العدد ٤٣ – ٤٤
(٣) انجيل متّى : الاصحاح ٢٤ ، العدد ٣
(٤) إنجيل لوقا : الاصحاح ٢٤ . العدد ٤٧

ARCHIVE

ولكن هذا الكيان النصراني قد تزعزع في أوائل القرن السابع عندما غلب الفرسُ الرومَ البزنطيين ، واجتاحوا سورية وفلسطين ودخلوا إيلياء في سنة ٦١٤ . فرأى اليهود في منطقة الجليل بارقة أمل في استعادة ما فقدوا ، فتطوعوا لمساعدة الفرس ، واشتركوا معهم في ذبح النصارى وهدم الكنائس . ولما دارت الدائرة على الفرس بعد خمس عشرة سنة بانتصار هيرَاقْلِيُوس عليهم واستعادة إيلياء ، انتقم من اليهود انتقاماً قاسياً ، وجدَّد ما فرضه هادريان من تحريم دخول المدينة عليهم ، وهذه الحرب بين الفرس والبزنطيين لها ذكر في القرآن الكريم :

« الم . غُلبت الرومُ في أدْنى الأرض وهم مِنْ بعد غَلَبِهم سيَغْلبون في بضع سنين » (٥)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ٢ —

عرف العرب قبل الاسلام أدْنى الأرض « أي أقربها إلى الحجاز ، وهي جنوب سورية (فلسطين) » ، فقد جاء أن بعض القبائل العربية حاربت مع « الفلسطينيين » الذين هاجموا أورشليم في سنة ٨٥٠ قبل الميلاد ، وجاء أن بعض العرب اشتركوا في الدفاع عن غزة أمام اسكندر المقدوني . وأهم ما في ذلك أن قبيلة عربية أقامت بقرب إيلياء بعد أن أصبحت مقر بطريرك ، واعتنقت النصرانية وعلا شأنها حتى أصبح شيخها مطراناً .

وصلة عرب الحجاز التجارية مع اليمن جنوباً والشام شمالاً وُصِفت

---

(٥) سورة الروم : الآيات ١ ـ ٣

في القرآن الكريم بـ« رحلة الشتاء والصيف »[٦] . فرحلة الصيف كانت محطتها الكبرى في البطراء عاصمة الأنباط ، فمنهـا كانت القوافل التجارية تتجه إما إلى غزة أو إلى دمشق . والمشهور أن هاشماً من أجداد رسول الله ﷺ كان في قافـلة تجارية عندما توفي في غزة فعرفت باسمه « غزة هاشم » . ورسول الله ﷺ نفسه رافق وهو صبي عمّه أبا طالب في رحلة تجارية إلى دمشق[٧] . وعمرو بن العاص ، أحد تجار مكة ، عرف جنوب فلسطين حتى بيت المقدس قبل أن يعرفها قائداً للجيش الإسلامي الذي حاصر تلك المدينة . بناءً على هذا كله يستنتج أن الفتح الاسلامي لم يكن بدءاً للوجود العربي في فلسطين بل تأكيداً له . وقبيل الفتح رفع الله شأن بيت المقدس بإسراء رسول الله ﷺ اليها ، كما جاء في الآية الاولى من سورة الاسراء :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ... »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويجمل قصة الإسراء ، قبل أن يفصلها العلماء تفصيلاً في غاية الجمال والروعة ، ان جبريل حمل رسول الله على دابّة تسمى « البراق » ليلاً من مكة الى بيت المقدس ، فوجد هناك ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ، فصلّى بهم رسول الله ﷺ إماماً بقرب الصخرة المشرفة ، ثم عرّج مع جبريل من فوقها الى السماء الدنيا فالثانية إلى أن وصل الى السماء السابعة « وانتهى به (جبريل) الى مخاطبة ربه » .

(٦) سورة قريش : الآية الثانية .

(٧) السيرة النبوية لابن هشام (تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة ١٣٧٥/١٩٥٥) ج ١ ص ١٨٠

وأخيراً نزل الى الأرض وعادالى مكة قبل آخر الليل على ظهر البراق [٨] .

وقد زاد الله تعالى بيت المقدس شـرفاً بأن أنزل على رسوله وهو فيها ليلة الاسراء ، وقبلها صلى إماماً بمن سبقه من الانبياء ، آية من سورة الزخرف وهي «واسْأَلْ مـنْ أرسلنا من قَبْلكَ مِن رُسُلنا: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعْبدون »[٩] وهي الآية الوحيدة التي لم تنزل في مكة أو المدينة ، ونزولهـا في بيت المقدس زاد قصة الإسراء والمعراج جلالاً . فسواء كان ذلك بجسده (ﷺ) أم بروحه ، فرموزه عظيمة الاثر في تاريـخ الاسلام والعرب ، جعلت من بيت المقدس المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة في القداسة .

وبعد ذلك ساوى رسول الله ﷺ المسجد الاقصى بمسجدي مكة والمدينة ، فقد قال في حديث شريف رواه أبو هريرة بسند صحيح : « لا تُشَدُّ الرِّحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » . وورد هذا الحديث الشريف بنصّ آخر جاء فيه ترتيب المساجد هكذا : المسجد الحرام في مكة ، فالمسجد الأقصى في بيت المقدس فمسجد الرسول ﷺ في المدينة [١٠] . ومعنى

---

(٨) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ص ٣٩٦ وما يليهـا . في اوائل هذا القرن اثبت استاذ اللغـة العربية في جامعة مدريـد ، وكان راهبـا كاثوليكيا ، ان دانتي استمد كثيـرا من الصور والافكار مـن قصة الاسراء والمعراج وغيرهـا من الاصول الاسلامية .

(٩) تفسير الطبري (المطبعة الاميرية ببولاق ، ١٣٢٩) ج ٢٥ ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(١٠) صحيح البخاري (بولاق ، ١٢٩٦) ج ٢ ص ٥٢ ــ ٥٣ . ورد هذا الحديث ايضا في الترمذي (القاهرة ١٢٩٢) ج ١ ص ٦٧ ، وفي ابي داود (القاهرة ١٢٨٠) ج١ ص ٢٠٢ . زعـم بعضهم أن هـذا

http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسجد في اللغة مكان السجود ، ومعنى الاقصى الأبعد ، أي بالنسبة الى المسجد الحرام . فالمسجد الاقصى في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف هو مكان سجود رسول الله ﷺ بقرب الصخرة المشرفة في بيت المقدس عندما صلىّ إماماً بمن سبقه من الانبياء ليلة الإسراء ، وهذا ، لا ما خرّص المستشرقون ، هو تفسير اتخاذ بيت المقدس القبلة الاولى في الصلاة إلى أن نزل الوحي بتحويلها الى مكة .

- ٣ -

فاذاً عرف العرب « فلسطين » و « بيت المقدس » و « المسجد الاقصى » قبل الفتح الاسلامي^(١)^ ، وكتُب تاريخهم التي تفصّل هـذا الفتح تذكر فلسطين ، وهو الاسم^(٢)^ الذي اتخذه الرومان للقسم الجنوبي من سورية . وتذكر إيلياء عند الكلام عن الروم ، او بيت^(٣)^ المقدس عند الكلام عن المسلمين . ومنزلة بيت المقـدس في نفوس المسلمين الفاتحين ، ومنزلة المسجد الاقصى في تلك المدينـة ، تجلتا ، بعد الذي نزل من القرآن وما جاء في الحديث ، في تحيّتهم المدينة ، عندما رأوها لأول مرة من مشارفها الجنوبية ، بالتهليل والتكبير ، وهذا هو أصل اسم « جبل المكبرّ » .

ولما اشتد حصار المسلمين المدينة ، ورغب البطريرك صفْرونيُوس

الحديث موضوع بحجـة ان « المسجد الاقصى » لم يكن موجودا في عهد الرسول . وهذا إغراق في المغالطـة والتجاهل ، فلا جـدال ان المسجد الاقصى المعروف الآن بناه عبد الملك بن مروان بعد نحوستين سنة من وفاة الرسول . ولكنه ليس المقصود ، لا في الآية الكريمة ولا في الحديث الشريف ، بل المقصود كما بيّنا هو مكان سجود رسول الله ليلة الاسراء .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في التسليم ، اشترط ان يكون ذلك على يد الخليفة نفسه ، فقَبِل عمر ذلك ، بعد مشاورة الصحابة وامراء الجيوش ، وقد يبدو هذا الطلب غريباً ان لم يكن فريداً ، في تاريخ الحرب ، لكن قبوله يُعَدُّ برهاناً آخر على علوّ منزلة المدينة عند الخليفة وعند المسلمين . وعهده الذي أعطاه لاهلها مثال في التسامح واللين في عصر اشتهر بالتعصب والقسوة . وفي العهد شرطٌ خاصّ بمنع إقامة اليهود مع النصارى في المدينة . ولاشك ان هـذا الشرط كان بناءً على طلب البطريرك ، بعد الذي لاقاه اتباعـه أثناء الغزو الفارسي من شر اليهود . وهذا الشرط كان في الحقيقة تجديداً لما فرضه هادريان على اليهود ، وجدّد فَرْضَه هراقليوس قبـل بضع سنين من الفتـح الاسلامي . وهذا نص العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهـل ايلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ... أنه لاتُسْكن كنائسهم ولاتُهْدم ولايُنْتَقَص منها .. ولا من شيء من اموالهـم . ولايُكْرَهون على دينهم ، ولايُضَارُّ أحدٌ منهم . ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

« وعلى اهل ايلياء إعطاء الجزية كما يُعطي أهـل المدائن . وعليهم ان يُخرجوا منها الروم واللصوص . فمَنْ خـرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومَنْ اقام فهو آمن ، وعليه ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن أحبّ من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ... فانهم آمنون على انفسهم ... حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان فيها من اهل الارض ، فمَنْ شاء منهم قعد ، وعليه ما على اهـل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع

الروم . ومَنْ رجع الى اهله ، فإنه لايؤخذ منهم شيء [من الجزية] حتى يحصدوا حصادهم ...» [١١] .

هذه الوثيقة واضحة الدلالة لا تحتاج الى تفسير إلا عبارة « أهل الأرض » فمعناها « الفلاحون » الذين التجأوا الى المدينة قبل حصارها فكان لهم ان يبقوا أو ان يخرجوا مع الروم ، فاذا خرجوا ثم أرادوا الرجوع الى أهلهم كان لهم ذلك ، والباقون والراجعون سواء في دفع الجزية ، لكن لا تُجْبَى من الفلاحين إلا بعد الحصاد . وواضح ان الوثيقة تفرّق بين طائفتين من الناس : الروم واهل البـلاد . فالأولون حكام غرباء ُغلبوا على أمرهم فكان عليهم الخروج ، والآخرون ساميّون دانوا بالنصرانية ، وتكلموا في الغالب اللغة الآرامية ، فكان لهم البقاء مع ضمان الحرية الدينية وسلامة الارواح والاموال والكنائس . وأهمّ استنتاج من نص الوثيقة أن المدينة كانت خالية من اليهود . ومع ذلك اشتُرط عدم السماح لهم بسكناها مع النصاري . والمدقق في الوثيقة يرى نواة الاستقلال الطائفي الملّي الذي قُدّر له أن يكون أساس سياسة التسامح الاسلامي مع « أهل الكتاب » الذين صالحوا المسلمين على دفع الجزية .

وقد كتبت الوثيقة بخط معاوية بن ابي سفيان ، بحضور خالد ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص . وبعد إعطاء عهد الأمان هذا أخذ عمر ومَنْ معه يبحثون عن مكان سجود رسول الله ﷺ ، فلمّا وجدوه ، مكان الهيكل القديم الذي ازاله الرومان وعلى انقاض

(١١) تاريخ الطبري (مطبوعة دي غويـه) ج ١ (القسم الخامس) ص ٢٤٠٥ — ٢٤٠٦ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

معبد جوبتر الذي ازاله النصاري ، نظّفوه والخليفة على رأسهم ، ثم أمر بـلالاً ، مؤذن رسول الله ﷺ ، أن يؤذّن للصلاة ، فصلّى المؤمنون وراء أميرهم في ذلك المكان . وعندها أمر عمر أن يقام عليه مسجدٌ تخليداً لذكرى إسراء رسول الله ﷺ . وقد ظل هذا المسجد قائماً الى ان تمّ بناء قبة الصخرة سنة ٧٢ للهجرة وبنـــاء المسجد الاقصى بعد ذلك بسنتين في خلافة عبد الملك بن مروان . (وهذا يبيّن غلط الاروبين في تسمية مسجد قبة الصخرة بجامع عمر) .

ومن الصحابة وامراء الجيوش وقراء القرآن ورواة الحديث الذين صلّوا وراء عمر في ذلك اليوم التاريخي ، بالاضافة الى هؤلاء الذين شهدوا إعطاء عهد الامان ، ابو عبيدة بن الجراح ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عباس ، وشداد بن أوس ، وأبو ذرّ الغفاري ، وأبو هريرة ، ومن النساء جهينة أمّ الدرداء (التي خطبها معاوية فرفضته وظلت تجالس العلماء وتواسي الفقراء نصف السنة في بيت المقدس ونصفها في دمشق) . وقد عين الخليفةُ أحد هؤلاء وهو عُبادة بن الصامت « قاضياً ومعلماً » في المدينة ، أي حاكماً في الامور الدنيوية ومرشداً في الامور الدينية .

وهكذا تأكدت منزلة بيت المقدس في تاريخ الاسلام ، وزادها تأكيداً كثرة مَنْ أمّها حالاً بعد الفتح من قرّاء القرآن ورواة الحديث وأهل الزهد ، رغبة في الحج اليها او لإقامة فيها . وأكّدها أيضاً معاوية بن أبي سفيان الذي آثر ان تُعلن خلافته فيها لا في عاصمته دمشق . لكن أهم ما أكّد تلك المنزلة هو مساواتها عملياً بمكة والمدينة عندما أقام عبد الملك بن مروان فيها قبة الصخرة والمسجد الأقصى على ساحة الحرم الشريف . وقد خمّن بعضهم ان اقامة المسجدين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان لسبب سياسي ، وهو صرف أهل الشام عن الحج الى مكة والاكتفاء بالحج الى بيت المقدس ، اثناء ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز على حكم بني أمية في دمشق الشام . قد يكون هـذا سبباً ثانوياً ، اما السبب الأولي فديني لا سياسي : فذكر المسجد الأقصى في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وإسراء رسول الله ﷺ إليه ، وتأسيس خليفته أول مسجد على ساحته يوم فتح المدينة ، كل ذلك يؤكد السبب الديني ويقلل من شأن السبب السياسي .

وآية ذلك انه نشأت حالاً بعد الفتح الاسلامي حركة قرّاء القرآن ورواة الحديث من الحجاز الى البلاد المفتوحة لأجل لقاء الثقات من الصحابة الذين خرجوا مع الجيوش ، كما نشأت حركة الحجاج من الاقطار المفتوحة الى مكة والمدينة ، وسرعان ما شملت الحركتان بيت المقدس فجعلتاها مركزاً من مراكز العلم ومزاراً للحجاج ، وتحقق بذلك نص الحديث الشريف الذي جعل المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدّ إليها الرحال . ولا يخفى ان الحج الى مكة فُرض على من كان قادراً على تحمل نفقته ومشقته ، لا على العاجز ، فهذا له ان يحج الى ما امكنه من المساجد الثلاثة أو ان يُمسك . ومن غرائب المؤرخين اهتمامهم بذكر حج الخلفاء والعلماء ، مع قلته إذا قيس عدده بحج عامة الناس . فهذا هو سبب ما في السطور التالية من ذكر الطائفة الأولى أكثر من الطائفة الثانية .

سبق أن معاوية بويع بالخلافـــة في بيت المقدس لا في عاصمته دمشق ، ومغزى تقديمه الأولى على الثانية واضح من الناحيتين الدينية والسياسية ، وسبق ايضاً بيان السبب الديني لا السياسي الذي جعل

عبد الملك بن مروان يُقيم قبة الصخرة والمسجد الاقصى . ويكفي بياناً لمكانة بيت المقدس عند غيرهما من بني أمية ذكر اثنين آخرين منهم . فسليمان بن عبد الملك بويع بالخلافة أيضاً في بيت المقدس، وكاد ينقل العاصمة من دمشق إليها ، فاكتفى ببنـــاء مدينة الرملة وجعلهـا عاصمة فلسطين ومقره معظم شهور السنة . أما عمر بن عبد العزيز فكان يذهب خاصة إلى بيت المقدس لمحاسبة عماله تحت قبة الصخرة المشرفة .

ولم يكن اهتمام بني العباس ببيت المقدس اقل من اهتمام بني أمية على بعدها من بغداد . فثلاثة من خلفائهم الأولين ذهبوا إليها خاصة للحج . جاء في حوادث سنة ١٤٠ للهجرة أن ابا جعفر المنصور خرج حاجاً فأحرم من الحيرة ، وبعد ان زار مكة فالمدينة توجه الى بيت المقدس ، وبعـــد اربع عشرة سنة ذهب خاصة الى بيت المقدس للحج . وجاء في حوادث سنة ١٦٣ للهجرة ان المهدي سار الى بيت المقدس حاجاً ، وكان معه ابنه المشهور هارون الرشيد . اما المأمون فقد اشتهرت زيارته لبيت المقدس بما تمّ في عهده من ترميم قبة الصخرة وضَرْب فلوس نُقش عليها اسم المدينة تخليداً لذلك(١٢).

ويُقال مثل ذلك عن غير هؤلاء من كثير من الخلفاء والسلاطين على مرّ العصور .

– ٤ –

لم تفقد البلاد المقدسة ولا المدينة المقدسة مكانتها عند النصارى ،

(١٢) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٢٩ ، ٣٧٢ و ج ٤ ص ٥٠٠ ، ١١٠٠.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم ينقطع ذهاب حجاجهم اليها ، بزوال حكم الروم البزنطيين وقيام حكم العرب المسلمين ، بل سهلته سياسة التسامح التي اتبعها الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب . ومن اشهر الحجّاج الذين ذهبوا من اوروبا لزيارة المدينة المقدسة بعد الفتح الاسلامي أسقف من بــلاد الغول (فرنسا) اسمه آرْكُلْفُوس ، زارها حوالي سنه ٦٧٠ ميلادية في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، واقام فيها تسعه أشهر . ومـع ان اهتمامه كان موجهاً الى الاماكن المقدسة عند النصارى فقط ، ففي مقدمة رحلته شيء مختصر عن سور المدينة وابراجه وابوابه ، وعن سوق تجارية كانت تقام فيها في الخريف ، ووصْفٌ لمسجد عمر بن الخطاب بأنه مربع الشكل بسيط البناء ويسع نحــو ثلاثة آلاف شخص .[١٣]

وقد سبق هذا الاسقف وتبعه حجاج من عامة النصارى ومن خاصتهم ، واستمرت افواجهم في عهد بني أمية ثم في عهد بني العباس . فلما كانت خلافة هارون الرشيد تأصّلت بينه وبين شارلمان صداقة ، فتبادلا الهدايا والسفراء ، واذن الرشيد بإقامة بيوت للحجاج ودير للرهبان تحت رعاية شارلمان في المدينة المقدسة . ولكن قصة إهداء الرشيد مفاتيح كنيسة القيامة الى صديقه تفتقر إلى سند تاريخي معتبر ، فلا ذكر لها ابداً في كتب التاريخ الاسلامي .

وكذلك لا يوجد سندٌ تاريخي يُثْبِت نَقْضَ ما جاء في العهد العمري لنصارى ايلياء بمنع إقامة اليهود فيها . كلا ولا بيّنةٌ تفسّر سبب إهمال العمل بهذا النص . والغالب ان الشرط لم يُلْغَ ، بل

(١٣) Palestine Pilgrim's Text Society, vol. III (London, 1897). P. 4 — 5.

http://archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

قلّ الالتفات اليه تدريجياً في جو التسامح العام، فربما بـدأ بعض اليهود يقتربون من المدينة لرؤية مكان الهيكل من على جبل الزيتون، كما كانوا يفعلون أثناء المنع الذي أمر به هادريان . او ربما احتال بعضهم فدخل المدينة خلسة وسكن فيها . ومهما كان الأمر فوجود بعضهم فيها قبل الاحتلال الصليبي وارد في بعض كتب المسلمين . ولكن هذه الكتب أخذت منذ القرن الثالث للهجرة تكثر من استعمال اسماء « فلسطين » و « بيت المقدس » و « القدس » ، وتُقلّل من استعمال ما أُطلق على البلاد أو على المدينة من الاسماء فيما سبق من الزمن .

ولا شك أنّ لتغيير الأسماء دلالته ، لكنه يصعب تقدير عدد سكان بيت المقدس في أي عصر من العصور الاسلامية . وأصعب من ذلك تخمين عدد كلٍّ من المسلمين والنصارى واليهود ، كل طائفة على حدة . وكتب المؤرخين والجغرافيين والرحالة التي تشير الى شيء من ذلك يناقض بعضها بعضاً ، وارقامها اشبه بالخيال او المجاز منها بالدقة والصدق ، كما سيظهر فيما يلي من هذا البحث . لكن لاشك ان كثرة سكان القدس كانت قبل الاحتلال الصليبي من المسلمين ثم النصارى مع عدد ضئيل جداً من اليهود ، وازدياد عدد المسلمين كان مطّرداً منذ الفتح . ومن اسبابه اولاً الجاذبية الدينية للمدينة وثانياً استمرار هجرة القبائل العربية الى سائر انحاء فلسطين، وخاصة مدينة القدس، الى ان ظهر العنصر العربي فيها على غيره . كتب ابن واضح اليعقوبي في اواخر القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) فقال : « أهل فلسطين أخلاط من العرب : من لَخْمٍ وجُذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة »[١٤] .

(١٤) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي (طبعة ليدن ، ١٨٦٠) ص ١١٧ .

كان يبدأ في الشمال ماراً بنابُلُس فالقدس الشريف فخليل الرحمن فالصحراء . أما الطريق الشرقي للحج الشامي الذي لم يذكره اليعقوبي لشهرته ، فكان أيضاً يبدأ في الشمال ماراً بدمشق فالبلاد الواقعة الى الشرق من نهر الاردن . ثم يلتقي الطريقان ، كما ذكر اليعقوبي مع طريق حجاج المغرب ومصر ، في تبوك قبل الاتجاه جنوباً الى الحجاز .

والاقتباس الثاني هو من كتاب لشمس الدين المقدسي ، الجغرافي الرحالة الفلسطيني الذي ولد في القدس ، وكتب في أواخر القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) . لكنه يميل الى المبالغة ويلتزم في كتابته السجع وتنميق الكلام ، ويُضمر كرهاً لحكم الفاطميين على مسقط رأسه ، مما دفعه الى ذمّها بعد أن كاد يفضّلها على مكة والمدينة . ذكر اولاً محاسنها فقال « منها المحشر واليها المنشر ، وانما فُضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي (ﷺ) ، ويوم القيامة يُزَفّان إليها فتحوي الفضل كله » . وبعد ان مدح اتقان ابنية المدينة ونظافة اسواقها وعفة أهلها قال « وفيها كل حاذق طبيب ، واليها (يميل) قلب كل لبيب ، ولا تخلو كل يوم من غريب » ، ثم ذكر « عيوبها » فقال : « قليلة العلماء ، كثيرة النصارى » الفقيه (فيها) مهجور ، والأديب غير مشهور ، لا مجلس نظر ولا تدريس ، قد غلب عليها النصارى واليهود ، وخلا المسجد من الجماعات والمجالس »[١٧] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٧) كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي. (طبعة ليدن ، ١٨٧٧) ، ص ١٦٥ — ١٦٧ . ذكر عن الخليل وجود ضيافة دائمة مع طباخ وخباز وخدام يقدمون العدس بالزيت لكل حاج او زائر من وقف تميم الداري (ص ١٧٢) .

في هذا الكلام مبالغة ظاهرة ، ومعظمه لا يثبت بعد التحقيق ، ونصوصه تدل على كُره مؤلف سني لحكم خليفة شيعي . فعندما كتب المقدسي هذا الكلام كانت القدس تحت حكم العزيز بالله الفاطمي ، وكانت الخطبة في المسجد الأقصى تقرأ باسمه بعد إذ كانت باسم الخليفة العباسي . وزيادة على ذلك عُرف العزيز بتقريب النصارى واليهود ، واستخدامهم في الوزارة والوظائف العليا ، فكره المسلمون ذلك ، واستهجنوا ان الخليفة تزوج من نصرانية وجعل أخاها بطريركا في القدس . ومع ذلك حاول العزيز اكتساب ولاء المسلمين في القدس ، فانشأ فيها بقرب الحرم الشريف « دار العلم » في كنيسة سانت حنّه (والدة مريم العذراء) ، لنشر الدعوة الفاطمية بواسطة الدعاة كدأب « دار العلم » الأصلية التي قامت في القاهرة . ولعل هذا يفسر قول المقدسي عن خلو المسجد الأقصى من مجالس الدرس والتدريس ، فهذه كانت حتى ذلك الوقت على مذهب أهل السنة ، فأوقفها الخليفة الفاطمي ، وأقام مكانها مجالس الدرس والتدريس على مذهبه في « دار العلم » .

أمـا المؤلف الثالث المراد ذكره فهو ناصر خُسْرو الرحالة الفارسي . وصل القدس في رمضان سنة ٤٣٨ للهجرة (آذار ١٠٤٧ للميلاد) وهذا ماكتبه عن الحج اليها : « وأهل الشام وما جاورها من البلاد يُسمون بيت المقدس ، القدسَ . ويذهب اليها في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من أهل تلك البلاد ، فيؤدون فرائض الحج ويضحُّون الأضاحي في يوم العيد كما لو كانوا في مكة . وفي بعض السنين يبلغ عددهم في ذي الحجة نحو عشرين ألفاً كبارهم وصغارهم .

وكذلك يأتي إلى المدينة من بلاد الروم وغيرها كثير من النصارى واليهود لزيارة الكنيسة (كَلِيسَ بالأصل الفارسي) والكنيس « كُنِشْت بالأصل الفارسي » .

والمقصود بالكنيسة هو كنيسة القيامة ، وقد زارها خسرو ووصفها ، اما المقصود بالكنيس فغير معروف ، اذ لم يقل خسرو عنها شيئاً ، وهو أول مسلم يذكرها ، ولعله سمع بها دون أن يراها اذا كانت موجودة حقيقة لا مجازاً ، فقد سبق انه لم يكن في القدس عند الفتح الاسلامي غير النصارى وكنائسهم ، ووجود اليهود فيها كان ممنوعاً قبل الفتح وأيضاً بعده بحسب العهد العمري . فاذا كان المسلمون قد تساهلوا بمرور الزمن فسمحوا لليهود بالاقامة في القدس ، فان الشريعة الاسلامية لا تجيز بناء كنيسة أو كنيس جديدة ، وتسمح فقط بتعمير الموجود أو توسيعه . والغالب ان اليهود استعملوا بيتاً من بيوت السكن كنيساً ، فلم يحتاجوا الى إذنٍ خاص ، وهذه خطة اتبعوها اثناء حكم المماليك ثم حكم الأتراك .

لكن خسرو يفسّر ما في كلام المقدسي من غموض عندما قال « فيها كل حاذق طبيب » ، فخسرو يذكر انه وجد في المدينة مستشفى (بيمارستان) حُبست عليه أوقات غنية ، صُرف ريْعها لدفع رواتب الأطباء، وسدّ نفقات العلاج والدواء، وصُرف ريع أوقافٍ أخرى في الخليل لإطعام الحجاج والزوار هناك كما المقدسي قبل نصف قرن . ويقول خسرو ان عدد سكان القدس كان عند زيارته لها عشرين

الفاً (١٨) ويلاحظ ان هذا العدد يساوي عدد الحجاج السنوي ، فهل كان هذا وذاك تخمينَ زائر أو رجماً بالغيب معناه الحقيقي في الحالتين كثرةٌ من الناس لايعلم عددهم الا الله .

ورابع المؤلفين ، أبو حامد الغزالي ، يمثلُ أوضح تمثيل ارتباط أداء فريضة الحج بطلب العلم ومكانة القدس والخليل في ذلك . كان الغزالي في سنة ٤٨٨ للهجرة (١٠٩٥ للميلاد) في أعلى منصب علمي ، وهو المدرّس الأول في أعلى معهد علمي وهو المدرسة النظامية في بغداد . وبعد أزْمة نفسية ترك المنصب زاهـداً في الدنيا وسافر الحج : « فاظهرتُ عزمَ الخروج الى مكة ، وانا أدبر في نفسي سفر الشام ... (وفي دمشق اعتكف بالجامع الأموي مدة) ثم رحلتُ منها الى بيت المقدس ، (وكنت) أدخل كل يوم (مسجد قبة) الصخرة وأغلق الباب على نفسي . ثم تحركت فيَّ داعية الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله عليه السلام ، بعـد الفراغ من زيارة الخليـل صلوات الله عليه ، فسرت الى الحجـاز (١٩) » .

وهذا الذي أجمله الغزالي فصّله غيره من الكتّاب ، فقالوا إنـه « جاور » في حرم بيت المقدس ، واقام في زاوية فوق باب الرحمة

---

(١٨) سفرنامه لناصر خسرو : طبعة الأصل الفارسي بعنايةالدكتور نادر وزير بور (طهران ، ١٩٧١) ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، والترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب (بيروت ١٩٧٠) ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٣

(١٩) المنقذ من الضلال (مطبوعة الشيخ محمد جابر . القاهرة . بلا تاريخ) ص ٤٧ ـ ٤٩

من أبواب الحرم ، كان جاور فيها قبله قدوته في الزهد والعلم ، الشيخ نصر المقدسي النابلسي ، وذكروا ان الغزالي « درّس » في المسجد الأقصى ، وأنه كتب مادة دروسه وسمّاها « الرسالة القدسية » ، قال في مقدمتها إنها كتبت في المسجد الأقصى [٢٠] وقد حقّق كاتب هذه السطور الرسالة القدسية وشرح غامضها وعلّق عليها وترجمها إلى اللغة الانكليزية ، ثم نشرها مع مقدمة بهذه اللغة المركز الاسلامي الثقافي في لندن [٢١] .

يستنتج مما سبق وجود أوقاف في القدس والخليل كان يصرف ريعها على الحجاج وطلاب العلم والضيوف ، وكذلك وجود بيوت وزوايا لإيواء القادمين للمجاورة أو المارين في طريقهم الى مكة أو العائدين منها ، وأيضاً وجود مستشفى واحد على الأقل في القدس لمنفعة المقيمين والقادمين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٥ -

« لم يُرَ في الاسلام مصيبة أعظم من ذلك » . هكذا وصف مؤرخ القدس وقاضيها سقوطها في أيدي الصليبيين في سنة ٤٩٢ للهجرة (١٠٩٩ للميلاد) ، عندما كانت كلمة المسلمين متفرقة أشد التفرق وقوتهم الحربية في غاية الضعف . وهذا ليس مكان بحث ما ارتكبه الصليبيون من الجرائم التي اتفق المؤرخون في الشرق والغرب على

(٢٠) فصّلنا ذلك وغيره في مقالة « الغزالي في دمشق والقدس » نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : العدد الاول من المجلد ٤١ ، ص ٩٩ — ١١١

(٢١) Al-Ghazali's Tract on Dogmatic Theology (London, 1965).

وصفها بالوحشية . قيل انهم كتبوا الى البابا بعد دخول المدينة يفتخرون أن خيولهم خاضت في دماء المسلمين الى الركب . فقد قتلوا المسلمين رجالاً ونساءً واطفالاً بلارحمة أو تمييز بين المحارب وغير المحارب . قال ابن الأثير : « لبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون المسلمين .. وقتلوا في المسجد الاقصى (غالباً يقصد الحرم الشريف مع المسجدين) ما يزيد على سبعين الفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف [٢٢] . . » وأعاد مجير الدين العليمي ذلك وأضاف اليه قوله : « حصروا المسلمين في الحرم الشريف ، وأعطوهم ثلاثة أيام للخروج من المدينة ، والمتأخرون يُقتلون . . » [٢٣]

وهكذا بالقتل والإجلاء أخلى الصليبيون مدينة القدس من المسلمين وسكنوا في بيوتهم ، وحولوا مسجد قبة الصخرة الى كنيسة ، وجعلوا المسجد الأقصى ثكنة لفرسانهم وأسفله اصطبلاً لخيولهم . اما سكان المدينة من نصارى الشرق فقد ابقاهم الصليبيون لكن جرّدوهم من السيادة الدينية بالغاء البطريركية الأرثوذكسية وإقامة اخرى لاتينية مكانها . وامـا من كان في المدينة من اليهود فقد جمعهم الصليبيون « في الكنيس وأحرقوها عليهم » [٢٤] .

---

(٢٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (طبعة ليدن ، ١٨٦٤) ج ١٠ ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٢٣) كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل مجير الدين العليمي (القاهرة ، ١٢٨٣) ص ٢٧٤ .

(٢٤) ذيل تاريخ دمشق لأبي يَعلَى حمزة القلانسي (بيروت ، ١٩٠٨) ، ص ١٣٧ : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٣ هـ) ، ج٥ ، ص ١٥٠ .

واسرع المستنفرون والمستنجدون من القدس الى كل ذي جاه من خليفة أوسطان ، فخطبوا في المساجد وبكوا وأبكوا ، لكن كما قال المؤرخ « وقع الخلاف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الفرنج من البلاد »(٢٥) وقال الابيوردي في تخاذل المسلمين قصيدة طويلة اختار منها ابن الأثير اثنين وعشرين بيتاً ، وفيما يلي ما اخترناه مما جاء في ابن الأثير .

مَزَجْنا دماءً بالدموع السَّواجِمِ ... فلم يبْقَ منّا عرْضَةٌ للمراجِمِ
وشرُّ سلاحُ المرء دمعٌ يُفيضه ... اذا الحرب شُبَّت نارُها بالصوارم
فَإيها بني الاسلام ان وراءكم ... وقائعَ يُلْحقن الذُّرا بالمناسم
أتَهْويمةً في ظلِّ أمنٍ وغِبْطَةٍ ... وعيشٍ كنُوّار الخميلة ناعم ؟
وإخوانكُم بالشام يُضْحي مَقيلُهم ... ظهورَ المَذاكي أو بطونَ القشاعم
تسومهمُ الرومُ الهوانَ وأنتم ... تجرّونَ ذيْلَ الخفْضِ فعْلَ المسالم
وتلكَ حروبٌ من يَغِبْ عن غِمارها ... لِيسْلَمَ يَقْرَعْ بعدهاسنَّ نادم
يكاد لهنَّ المُسْتَجِنُّ بطَيْبةٍ ... يُنادي بأعلى الصوتِ يا آل هاشم!
أتَرْضى صناديدُ الأعاريب بالأذى ... ويُغْفي على ذلٍّ كُماةُ الأعاجم(٢٦)

ومن نكد الدنيا على المسلمين من العرب والأعاجم أنهم تحملوا الأذى والذل نحو تسعين سنة الى أن خلّص صلاح الدين الأيوبي

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

---

(٢٥) تاريخ ابي الفداء (استانبول ، ١٢٨٦) ج٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢٦) تاريخ ابن الاثير ، ج١٠ ص ١٩٤ ــ ١٩٥ ، ومنها سبعة ابيات في النجوم الزاهرة ، ج٥ ص ١٥١ ــ ١٥٢ ، وثمانية ابيات في تاريخ ابي الفداء ، ج ٢ ص ٢٢٢ ، وستة عشر بيتا في الانس الجليل ص ٢٧٤ . وفيما يلي تفسير بعض الغريب :
الذُرى (او الذُرا) جمع ذِرْوة ، وهي الاعالي .

القدسَ من أيدي الصليبيين في يوم الذكرى السنوية لإسراء رسول الله اليها ، أي يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ للهجرة (الثاني من تشرين الأول سنة ١١٨٧ للميلاد) ، فلم ينتقم صلاح الدين من الصليبيين لما ارتكبوه من الجرائم الوحشية ، بل عفا ورحم وأعطاهم الامان لانفسهم واموالهم حتى يبلغوا مأمنهم في الساحل ، وفرض على الاشخاص فِدْيَة خفيفة أعفى منها الأرامل واليتامى والفقراء .

وبينما كان الفرنج يخرجون من المدينة أخذ جنود صلاح الدين يُعاونهم مَنْ عاد اليها من المسلمين وعلى رأسهم العلماء ، يزيلون آثار النجاسة من مسجدي الصخرة والأقصى ، فغسلوا وبخّروا ورشّوا بماء الورد . وفي أول يوم جمعة بعد الفتح صلّى المسلمون وصلاح الدين وجنده معهم في المسجد الاقصى ، وألقى ، بطلب من صلاح الدين ، قاضي دمشق محيي الدين بن محمد القرشي خطبة خاصة قبل الخطبة المعتادة ، جاء فيها على ذكر الإسراء والمعراج والقبلة الاولى والمساجد التي تشد اليها الرحال الى ان قال :

« إياكم عبادَ الله أن يَسْتَزِلَكم الشيطان ... فيَخيلُ لكم أن هذا النصر (كان) بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد ... لا والله ، ماالنصر إلا من عند الله ، فاحذروا عبادَ الله بعد ان شرّفكم الله بهذا الفتح الجليل ... أن تقترفوا كبيرة من مَنَاهيه ... والجهاد الجهاد! ... انصروا الله ينصركم ...

= المناسم جمع منسم (اي خف البعير) ، والمقصود بذلك العالي والواطـي .
التهويم هزّ الراس من النعاس : المقيد موضع القيلولة او النوم في الظهيـرة .
المذاكي (اي المذكيات مفردها المذكي وهي الخيول .
القشاعم (جمع قشعم ــ امّ قشعم هي العنع . والمقصود بذلك المصـائب .

خذُوا في حسْم الداء، وقطع شأفة الأعداء، وطهّروا الأرض من هذه الأنجاس التي اغضبت الله ورسوله ...»[٢٧]

وكان صلاح الدين أول مَنْ لبَّى نداء الجهاد . فدبّر شؤون المدينة قبل مغادرتها وأعاد لهـا صفتها الاسلامية العربية، وامر بتسليم بيوت من قتلوا أو أُخرجوا لورثتهم، وقوّاهم بإقطاع بعض أحياء المدينة لقبائل عربية . فأنزل بني حارث قرب القلعة، وبني مُرَّة في سوق الفخر (عُرف بخان الزيت فيما بعد)، وبني سعد في الحي الذي عُرف فيما بعد بالسعدية، وبني زيد بقرب باب الساهرة، وأمر بترميم المسجد الأقصى، وجاء اليه بالمنبر الذي « لم يُعمل في الاسلام مثله» من حلب حيث صُنع على مدى سنين بأمر نور الدين زَنكي خاصة باسم المسجد الأقصى (وهذا هو المنبر الذي حُرق في سنة ١٩٦٩ اثناء الاحتلال الاسرائيلي).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانشأ صلاح الدين في المدينة عـدداً من المعاهد منها رباط للصوفية ومستشفى (بيمارستان) للمرضى، قد يكون هو الذي رآه ناصر خسرو أو ماتركه الصليبيون، وقد يكون إنشاءً جديداً . وأنشأ صلاح الدين ايضاً المدرسة التي عرفت فيما بعد باسمه وفوّض إدارتها الى القاضي بهـاء الدين بن شداد، والغالب انها خلفت « دار العلم » الفاطمية التي أنشأها العزيز في كنيسة سانت حنّه (ام مريم العذراء) وقد أعاد الصليبيون بناءها[٢٨] . وأوقف صلاح الدين على هـذه

---

(٢٧) كتاب الأنس الجليل ص ٢٩٤ ــ ٢٩٨ (نص الخطبة كاملا) .
(٢٨) هذا ما يستنتج من رواية ابي الفداء في تاريخه (تحت سنة ٥٨٨ هـ)، ج ٣ ص ٨٧ .

المعاهد وغيرها الأوقاف لضمان نفقة إدارتها . ثم أمر بتعمير سور المدينة وحفر خندق حوله . وشرع مقبرة للمجاهدين بقرب باب الساهرة ، بالإضافة الى مقبرة مأمن الله (مابلا) التي دنسها الصليبيون ومقبرة باب الرحمة خارج سور الحرم الشريف من الشرق .

ولم يرحل نصارى الشرق من أهل القدس مع الصليبيين ، بل طلبوا من صلاح الدين ان يُبقيهم ففعل ، مع أن كثيراً منهم شايع الفرنج وساعدهم . ولما رحل بطريرك اللاتين مع الفرنج الذين رحلوا خلا الميدان لإعادة تأسيس البطريركية الارثوذكسية التي الغاها الصليبيون وقد تمّ ذلك برضى صلاح الدين ومساعدته .

وأما اليهود الذين لم يبق الصليبيون منهم حيّاً في المدينة ، فقد سمح صلاح الدين أن يقيم بعضهم في المدينة ، وفتح جميع بلاد مملكته للمضطهدين منهم ، فجاؤوا اليها يطلبون الأمن ويلاقون العدل ، كما شهد بذلك مؤرخهم الشهير [٢٩] . ولكن لايمكن معرفة عددهم في القدس أثناء حكم صلاح الدين أو بعده ، ويمكن تقديره على أساس ان الصليبيين بعد ان دخلوا القدس جمعوا كل اليهود في بناء واحد ثم حرقوه عليهم . فالعدد الممكن جمعه في بناء واحد من أبنية تلك الأيام يقدر بالعشرات وعلى الاكثر ببضع مئات . والغالب ان صلاح الدين لم يأذن بتجاوز هذا الحد ، حرصاً منه على إبقاء الأغلبية للمسلمين مع أقلية من نصارى الشرق وأقلية أصغر منها من اليهود .

(٢٩) Heinrich Graetz, History of the Jews (London, 1892), vol. III, P.475.

ويستحيل كما ذكر أعلاه تقدير عدد المسلمين او النصارى أو اليهود ، كل طائفة على حدة . فالرقم الذي ورد في رحلة ناصر خسرو قبل نصف قرن من الاحتلال الصليبي وهو عشرون الفاً كان لجميع السكان دون تقسيمه بين الطوائف المختلفة . وهذا الرقم لامعنى له إذا قيس بما قاله ابن الأثير من أن عدد قتلى المسلمين في الحرم الشريف وحده بلغ سبعين الفاً . فلا ناصر خسرو أحصى السكان ولا ابن الاثير أخذ عمن أحصى عدد القتلى ، وهما سيّان في اعتمادهما على التخمين ، وكل ما يمكن استنتاجه من كل منهما أن عدد السكان كان كثيراً وأن عدد القتلى كان عظيماً ، اما إحصاء هذا أو ذاك فعلمه عند الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٦ -

يؤخذ من رواية ابن الأثير ان الصليبيين قتلوا في الحرم الشريف عدداً من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد « ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف » . وهذه الرواية تبيّن ان هؤلاء كانوا من المجاورين بقرب الحرم الشريف للعبادة والدرس عملاً بسنة كانت متبعة منذ الفتح الاسلامي . وزادها مرور الزمن تأصيلاً وانتشاراً . ثم أكدها وسهّلها ما أنشأه صلاح الدين وخلفاؤه من الزوايا والرُّبُط والمدارس بقرب الحرم الشريف ، وما حبَسوه عليها من اوقاف أمّن رَيْعها ما احتاجه المجاورون من مأوى وطعام وكسوة .

ومجاورة أهل العلم والتقوى عند حرم بيت المقدس ضاهت مجاورتهم عند الحرمين الشريفين في مكة والمدينة . وجرت عادة

المجاورين التنقّل من حرم الى حرم رغبةً في اكتساب المزيد من البركة والعلم . وأخذ كثيرون منهم يأتون جماعات مع عائلاتهم وأقربائهم ويقيمون بجوار الحرم الذي اختاروا الإقامه بجواره . ومن هذه الجماعات طائفة هاجرت من المغرب وجاورت عند الحرم الشريف في بيت المقدس . بقرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم ، وفي أقرب مكان للمسجد الأقصى ، فعرُفت هذه الناحية بحيّ (حارة) المغاربة .

وكان المغاربة في هذا الحي عند الاحتلال الصليبي ، فقتـل بعضهم وأُجلي البعض الآخر . ثمّ عاد أبناء هؤلاء وأحفادهم الى المجاورة بعد الفتح الصلاحي . وبعد خمس سنوات منه خلف الملك الأفضل والده صلاح الدين على مُلك دمشق والقدس ، فأوقف في سنة ٥٨٩ للهجرة أرض حارة المغاربة عليهم ذكوراً وإناثاً « ليسكنوا في مساكنها وينتفعوا بمنافعها » ؛ وأنشأ لهم في الحارة نفسها مدرسة عرفت بالأفضلية . وحدود الحارة هذه كما وردت في الوقفية هي : من الجنوب سور المدينة ، ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدي الى الحرم الشريف ، ومن الغرب حارة الشرف حيث سكن الحكام والقضاة والوجهاء .

يظهر من نص الوقفية ان صحيفتها الأصلية قد ضاعت ، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضي الشرعي « بكتاب متصل الثبوت بحكم الشريعة » . وقد تمّ ذلك مرتين الاولى في سنة ٦٦٦ للهجرة (١٢٦٧ للميلاد) بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والثانية في سنة ١٠٠٤ للهجرة (١٥٩٥ م) بعد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني [٣٠] .

وبعد موت الأفضل بنحو قرن أي في سنة ٧٠٣ للهجرة (١٣٠٣ للميلاد) أوقف عمر بن عبد الله بن عبد النبي المَصْمودي المجرّد ، أحد علماء المغاربة وأثريائهم ، زاوية في حيّهم لمنفعة مجاوري المغاربة [٣١] وفي سنة ٧٢٠ للهجرة (١٣١٦ للميلاد) أوقف شُعَيْب ابن محمد بن شعيب المعروف بأبي مَدْيَن ، وكان ايضاً من علماء المغاربة وأثريائهم ، زاوية أخرى في حيّ المغاربة ، وأوقف عليها وعلى القادمين من المغرب الى القدس الشريف رَيْع قرية عين كارم . وقد اشتهر أبو مدين شهرة طمست اسم الملك الافضل واسم المصمودي المجرّد ، فصارت أوقاف حيّ المغاربة كلها تعرف بوقف أبي مدين [٣٢]

يُعرف الحد الشرقي لهذه الاوقاف بحائط البراق ، لان البراق الذي حمل رسول الله ﷺ من مكة الى بيت المقدس ليلة الإسراء ربطه جبريل هناك . وجزء صغير من هذا الحائط له مكانة دينية عند اليهود الذين يعتقدون ان المداميك الستة السفلى منه هي بقية سور الهيكل

(٣٠) المحكمة الشرعية بالقدس الشريف : سجل رقم ٧٧ صفحة ٥٨٨ . وقد نشرنا النص الكامل ملحقا ثانيا في كتابنا :
The Islamic Pious Foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London, 1978), p. 59
والمرجو تصحيح خطأ مطبعي في السطر الرابع من النص العربي، فالتاريخ الصحيح هو « شعبان سنة الف واربع » ــ لا اربعمئة !

(٣١) الانس الجليل ، ص ٣٩٧ ، ٥٨٠ (دفن المجرد في مقبرة مامن الله) .

(٣٢) نشرنا نص وقفية ابي مدين في الملحق الاول ص ٥٥ ــ ٥٧ من كتابنا المذكور (هامش ٣٠ اعلاه) .

الذي دمّره الرومان سنة ٧٠ للميلاد . ولما أقاموا على أنقاض أورشليم مدينة رومانية جديدة باسم ايلياء منعوا اليهود من دخولها ، وجدّد أمر المنع الامبراطور هيراقليوس قبيل الفتح الاسلامي . وعليه لم يجد المسلمون الفاتحون في إيلياء أحداً من اليهود ، بل ورد في عهد الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهلهـــا من النصارى منع اليهود من الإقامة فيها .

ولا ذكر لاهمية حائط البراق عنـد اليهود في كتب التاريخ الإسلامي . فاذا كان تسامح المسلمين قد مكّن بعض أتقياء اليهود رغم المنع الشرعي من الاقامة في المدينة ، فانه لا يستبعد إن هم زاروا الحائط خلسة للبكاء على أطلال مجدهم الغابر ، ولكن هـــذه الزيارة لم تذكرها المصادر العربية على مرّ العصور ، ولا شيء في هذه المصادر عن « مبكى اليهود » أو « حائط المبكى » أو « الحائط الغربي » ، فهـــذه أسماء ظهرت في القرن التاسع عشر في كتب الرحّالة الأوروبيين ، إما نقلاً عن اليهود أو بناء على المشاهدة .

ونظرة أخرى الى البيّنات تبيّن ان ناصر خسرو ، الرحالة الفارسي الذي زار القدس قبل الاحتلال الصليبي بنحو خمسين سنة ، لم يذكر المبكى ولا بكاء اليهود عند حائطه . وكذلك الغزالي الذي أقام بزاوية داخل الحرم الشريف قبل الاحتلال الصليبي بنحو أربع سنوات لم يذكر من ذلك شيئاً . ولا علم لنا أن غيرهما من الرحالة غير المسلمين قد ذكر شيئاً من ذلك . فهذا الراهب الألماني فِلِكْس فابْري الذي زار القدس في سنة ١٤٨٤ في أواخر عهد المماليـــك

وكتب رحلة مفصلة في أربعة مجلدات لم يُشر فيها الى « الحائط الغربي » أو بكاء اليهود عنده . ومع أنه كان كاثوليكياً متعصباً كره نصارى الشرق كرهه لليهود والمسلمين ، فقد نسي تعصبه عندما زار بلدة الخليل ، فوجد فيها مستشفى للفقراء ، فأعاد ما قاله المقدسي وناصر خسرو من وجود مطبخ ومخبز لإطعام الفقراء والحجاج(٣٣).

لكن بعض الرحالة من يهود أوربا ذكروا « الحائط الغربي » ذكراً غامضاً . ومن أشهرهم الحاخام بنيامين ، أحد رعايا مملكة نافار الذي زار القدس حوالي سنة ١١٦٨ أثناء الحكم الصليبي . ولما كان دخول اليهود اليها حينئذ ممنوعاً ، فالغالب ان بنيامين دخلها متخفياً ، فمعظم ماكتبه ، وهو قليل جداً ، يشبه الحكاية عن الغير أكثر من كلام من رأى رأي العين . جاء في المقدمة العبرية انه وصف « ما رأى وروى ما سمع » . يقول إن سكان القدس كانوا من الفرنج ونصارى الشرق . وعدم ذكر المسلمين مفهوم ، فالصليبيون أفنوهم كما أفنوا اليهود ، لكن بنيامين يزعم انه وجد من اليهود فيها نحو مئتين بقرب القلعة عند مدبغة دفعوا عنها أجرة لملك الفرنج ، وخلافاً لعادته في ذكر أحوال من رأى من اليهود في المدن الأخرى وذكر أسماء وجهائهم ، فانه لم يقل إنه رأى احداً من يهود القدس أو كلّمه . وهذا يدعو الى الشك في صحة قوله . ويزيد هذا الشك قوة أن بنيامين كرر الخطأ بنسبة بناء قبة الصخرة الى عمر بن الخطاب ، والخطأ الثاني في الجملة نفسها هو قوله « ويوجد أمامها الحائط الغربي ، أحد حيطان الهيكل ، وهو يسمى باب الرحمة ،

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

(٣٣) Palestine Pilgrims ' Text Soiciety . vol . X (part 2), p. 417

وكل اليهود يذهبون اليـــه للصلاة ، أمام حائط ساحة الهيكل ، (أي ساحة الحرم الشريف) . أما موقـع باب الرحمة عند المسلمين فالى الشرق لا إلى الغرب من قبة الصخرة ، والادعاء بأن « كـل اليهود » يصلّون عند الحائط مستحيل تحت حكم الصليبيين عندما كان مسجد قبة الصخرة كنيسة . والمهم ان بنيامين لم يقل إنه هو زار الحائط الغربي أو صلّى عنده أو رأى غيره يُصلي هناك (٣٤) .

وبعد بنيامين بثلاثة قرون أي حوالي سنة ١٤٨٧ ، زار القدس أثناء حـكم المماليك حاخام آخـــر من ايطاليا اسمه عباديه جاري . ورحلته ايضاً تذكر « الحائط الغربي » ، ولكنه هـو أيضاً لم يقل إنه صلّى عنده او رأى غيره من اليهود يصلّي هناك ، مع أنه يذكر بوضوح أنه صلّى عند قبة راحيل في الطريق من بيت لحم الى القدس . ومما ذكره الحاخام جاري وجود كنيس لايدخلها النور الا من باب واحد ، ووجود جامع المسلمين ملاصق لها ، وروى ماقيل له من ان عدد سكان المدينة من جميع الطوائف بلغ أربعة آلاف عائلة منها سبعون عائلة يهودية في غاية الفقر (٣٥) . ولانتردد في رفض هـذا التقدير للسبب الذي جعلنا نرفض تقدير ناصر خسرو وتقدير ابن الأثير فيما سبق .

---

(٣٤) رحلة بنيامين : للرحالة الربّي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الاندلسي . ترجمها الى العربيـة عزرا حداد (بغداد ، ١٩٤٥) ص٩٩ — ١٠١ . عرّف هذا المترجم اليهودي الحائط الغربي بقوله « هو حائط البراق المعروف اليوم بحائط المبكى ، ويسميه اليهود الحائط الغربـي للهيكل الذي عمّره هيرودتس » . راجع كلام بنيامين في ترجمةانكليزية لرحلته في مجموعة عنوانها :
Early Travels in Palestine, edited by Thomas Wright (London, 1848), p. 83

(٣٥) راجع رحلة عبادية جاري في مجموعة عنوانها :
Jewish Travellers, edited by E.N. Adler (London, 1930), p. 234 — 235

بناء على هذا كله يمكن اعتبار كلام الحاخامين بنيامين وجاري عن « الحائط » الغربي وصلاة اليهود عنده من باب التمني لا من باب وصف الواقع . أما ماقاله الثاني من وجود كنيس ملاصق لجامع فثابت فيما كتبه مؤلف مسلم معاصر وهو مجير الدين العُلَيْمي مؤلف كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . ففي هذا الكتاب يرد ذكر الكنيس والجامع الملاصق له ، وكذلك وجود « حارة اليهود » الى الغرب من حارة المغاربة وحارة الشرف[٣٦] .

(٧)

خلف سلاطينُ المماليك الأيوبيين على حكم مصر وسورية ، وبدأ حكمهم بتخليص العالم الاسلامي من شرّ المغول ، إذْ كسروهم في معركة عين جالوت في شمال فلسطين سنة ١٢٦٠ ، وبعدها بثلاثين سنة أخرجوا الصليبيين من آخر حصن لهم في عكا . وكان للمماليك فضل على القدس الشريف ، فازدهر العلم فيها أثناء حكمهم ، وجاءها العلماء وطلاب العلم من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وسهّل ذلك ما أقامه السلاطين ونوابهم وعمالهم في المدينة من المدارس والرُبُط والزوايا والخانات (الفنادق) والسُبُل (لماء الشرب) والاسواق (التي اشتهر منها بصورة خاصة سوق القطانين بقرب الحرم الشريف) والحمامات ، وما أوقفوه على هذه المؤسسات من الاوقاف لينفق رِيعها على مَنْ ينتفع بمنافعها .

واهتم سلاطين المماليك اهتماماً خاصاً بالقدس الشريف ، وصيانة مسجديه وحرمه وترميم قبتي الصخرة والأقصى ، وأضافوا إلى سور

(٣٦) الانس الجليل ص ٤٠٢ ، ٦٣٣ — ٦٣٦

ساحة الحرم من الداخل أروقة جميلة في جهتي الشمال والغرب ، وكذلك انشأوا مآذن باسقة في الجهتين . وكانوا يحجون الى القدس . فهذا الملك الظاهر بيبرس (بطل معركة عين جالوت) زارها مرة في سنة ٦٦٠ للهجرة ومرة أخرى بعد ثلاث سنوات وزيارة الملك الناصر قلاوون وصف موكبها المؤرخ هكذا : « ثم بدا له زيارة القدس الشريف ، فنزل في يوم الخميس رابع جمادى الأولى من سنة سبع عشرة وسبعمائة وسار ومعه خمسون أميراً .. وكتب الى الامير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات (اي لوازم السفر كالخيام وغيرها) لزيارة القدس .. فتوجه الى القدس وزاره[٣٧] وزار المدينة حاجاً الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٠ للهجرة ، وبنى في ساحة الحرم الشريف بقرب باب السلسلة من الداخل المدرسة الاشرفية التي فاقت الصلاحية في جمال البناء وضاهتها بما رتب فيها من المدرسين والفقهاء .

وكان لسلاطين المماليك في القدس ثلاثة من الممثلين الرئيسيين : نائب السلطنة وشيخ الصلاحية وناظر الحرمين . اما الأول فكان الحاكم العام ، وأما الثاني فكان قاضي القضاة يعين برسوم سلطاني ليدير المدرسة الصلاحية التي كان فيها من المدرسين قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وأما الثالث فقد استحدث المماليك وظيفته للاشراف على حرم القدس وحرم الخليل وخدمة المساجد فيها والاهتمام بالحجاج اليها .

أما المدارس التي وجدت في القدس فقد أحصاها في سنة ٩٠٠

(٣٧) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

للهجرة قبيل انتهاء عهد المماليك ، مؤرخ المدينة وقاضيها مجير الدين العليمي ، فبلغ عددها مايزيد على الخمسين على رأسها المدرسة الصلاحية .
واشتهر من المدارس التي أسسها المماليك من بين كل المدارس اثنتان : أولاهما التنكزية التي انشأها الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٩ للهجرة عند باب السلسلة من الخارج ، وظلت عامرة حتى العهد العثماني ، فصارت مقرّ المحكمة الشرعية ، وفي عهد الانتداب البريطاني صارت منزلاً لرئيس المجلس الاسلامي الأعلى ، وثانيتهما الأشرفية التي ذكرت أعلاه ، وقد وصفها مجير الدين بانها الجوهرة الثالثة في ساحة الحرم الشريف بعد قبة الصخرة وقبة الأقصى ، وربما كان آخر من رآها في عزها وأقام فيها ، وقال قصيدة في مدحها ، المتصوف الرحالة عبد الغني النابلسي في سنة ١١٠١ للهجرة (١٦٨٩ للميلاد) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل ختام هذا الفصل عن القدس في عهد المماليك نذكر ثلاث مسائل متعلقة بما سبق من البحث زيادة في الإحاطة والوضوح .
وأولها الحج الى القدس مقروناً بالحج الى مكة أو بدلاً منه ، فقد انتشر ذلك وتأصل حتى صار زائر القدس يوصف « بالمقدّس » كما كان زائر مكة يوصف « بالحاج » . وزاد تعلق المسلمين بالقدس بعد الفتح الصلاحي ازدياداً مطرّداً ، وتردد صداه في عدد من الكتب الخاصة بالمدينة ومسجدها . ومن هذه الكتب « كتاب الأنس في فضائل القدس » لبهاء الدين ابن عساكر ، وقد القى المؤلف مادة كتابه دروساً في المسجد الأقصى ، والمؤلف هو ابن المؤرخ المشهور وتوفي سنة ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ للميلاد) . ومنها كتاب « إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى » لكمال الدين السيوطي ، كتبه

في القدس وغالباً في المسجد الأقصى في سنة ٨٧٤ للهجرة (١٤٧٠ للميلاد)، والمؤلف هو غير جلال الدين السيوطي مؤلف كتاب الاتقان في علوم القرآن .

وثاني المسائل حقيقة عن مدينة القدس غير معروفة ، فالمشهور عند جميع المؤلفين انها ظلت كلها داخل الاسوار ، ولم يبدأ البناء خارجها إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولكن هذا ينقضُه ما جاء في كتاب لشاهد عيان وهو القاضي مجير الدين ، فقد قال إن أحسن الأماكن بظاهر القدس كانت أرضاً الى الجنوب الغربي عُرِفت « بالبقعة »، أوقفها صلاح الدين على خانقاه الصوفية ، ووجدت في عهد المؤلف في تلك الناحية « قصور مبنية بالبناء المحكم ، ومُلاّكها في كل سنة يقيمون بها في زمن الصيف مدة أشهر إقامة استيطان » . ووجد الى جانب أرض البقعة هذه من جهة الشمال « قرية » أبي ثور ، نسبة الى المجاهد شهاب الدين أحمد القرشي الذي شهد فتح القدس في جند صلاح الدين راكباً ثوراً . وقد وقف القريةَ عليه وعلى ذريته الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في سنة ٥٩٤ للهجرة . وكان بالقرية قبلاً ديرٌ للروم ، وهذا هو أصل الاسم الحديث « دير أبي ثور » ، ويُلفظ بالعامية محرّفاً دير أبي « طور » [٣٨].

وثالث المسائل توضيح أمر الكنيس التي ذكرها الحاخام عباديه ، وأيده في ذلك مجير الدين . فالغالب أن البناء كان بيتاً استعمله اليهود للصلاة ، ولما كان البيت ملاصقاً لجامع للمسلمين تقدم بعضهم الى القاضي

(٣٨) الانس الجليل ، ص ٤٠٩ ــ ٤١٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشافعي بشكوى ، فحكم ان لليهود أن يسكنوا البيت ، لكن لايجوز لهم استعماله كنيساً ، لأن إحداث الكنائس والكُنُس في الاسلام غير جائز شرعاً . فبعدها هدم بعض المسلمين البناء ، فرفع اليهود الأمر الى السلطان قايتْباي في القاهرة . ويقول مصدر يهودي إن أثرياءهم دفعوا مبلغاً الى خزينة السلطان[٣٩] والذي يؤخذ من تفاصيل القصة ان قاضياً حنفياً جوّز إصدار أمر سلطاني بإعادة البناء في سنة ٨١٩ للهجرة (١٤٧٤ للميلاد) . فكانت هذه أول كنيس استحدثت في القدس بموافقة سلطان المسلمين . وبعد تسع سنوات رأى الكنيس الحاخام عباديه ووصفها بانها مستطيلة لايدخلها النور إلا من بابها الوحيد . والغالب أن ذلك كان بأمر السلطان ، حتى لا يرى المسلمون ولا يسمعون صلاة اليهود بينما هم يصلون في الجامع الملاصق .

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

٨

ضمّت الدولة العثمانية سورية وفلسطين الى أملاكها في سنة ١٥١٦ بعدما انتصر السلطان سليم على جيش المماليك في صيف تلك السنة بقرب حلب . ثم زحف جيشه الى دمشق فساحل فلسطين متجهاً نحو مصر ، أمّا هو فعرّج على القدس مع ثلّة من الفرسان ، فاستقبله العلماء والوجهاء وأولموا له في ساحة الحرم الشريف ، وجاءه شيوخ صفد ونابلس والخليل لإعلان طاعتهم . ثم لحق السلطان بجيشه ، واشتبك مع بقية المماليك بقرب القاهرة ، وبتغلبه عليهم أصبح سيد مصر . ولقّي في القاهرة المتوكل على الله الخليفة العباسي ، فحذا السلطان

(٣٩) The Jewish Encyclopedia (London and New York, 1904 — 1916), vol. V I I , p. 133 column 2 (in an article on Ierusalem , by Peter Weirnik) .

سليم حذو المماليك وقرّبه للاستفادة من مقامه الديني . وجاء الى القاهرة وفد من شريف مكة يُعلن للسلطان قبول حكمه خلفاً للمماليك . وهكذا ورث عنهم لقب « خادم الحرمين الشريفين » في مكة والمدينة . ولعلّه ورث عنهم أيضاً إرسال « الصُّرّة » وهي هدية نقدية سنوية كان يرسلها السلاطين الى الاشراف والعلماء في مكة والمدينة والقدس : ولعل الدافع لإرسالها الى القدس ما كان بين السلطان سليم والعلماء الذين أولَموا له في ساحة الحرم ، فعندما قـدم له الطعام في صحائف مصنوعة من الخشب ، فسألهم سبب ذلك ، فقالوا « نحن قوم فقراء ! ».

أما لقب خادم الحرمين في القدس والخليل فقد أُطلق على السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم وخلفه ، بالإضافة الى لقب خادم الحرمين في مكة والمدينة ، وهذا واضح من نقش على الحجر فوق رأس المدخل الشرقي للقلعة في القدس ، فهذا النقش يصف السلطان سليمان هكذا :« خادم الحرمين والبقعة القدسية »[٤٠] واعمال السلطان سليمان في القدس عظيمة وكثيرة ، اهمها ترميم قبة الصخرة واعادة تبليط أرض مسجدها ، وتعمير جدران الحرم الشريف وأبوابه ، وانشاء عدد من السُّبُل في ساحة الحرم وبقربها وفي أماكن أخرى من المدينة . ومن أشهرها السبيل الواقع امام المدرسة التنكزية عند باب السلسلة ، والسبيل الواقع عند بركة السلطان خارج باب

(٤٠) تاريخ القدس لعارف العارف (القدس ، ١٩٦١) ص ٣٠٥ . قرأ المؤلف « البقعة الاقدسية » ، ولعله غلط مطبعي او جهل من الناقش ، فكثير من النقوش الموجودة في القدس لغتها سقيمة وتكاد تكون عامية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخليل وعلى طريق بيت لحم . ومن أعظم الأعمال تعمير أسوار اسوار المدينة وبناء جميع اجزائها العليا ، وقد استغرق ذلك خمس سنوات كما تدل عليه النقوش الموجودة عند باب الخليل وباب العمود وباب ستنا مريم وباب النبي داود . وانشأت السلطانة زوجة سليمان تكية اشتهرت باسم خاصكي سلطان ، ووقفت عليها أوقافاً مكنّت المتولين منْ إطعام الفقراء كل يوم من ذلك الوقت حتى يومنا هذا . وانشأ بايْرام جاويش ، الذي اشرف على تعمير الاسوار وبنائها ، رباطاً عرف باسمه ، تحوّل بعد ذلك الى مدرسة سُميت الرصاصية ، وظلت هذه المدرسة عامرة حتى نهاية الحكم التركي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويظهر من نقش على بلاطة موجودة فوق برج من أبراج القلعة بقرب باب الخليل ان السلطان سليمان كان يعتبر خليفة ففي هذا النقش وردت هذه العبارة : « تملّك سرير الخلافة بالاستحقاق ، السلطان ابن السلطان سليمان » . وقد امتد حكمه اكثر من اربعين سنة بلغت في اثنائها الدولة العثمانية أوج مجدها وقوتها ، وامتدت املاكها من بغداد الى بودابست ، وسليمان هو الذي بدأ إعطاء ما عُرف اصطلاحاً عند المؤرخين بالامتيازات الأجنبية ، اي إعفاء بعض الأجانب من طائلة القانون العثماني ، بقصد تسهيل التجارة ، اثناء وجودهم في بلاد الدولة العثمانية . ويمكن اعتبار هذا الإعفاء امتداداً لنظام الملة . اي الاستقلال الداخلي الذي تتمتع به كل ملة من اهل الكتاب تحت الحكم الاسلامي ، فكان رئيس كل ملة أو طائفة مسؤولاً عن تأدية ما عليها من الجزية ، ثم حراً في ادارة شؤونها الدينية والمدنية . فأُعطِي مثل هذا الاستقلال الملي أو الطائفي للتجار الأجانب الذين

أقاموا في الموانئ العثمانية في أماكن منعزلة تحت ادارة رئيس منهم وبحسب قوانين بلادهم الأصلية .

وسهّل تشجيع التجارة هذا حركة الحجاج من النصارى والمسلمين ، فمنذ الحروب الصليبية وسفن مدينة البندقية وغيرها من الموانئ الايطالية تنقل الى الشرق الأدنى البضائع والحجاج ، وكذلك كان التجار مع بضائعهم يُرافقون قوافل الحج الى مكة . وكان نصيب القدس من هذا غير قليل ، وخاصة بعد الحروب الصليبية ، في عهد سلاطين المماليك وسلاطين آل عثمان . وقد أمّن السلطان سليمان الطريق من يافا إلى القدس ، فرتّب لها الحرس وجعل مشايخ القرى الموجودة على الطريق مسؤولين عن سلامة الحجاج والتجار . وفتح السلطان سليمان ومن خلفه من سلاطين آل عثمان بلادَ دولتهم الواسعة لقبول اللاجئين من الاضطهاد في اوربا ، وقد استفاد من ذلك اليهود وخاصة بعد طردهم من اسبانيا بعد انقراض آخر دولة عربية فيها . واتجاه اللاجئين شرقاً الى البلاد الاسلامية لا غرباً الى البلاد النصرانية له دلالته في اشتهار النظام الاسلامي بالتسامح والانسانية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يشتهر مَنْ خلف سليمان من السلاطين شهرته في الحرب والسلم ، فاعتاد الكتاب تأريخ بدء تدهور الدولة العثمانية من نهاية سلطنته ، مع انها ظلت عزيزة قوية مدة طويلة بعد ذلك ، ولم يظهر ضعفها إلا بعد إخفاق حصار فيينا الثاني في سنة ١٦٨٣ أي بعد اكثر من قرن من نهاية سلطنة سليمان . لكن مَنْ خلفه من السلاطين لم

يُحْدثوا شيئاً يقرب مما أحدث هـو في القدس . وسجلات المحكمة الشرعية ، التي تعكس تاريخ المدينة في جميع النواحي ، خالية من ذكر بناء معاهد جديدة ، وجُل ما تذكره هو عمارة بنائيْ المسجد الأقصى وقبة الصخرة وما حولها في ساحة الحرم الشريف . لكن يوجد في هذه السجلات ما يستحق الانتباه ، وهو ان القاضي أحْصى عدد اليهود في المدينة وسجل أسماءهم عنده ، فبلغ عددهم مئة وخمسة عشر (الذكور دون الإناث ؟) . وكان ذلك في ١٩ جمادى الأولى سنة ٩٨٠ للهجرة (١٥٧٢ للميلاد) [٤١] وهذا في رأينا هـو أول بيان يمكن الاعتماد عليه ، بخلاف ما جاء في كتب الرحالة والرواة من المسلمين والنصارى واليهود ، فما قالوه كان مبنياً على الحدْس والتخمين ، أما سجل القاضي فمبني على إحصاء حقيقي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعد نحو قرن أحصى جميع السكان متصرف المدينة حينئذ ، جاويش زاده محمد باشا . ولا يعرف الغرض من هذا الاحصاء ، ولا مقدار نصيبه من الدقة ، بخلاف إحصاء القاضي لعدد اليهود الذي ذكر أعلاه . وبلغ مجموع عدد السكان بحسب هذا الاحصاء ستة وأربعين ألفاً معظمهم من المسلمين ، ومن هؤلاء نحو ألف من أصحاب الوظائف في الحرم الشريف ، صرفت رواتبهم من مال « الصُّرّة » السنوي . والذي ذكر ذلك هو الرحالة التركي أوْلِيَا جلبي الذي زار القدس والخليل في سنة ١٠٨١ للهجرة (١٦٧١ للميلاد) في عهد محمد باشا المذكور ، فوصف معالم المدينتين وصفاً دقيقاً مطولاً وخاصة الحرمين الشريفين فيها .

---

(٤١) المحكمة الشرعية بالقدس : سجل ٥٥ صفحة ٢٠٧ ، راجع تاريخ القدس لعارف العارف ، ص ٣١٤

ومعظم ما جاء في رحلة جلبي يطابق ما جاء في تاريخ مجير الدين الذي كتب قبل نحو قرنين . وهذان مثلان على ذلك : أولهما أن الأرض الواقعة بين باب الخليل ومنطقة البقْعة كانت عند زيارة جلبي ملأى بالكروم والبساتين، وكان أصحابها من الاشراف والعلماء والتجار وأهل الحرف يقضون شهور الصيف فيها ؛ وثانيها أن جميع المعاهد والمباني العامة التي ذكرها مجير الدين وجدها جلبي قائمة عاملة : أربعون مدرسة وعشر دور للقرآن وسبع دور للحديث وثمانية عشر سبيلا وستة حمامات وستة خانات وسبعة أسواق طرقها مرصوفة بالحجارة وسقوفها معقودة بالقناطر . ولكن جلبي وجد حالة الأمن على الطرق سيئة ، فعندما أراد زيارة الخليل أرسل معه أمير اللواء عشرين خيالاً مسلحاً (٤٢) .

كل هذا الذي ذكره أوليا جلبي يدل على أن المدارس والزوايا والربط وما أشبهها من المعاهد والمباني العامة التي ورثها العثمانيون عن الأيوبيين والمماليك في مدينة القدس كانت عامرة عاملة حوالي نهاية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤٢) ملخص عن « سياحتنامه سي » لأوليا جلبي كما جاء في تاريخ القدس لعارف العارف ، ص ٢٦٧ — ٢٦٩ . والتلخيص مأخوذ عن صورة فتوغرافية للأصل التركي المخطوط وُجدت في المتحف الفلسطيني بالقدس . والظاهر ان المتحف والمرحوم عارف العارف لم يعلما ان « سياحتنامه سي » بدا طبعها في استانبول سنة ١٣١٤ عندما ظهرت منها الاجزاء الاربعة الاولى . ثم ظهر الجزء الخامس في سنة ١٣١٨ . ثم توقف النشر نحو ربع قرن واستؤنف في سنة ١٩٢٨ عندما ظهرت الاجزاء السادس والسابع والثامن . اما الجزء التاسع والاخير فنشر في سنة ١٩٣٥ . وهذا الجزء يحتوي على وصف الزيارة للقدس والخليل مفصلة على صفحاته ٤٦٠ — ٥١٦ ، وهو مطبوع بالحروف اللاتينية . اما الاجزاء الثمانية فكلها مطبوعة بالحروف العربية .

القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) ، وان المعاهد والمباني العامة التي أضافها العثمانيون منذ عهد سليمان القانوني كانت قائمة يستفاد منها في الوجوه التي عينها المؤسسون أو الواقفون ، وإن الوقفيات التي شرعت منذ الحروب الصليبية حتى ذلك الوقت كانت متصلة الثبوت والتنفيذ بحسب أحكام الشريعة .

ولم يفصل ما أجمله أوليا جلبي أحدٌ بعده تفصيلاً يشبه ما جاء به مجير الدين قبله . فمن أراد مثلاً استقصاء تاريخ مدارس القدس التي عددها وذكر مؤسسيها وأوقافها لا يجد غير ما يمكن اقتطافه من كتب التراجم ، وهو ذكر عام لهذه المدرسة المشهورة أو تلك في ترجمة هذا العالم المشهور أو ذاك . لكن التراجم الخاصة بعلماء القدس تؤكد استمرار سنّة الرحلة في طلب العلم ، فمعظمهم كانوا يذهبون إلى الأزهر في القاهرة أو الجامع الأموي في دمشق أو إلى مكة والمدينة ، وبعضهم ذهب إلى عاصمة السلطنة استانبول للتعليم في مدارسها ومساجدها ، وأحياناً للحصول على وظيفة القضاء أو الإفتاء أو التدريس في القدس .

والمصدران المهمان للتراجم هما « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » لمحمد المحبي ، وكتاب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » لمحمد خليل المرادي . وما جاء في الكتاب الأول عن مدارس القدس أكثر مما جاء في الثاني . ومن أهم المدارس التي ذكرت في الكتابين : الصلاحية والأفضلية والتنكزية ودار القرآن ودار الحديث والمأمونية والفارسية ، والعثمانية ، والظاهرية . ولم نعثر فيها

على ذكر الأشرفية ، ولعل غيرنا يدلنا عليه إذا وجد .

وهذا ما يستفاد من كتاب المحبي : جاء في ترجمة جمال الدين ابن محمد العجمي القُدْسي أنه صحب الزَّيْن المرصفي في القاهرة ، فلما عاد إلى القدس لازم شيخ الصلاحية عفيف الدين ابن جماعة ، واختص بقراءة قِصَّتَيْ المولد والمعراج في المسجد الأقصى ، ودرّس بدار الحديث ، وعمّر جزءاً من المدرسة الظافرية التي كانت متهدمة واتخذه مسكناً ، وتوفي سنة ١٠٠١ للهجرة . وجاء في ترجمة ابنه محمد أنه تعلم في القدس ، ثم سافر إلى استانبول ولازم شيخ الإسلام محمد ابن سعد الدين ، ثم تولى القضاء في مصر ، ثم صار مُفْتياً في القدس ومدرساً في العثمانية « فلم يتفق مع أهلها (أي القدس) لطول غَيْبته عنهم » ، فصار قاضياً في طرابلس الشام ، وتوفي سنة ١٠٥٥ للهجرة . وجاء في ترجمة طه بن صالح نجم الدين الدَّيري المقدسي أنه كان معيداً لدرس تفسير القرآن في الصخرة المشرفة ثم درس في الفارسية وسكنها ، وولي كتابة الصكوك ونيابة الحكم في القدس ثم في مكة . توفي سنة ١٠٧١ للهجرة ودفن بمقبرة مأمن الله . وجاء في ترجمة محمد بن حافظ السروري المقدسي أنه رحل إلى القاهرة ودمشق وأخذ عن علمائها ، ثم عاد إلى القدس وانقطع للتدريس في التنكزية والمأمونية إلى أن توفي في سنة ١٠٨٩ للهجرة . وجاء في ترجمة مصطفى بن فخر الدين العلمي القدسي أنه أقام بالأزهر زماناً طويلاً ، ثم عاد إلى القدس وصار « كاتب الصكوك في محكمتها وولي النيابة كثيراً » . ومن آثاره وقفٌ على المؤذنين

بالمسجد الاقصى وقنديل علّق على الصخرة المشرفة كان يشعل ليلاً ونهاراً ، « وله خيرات على خدام الحرم الخليلي » توفي سنة ١٠٧١ للهجرة [٤٣] .

وفيما يلي بعض ما يستفاد من كتاب المرادي الذي هو أقل تفصيلا ودقة من كتاب المحبي ، ويشوب تراجمه كثرة الاوصاف العامة التي قد تنطبق على معظم من ترجم لهم . ومن أهم هؤلاء أحمد الموقّت الذي اختص كما يدل اسمه بالميقات في المسجد الاقصى . وهو من ذرية أبي العزم أحد أولياء المغاربة : « قرأ العلوم في بيت المقدس ، ولم يذق كربة الغُرْبة أوان تحصيله ... وانتهت إليه حقائق العلوم العقلية ، وألقت إليه مقاليدها العلوم النقلية » . كان مدرساً بالأفضلية والمسجد الاقصى وإماماً في الصخرة المشرفة ، وتعاطى التجارة فاستغنى بذلك عن « التمشّعات » ، وشمل بكرمه زوار القدس من الغرباء وخاصة العلماء . توفي سنة ١١٧١ للهجرة ودفن بمقبرة مأمن الله . وجاء في ترجمة صنع الله الديري الخالدي أن عائلته أصلها من قرية الدير من قرى نابلس ، وأنه تولّى رئاسة الكتابة في محكمة القدس ، ووقف وقفاً فيها عَيَّن رَيْعه لإطعام الفقراء ، وأصلح سبيل ماء (لا يذكر المؤلف اسمه) . توفي سنة ١١٣٩ ودفن عند باب الرحمة . وجاء في ترجمة السيد عبد الرحيم أبي اللطف القدسي أنه تعلّم في القدس ثم جاور في الازهر وسافر إلى استانبول ودرس بجامع السليمانية .

(٤٣) كتاب خلاصة الاثر (القاهرة ، ١٢٨٤) ج١ ص ٤٨٩ (جمال الدين) ، ج ٣ ص ٤١٢ (محمد بن جمال الدين) ، ج ٢ ص ٢٦٠ (طه) ، ج ٣ ص ٤١٤ (محمد بن حافظ) ج ٤ ص ٣٨٥ (مصطفى العلمي) .

ثم أعطي إفتاء بلدته مع المدرسة العثمانية ورئاسة علماء القدس . وعُيّن قاضياً لصفد « على وجه المعيشة » . توفي سنة ١١٠٤ للهجرة في أدرنة[٤٤] . وترجم له الجبرتي تحت اسم « الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني المقدسي »[٤٥] .

يتضح من هذه التراجم وغيرها أنه غلب على علماء القدس التدريس في المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، وكان الواحد منهم يجمع أحياناً مع التدريس وظيفة أخرى في القضاء أو الإفتاء أو الإمامة أو الخطابة. ولكن بعضهم أعرض عن هذه الوظائف ، ومال الى الزهد والتصوف فقد عُرف عن احدهم أنه كان يلازم مغارة الصخرة المشرفة ولا سيما وقت السحر ، وعُرف عن آخر انه اختصّ بجباية ريع أوقاف الحرم الشريف التي كانت بمصر (ماذا جرى لها ؟) ، وعرف عن ثالث انه كان مولعاً بنظم الشعر والفكاهة . وكرّم أحمد الموقّت ذُكر اعلاه ، ويشبهه في ذلك نقيب علماء القدس وشيخ الحرم الشريف السيد عبد اللطيف بن عبد الله القدسي الذي توفي في سنة ١١٨٨ للهجرة وكان يهتم بزوار المدينة وحجاجها ويعطيهم من ماله .

هذه صورة منيرة قد يرى المدقق على حواشيها ظلمة تدل الشواهد والقرائن أنها أخذت تزداد شيئاً فشيئاً . فما دلالة وجود مدرسة متهدمة لا يهتم متولي وقفها بترميمها وإعادة التدريس فيها ؟ وما عِبْرة

---

(٤٤) كتاب سلك الدرر (بولاق ، ١٣٠١) ، ج ١ ص ١٧٥ ، ج ٢ ص ٢١٣ ، ج ٣ ص ١ — ٥ .

(٤٥) كتاب عجائب الآثار في التراجم والاخبار لعبد الرحمن الجبرتي (بولاق ، ١٢٩٧) ج ١ ص ٦٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما حدث للسيد عبد الرحيم أبي اللطف القدسي الذي ذكر أعلاه عندما ذهب الى استانبول وحصل من شيخ الاسلام على وظيفتي الإفتاء والتدريس في القدس، ثم عزل عنها، ثم أعيد إليها؟ وما معنى إعطائه قضاء صفد « لأجل المعيشة » أي لكي يعين هو نائباً عنه يعطيه ما يتفقان عليه من دخل المحكمة؟ وماذا يستنتج من ذهاب عدد من علماء القدس للتدريس في مدارس استانبول وبروسة وقونية وأدرنة وتولي القضاء في أماكن بعيدةمثل صوفية وبوسنة؟Bosna

أصل البلاء، أن كل الوظائف الادارية والقضائية والعلمية كانت تباع وتشترى في عاصمة السلطنة، فالوالي أو القاضي كان يدفع ثمن وظيفته سلفاً لمن يسلمها له، وهو بدوره يبتز أموال الناس لاسترداد ما أنفق ولإغناء نفسه. وهذا أفقر الشعب من الزراع والتجار وأرباب الحرف، وزاد الحالة سوءاً اختلال الامن العام، وصعوبة المواصلات، وتعرض القوافل التجارية حتى وقوافل الحجاج للنهب، واغتنام بعض الزعماء فرصة ضعف الدولة بالثورة عليها. وقد ظهر هذا الضعف واضحاً أثناء القرن الثامن عشر بانكسارها في ست حروب اضطرت إلى دخولها مع روسيا والنمسا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان من نتائج هذه الحروب أن تقلصت حدود الدولة العثمانية في أوروبا، وأرغمت على اعطاء امتيازات جديدة لروسيا، بعد أن كان اعطاء الامتيازات منّة لفرنسا في زمن سليمان القانوني، ولبريطانيا في زمن مراد الثالث. وأخذت الدول الاوروبية تستغل هذه الامتيازات استغلال القادر للعاجز، فغلب ضررها على ما أريد

بها أصلاً من تسهيل التجارة ، فصار التاجر الأوروبي أحسن حالاً من التاجر العثماني ، لما كان للأول من حق الإعفاء من طائلة القانون العثماني ، ودفع تعريفة على بضائعه أقل بكثير مما يدفع التاجر العثماني .

وقد أصاب القدس من هذا الاضطراب والضعف ضرر كبير ، فكثرت هجرة العلماء منها إلى مراكز التعليم ومجال التوظُّف في استانبول وغيرها من المدن التركية ، وأدى تغير الولاة والقضاة السريع إلى اهمال مراقبة الاوقاف والعناية بالمباني العامة ، فأخذ بعض متولي الاوقاف يحولونها لمنفعة أنفسهم . وعانت القدس من الفقر وسوء الادارة وظلم الحكام ما عانته باقي المدن . لكن السلاطين لم ينسوا في محنتهم القدس ولا مكة ولا المدينة ، فثابروا على إرسال « الصُرَّة » إلى كل منها واهتموا بترميم المساجد في حرم كل منها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

– ٩ –

يؤرخ بعض كتاب الغرب ، ويقلدهم في ذلك بعض كتاب العرب ، بدء النهضة العربية الحديثة من الحملة الفرنسية على مصر في سنة ١٧٩٨ وامتدادها في السنة التالية إلى سواحل فلسطين حتى مدينة عكا ، بل يرجع هؤلاء فضل نشوء تلك النهضة إلى هذه الحملة . وهذا وهم لا يثبت بعد النظر الدقيق ، فالحملة أعاقت نهضة أدبية علمية كانت بمصر قبلها ، وضرر الحملة واضح فيما أصاب علماء الازهر من القتل والتشريد الذي أدى الى إغلاق المعهد لاول مرة في تاريخه . أما احتلال سواحل فلسطين فلم يدم أكثر من أربعة أشهر انتهى باخفاق

نابليون أمام أسوار عكا ، ولم يترك وراءه إلا الدمار وشر الطائفية التي أثارتها الدعاية الفرنسية .

ولم يحاول نابليون أخذ القدس ، ولكن التاريخ يذكر اثنين من علمائها تعلما في الازهر ، قاومه أحدهما بعلمه ، وهجاه الآخر بشعره . أما الاول فهو السيد موسى الخالدي ، قاضي عسكر الاناضول ، فهو الذي كتب المنشور الذي اذاعته الحكومة العثمانية في جنوب سورية ، لإثارة الشعب ضد الفرنسيين . ولا يُعرف عن هذا الرجل العظيم أكثر من ذلك سوى أنه توفي سنة ١٢٤٧ للهجرة في انطاكية وأما العالم الثاني فهو الشيخ محمد بن بدير ، ذكره الجبرتي فقال « هو الآن فريد عصره في الديار القدسية ، يبدي ويعيد ، ويدرس ويفيد » [٤٦] . توفي سنة ١٢٢٠ للهجرة . وقصيدته تقع في ١٥٧ بيتاً اكتشفها بين أوراق آل البديري في القدس أحد أبنائها النابهين [٤٧] . وهي تهجو الفرنسيين وقائدهم وتمدح والي عكا أحمد باشا الجزار .

والتراجم الاخرى الواردة في تاريخ الجبرتي تكاد تكون مقصورة على مشاهير مصر ، وبينها عدد قليل من علماء القدس الذين تعلموا في مصر . ومن هؤلاء الشيخ محمد بن سيرين المقدسي . جاء في ترجمته أنه ذهب الى مصر مع والده وتعلم على شيوخ ذكرهم المؤلف ، كان أعظمهم أثراً على ابن سيرين الشيخ محمود الكردي ،

(٤٦) عجائب الآثار ، ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٤٧) هو الاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني . ذكر القصيدة في كلمة نشرت في كتاب قدّمه بعض الزملاء لعبد اللطيف الطيباوي بعنوان :

Arabic and Islamic Garland (London, 1977), p. 120

فهو الذي ألْبَس تلميذه « التاج » وجعله من خلفاء السادة الخَلوَتيّة ، ثم أمره بالعودة الى القدس لنشر الطريقة فيها ، « فسكن الحرم وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ، ويعقد حلقة الذكر » (٤٨) وهذه القصة تشبه قصة عالم آخر من أهل القدس ذكره الجبرتي ، والقصتان تدلان على ازدياد الاهتمام بالطرق الصوفية . فهل قلَّ ذلك من شأن التدريس في المدارس ؟ سبب هذا السؤال هو عدم ذكر مدارس القدس المشهورة وغير المشهورة ، الكبيرة كالصلاحية أوْ ذات المدرّس الواحد ، في نهاية القرن الثاني عشر وابتداء القرن الثالث عشر . وهذا السكوت بدأ بالجبرتي واستمر حتى يومنا هـــذا . وليت مَنْ تمكنه ظروفه من علماء العرب يراجع سجلات المحكمة الشرعية بالقدس للوقوف على مصير مدارسها وسبب اهمال التدريس فيها وكذلك مصير أوقافها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يمكن الاعتماد على كتب الرّحالة الأوربيين في هــذا الأمر أو مـــا يُشبهه ، فمعظمهم كانوا يكرهون الاسلام ولم يَرَوْا الا المساوىء في النظام العثماني . خُذ مثلاً على ذلـك الكونت فُولْني الفرنسي الذي زار القدس قبل حملة نابليون بنحو خمس عشرة سنة ، فلا ذكر في كتاب رحلته للحرم الشريف حتى ولا لكنيسة القيامة ، فلا غرابة بعـد ذلك إن هو أهمـل ايضاً ما كان دونها في الاهمية كالمدارس . لا يُعرف على أي اساس بنى هذا الرّحالة تقديره لسكان المدينة بنحو اثني عشر أو اربعة (كذا) عشر الفاً ، ولكن هــذا التقدير لا يمكن قبوله ، كما لا يمكن قبول الغلط والمبالغة في وصف

(٤٨) : عجائب الآثار ج ٣ ، ص ٣٥٦ وما يليها .

المدينة الذي أجمله بسطرين هكذا : « أسوارها مهدمة ، والخنادق حولها مملوءة ، وكل (كذا) ابنيتها خربة »(٤٩) فكل مؤرخ يُعتد به يعرف ان الأسوار لم تتهدم منذ عهد سليمان القانوني حتى يومنا هذا ، وكان قارىء ينتبه للتفاصيل يعرف انه لا يمكن ان تكون كل الأبنية ، في مدينة مسكونة ، خربة .

فاذن لاتبرر قلة المصادر العربية الاعتماد على أمثال هذا الرحالة . ويسر الباحثين ان يعلموا انه منذ نحو ثلاثين سنة اكتشف استاذ مقدسي كتاباً مخطوطاً عن أعيان القرن الثاني عشر ألّفه على نمط كتاب المرادي ، أحد سراة القدس وهـــو حسن بن عبد اللطيف الحسيني . وقد نشر الاستاذ المذكور رسالة في اربعين صفحة ، اعتمد في بعضها على هذا الكتاب المخطوط الذي لا يُعرف مصيره الآن . وفي المخطوط ذكر لاثنين من مدرّسي المدرسة الصلاحية من أهل القدس ومن خريجي الأزهر ، وهما السيد علي بن محمد جار الله الذي توفي سنة ١١٦٩ للهجرة (١٧٥٥ م) ، والسيد محمد بن علي جار الله (؟ ابن السابق) الذي تولىّ افتاء القدس ورئاسة العلماء فيهـا في سنة ١١٨١ للهجرة (١٧٧٨ للميلاد) . دعي الى استانبول وقابـــل السلطان ورافق الصدر الاعظم الى ساحة الحرب مع روسيا ، ولكن مخطوط الحسيني لا يذكر تاريخ وفاته .

---

(٤٩) Constantine-Francois Comte de Volney, Voyage en Egypte et en Syrie 1873 - 5 : English translation, (London, 1787), vol . II , p . 303 – 304

واستَدْعى شيخُ الاسلام ، عبد الله افندي دري زاده ، عالماً آخر من علماء القدس الى استانبول ، وهو الشيخ علي ابو السعود مفتي الشافعية . وكان طاعناً في السن فتوفي في العاصمة بعيد وصوله اليها سنة ١٢٢٨ للهجرة (١٨١٣)[٥٠] وكان وجود أبي السعود في العاصمة مع ابن بلدته موسى الخالدي من العوامل التي جعلت السلطان محمود الثاني يرسل بعثة برئاسة أحد وزرائه الى القدس للنظر فيما احتاجه المسجد الاقصى ومسجد قبة الصخرة من الترميم . ولكن لا يعرف اذا كان من وظيفة البعثة النظر ايضاً في ترميم المباني العامة كالمدارس والزوايا والربط وغيرها .

والسلطان محمود هو ثاني سلاطين آل عثمان المجدِّدين ، سبقه في ذلك سليم الثالث ، منشىء ما عُرف بالنظام الجديد . فالتجديد أو التنظيم أو الاصلاح أو النهضة بدأ في اعظم دولة اسلامية قبل الحملة الفرنسية على مصر ، لابل قبل الثورة الفرنسية . وكان من أهم بواعث التجديد شعور بالنقص في ميدان الحرب امام الجيوش الأوروبية ، ولهذا بدأ بإنشاء مكاتب (ولم يسموها مدارس) لتدريب ضباط الجيش والاسطول ، وجيء لهذه المكاتب بمعلمين من اوروبا وخاصة من فرنسا . وأُسكِتَتْ معارضة العلماء لهذه البدعة ، فجُعلت

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٠) اهل العلم بين مصر وفلسطين . لاحمد سامح الخالدي (القدس ، ١٩٤٦) ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . تفصيل قصة استدعاء ابي السعود وردت في تاريخ احمد جودت باشا بالتركية تحت سنة١٢٢٨هـ (الجزء العاشر صفحة ١١١ من الطبعة الثانية في استانبول سنة ١٣٠٩) .

المكاتب الجديدة منفصلة كل الانفصال عن المدارس الاسلامية الأصلية ، التي ظل منهجها على حاله . أما المكاتب الجديدة فاختصت بتعليم العلوم الرياضية والطبيعية واللغة الفرنسية . وظلت هذه المكاتب لمدة طويلة منحصرة في العاصمة ، ولم يؤسس مايشبهها من المكاتب الجديدة في الولايات العربية إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وعليه لايصح ارجاع سبب تأخر المدارس الاسلامية في القدس إلى منافسة مكاتب النظام الجديد . لكن قد يكون من أسبابه إخضاع إدارة الأوقاف المحلية لوزارة الأوقاف الجديدة التي انشأها محمود الثاني في استانبول ، فأضعف ذلك استقلال القضاة وخفف رقابتهم على الأوقاف المحلية ومحاسبة متوليها ، فأخذ هؤلاء يحتالون لتحويل منافع الأوقاف لأنفسهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت القدس حتى نهاية القرن الثامن عشر مدينة مغلقة للفرنج ، فلم يُقِمْ فيها منهم الا بعض الرهبان ، ولم يزرها الا الحجاج وبعض المخاطرين من المسافرين ، ولم تكن فيها قنصلية واحدة أو جالية تجارية أوروبية . وأخذ ذلك يتغيّر اثناء القرن التاسع عشر ، وكان من أسبابه بدء التنافس بين الدول الأوروبية العظمى في القدس ونشاط بعض الجمعيات التبشيرية الانكليزية والأمريكية ، وتحسن حالة الأمن العام ابتداء من الاحتلال المصري ، ونمو المصالح الأجنبية دينية كانت أو تجارية . ولعلّ أول رمز للتغيُّر هو دخول أمير البحر سير سِدْني سْمِث الى القدس بموكب عسكري بعد نجاح دفاعه عن عكا من البحر ، فانكلترا حالفت تركيا ضد فرنسا بعد

هجوم نابليون على مصر وفلسطين . جاء في تقرير السفير البريطاني في استانبول ان سْمِث" ركب من يافا مع حرس من البحّارة البريطانيين ومئة من الفرسان العثمانيين ، ووصل في المساء الى مشارفها فنام ليلته في دير في عين كارم ، وفي صباح اليوم التالي دخل القدس في نظام عسكري وزار كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المقدسة .(٥١)

وهكذا فتُح الباب . فبعد نحو عشرين سنة أرسلت جمعية تنصير اليهود في لندن مبشّرَيْن للاقامة في القدس ، وفي الوقت نفسه تقريباً ارسلت الجمعية التبشيرية الامريكية في بوسطن مبشّرَيْن آخرين اليها . وكان هدف الجمعية الاولى مقصوراً على تنصير اليهود ، اما الثانية فأرادت إرشاد أهل جميع الاديان ، وظلّ هؤلاء الطلائع يتخبّطون مدة طويلة دون الوصول الى نتائج محسوسة . وفي أواخر سنة ١٨٣١ احتل محمد علي باشا والي مصر فلسطين في ثورته على السلطان محمود ، وكان من اهم نتائج ذلك في القدس تأسيس « مجلس شورى » دخله ممثلون عن النصارى واليهود لأول مرة . وأراد محمد علي اكتساب عطف الدول الاوروبية فأمّن طريق الحجاج الى القدس ، وفتح البلاد لمسافريهم وتجارهم . فاغتنمت الحكومة البريطانية الفرصة وأسّست في القدس أول قنصلية ، بعد الحصول على موافقة السلطان صاحب السيادة الشرعي وموافقة محمد علي الحاكم الفعلي . وضغط

(٥١) تقرير السفير البريطاني المؤرخ في ١١ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ محفوظ في دار الوثائق العامة في لندن FO (Turkey) 78/28

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المبشرون على وزير الخارجية فجعل من وظائف القنصل البريطاني في القدس « حماية اليهود »(٥٢) .

لم يَزْدد عـدد اليهود عن بضع مئات منذ عهد صلاح الدين إلا قليلاً . لكن إخراج العرب و(اليهود) من اسبانيـــا سبّب زيادة مهمة في ذلك العدد . فبعد ان التجأ اليهود الى البلاد العربية في شمال افريقيا وصل بعضهم مع الزمن الى القدس وعرفـوا بطائفة سَفَارْديم (نسبة الى اسم اسبانيا بلغتهم) . وكان معظمهم يتكلمون اللغـــة العربية ولهم اسماء عربية ، فلم يجدوا صعوبة في الانسجام مـــع المحيط العربي والاشتغال بالتجارة والصناعة ، واكتساب ثقة الحكومة العثمانية . وهكذا اصبح افراد هذه الطائفة من الرعايا العثمانيين فاعترفت بهم الحكومة وأصبحوا « ملة » اليهود رسمياً ، وعيّنت من طائفتهم رئيس الحاخامين (حاخام باشي) .

اما طائفة اشْكِنَازِيم (نسـبة الى اسم اشْكناز الوارد في العهد القديم والذي اطلقه أحبار القرون الوسطى على المانيا لسبب غير واضح) فقد جاءت بعد الطائفة السابقة من بولونيا عندما كانت هذه البلاد مقسمة بين روسيا والنمســا وبروسيا ، وعليه كان هؤلاء اليهود يتكلمون ، بالاضافة الى العبرية والروسية ، لهجة المانية عرفت

(٥٢) فصّلنا ذلك اعتمادا على الوثائق البريطانية في كتابنا :
British Intereste in Palestine, 1800 — 1901 (Oxford, 1961),
pp. 29 — 37

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

باليدِش . واحتفظ هؤلاء بجنسياتهم الروسية والنمساوية والبروسية ، لكي يستفيدوا من الامتيازات الاجنبية ، ولم يمتزجوا مع المحيط العربي ولا مع طائفة السّفارديم ، بلْ كان بين الطائفتين خصام شديد . وكان الاشكنازيم من الغلاة المتعصبين ، كرسوا حياتهم للعبادة ودرس التلمود وتعليمه ، ولم يشتغلوا لكسب الرزق ، بل عاشوا معيشة فقر شديد ، في اماكن غير صحية شـديدة الاكتظاظ ، واعتمدوا على إحسان ابناء جلدتهم في اوروبا الذي عُرف اصطلاحاً بالحَالُوكّاه . ومع هذا كان الصرّافون والمرابون في القدس من هذه الطائفة .

هذه حالة اليهود عندما تأسست فيها القنصلية البريطانية وجعلت إحدى وظائفها « حماية اليهود » . فاسرعت ووضعت عدداً من طائفة الاشكنازيم تحت حمايتها ، فتشجعوا وقدم أحدهم طلباً بواسطة القنصلية لشراء قطعة ارض بقرب القدس عندما كان القانون يُحرم ذلك على الأجانب ، فرفض الطلب . وقدم آخر ايضاً بواسطة القنصلية طلباً ليسمح له بتَبْليط « مبكى اليهود » على نفقته . وكان هذا المبكى زقاقاً غير نافذ امام حائط البراق (جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف) ، وعلى أرضه كان اليهود يقفون للصلاة امام الحائط فنظر مجلس الشـورى في الطلب وأوصى برفضه ، فأصدر محمد علي امراً بالسماح لليهود بزيارة المكان « على الوجه القديم » لكن منعهم من تبليطه « لأنه وجد انه غير جائز شرعاً ... فهو ملاصق الى حائط الحرم الشـريف ومحل ربط البراق وداخل في وقفية ابي مَدْيَن ،

وما سبق لليهود تعميره . » (٥٣)

وكان ذلك قبل انتهاء الحكم المصري ببضعة أشهر ، وكان انتهاء ذلك الحكم بتدخل الدول الأوروبية . ويرجع السبب الرئيسي في نجاح ثورة محمد علي الى التدريب العسكري الحديث الذي أدخله في جيشه عن طريق المكاتب الحربية واستخدام المدربين الأوروبيين ، فسبق في هذا الباب السلطان محمود . فلما توفي هذا في سنة ١٨٣٩ خلفه ابنه عبد المجيد وكان حدثاً في سن السادسة عشرة ، فرأى الوزراء إصدار مرسوم سلطاني (خطي شريف) ، أعلن من غلخانه في استانبول ، واعتبره المؤرخون تدشيناً للاصلاحات التي عرفت بالتنظيمات . وأهم ما في المرسوم إقرار مبدأ المساواة بين الرعايا العثمانيين من مختلف الاديان ، واصلاح نظام جباية الضرائب ، ومنع معاقبة المتهم قبل إدانته في محكمة ، ومنع قبول الرشوة . وقد وجدت طبقة العلماء في مبدأ المساواة ما يخالف العرف ان لم يخالف الشريعة ، ووجد بعض النصارى واليهود من جهة ، والدول ذات الامتيازات من جهة اخرى ، فرصة يمكن استغلالها . وقد كان أثر المرسوم في القدس سيئاً ، فالقاضي الشرعي الذي كان حتى الاحتلال المصري بمثابة حاكم المدينة ، لم يكن فيها ما لم يكن ضمن وظيفته أو تحت رقابته ، رأى ان وظائفه سينتقص منها أو تحول

(٥٣) صدر الامر الى السيد احمد آغا الدزدار متسلم القدس وتاريخه ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٥٦ (٢٨ أيار ١٨٤٠) . راجع مجموعة أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا (بيروت ١٩٣٤) ، ج ٥ ص ٧٨ .

الى غيره ، والعلماء والاعيان الذين كان لهم النفوذ في مجلس الوالي او المتسلم أو المتصرف وجدوا انه سيشاركهم في ذلك نفر من غير المسلمين .

وازداد تنافس الدول ذات الامتيازات في القدس بعد انتهاء الاحتلال المصري ، فادعت روسيا حماية طائفة الروم الارثوذكس في المدينة بل في سائر انحاء السلطنة العثمانية ، وادعت فرنسا حماية طائفة الكاثوليك في المدينة وفي سائر البلاد العثمانية . اما بريطانيا فلم تدّعِ ظاهرا حماية طائفة معينة ، ولكنها فعلاً اهتمت بحماية مصالح اليهود ، ودافعت عن الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي من الارثوذكس او الكاثوليك او اليهود في القدس وفي جميع انحاء السلطنة العثمانية . وازداد نفوذها في استانبول زيادة مطردة ، فاغتنم المبشرون وانصارهم هذه الفرصة ، وأصرّوا على ضرورة انشاء كنيسة جديدة في القدس لطائفة البروتستانت التي كانت في دور التكوين ، وضرورة ارسال أسقف (مطران) لهذه الطائفة يقيم في تلك المدينة . وأكْرِهَ السلطان فوافق على إقامة الكنيسة في دار القنصلية (لكنها بنيت فعلاً خارجها في مكان بارز أمام القلعة) . وأرسلت الحكومة البريطانية يهودياً متنصّراً اختير ليكون مطراناً ، ومعه القنصل البريطاني العام في بيروت ، على بارجة حربية الى يافا ، ومنها ركبا معاً حتى دخلا القدس في كانون الثاني سنة ١٨٤٢ ، دون موافقة الحكومة العثمانية ، بل رغماً عن احتجاجها .

ولم تكن الدول الأخرى ، وخاصة فرنسا وروسيا ، أقل

اجتهاداً من بريطانيا في إظهار نفوذها في القدس . ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أسّست كل من فرنسا وروسيا قنصلية في القدس ، وسبقت الهيئات الفرنسية والروسية نظائرَها الانكليزية بكثرة ما انشأت في المدينة من المنازل للحجاج ، والأديرة للرهبان والراهبات ، والمدارس والمستشفيات للنصارى العرب . وبلغ تنافس فرنسا مع روسيا أشده في دفاع الأولى عن حقوق الكاثوليك ، والثانية عن حقوق الارثوذكس في الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم . وكانت الحكومة العثمانية تتأرجح في ميلها نحو هؤلاء أو هؤلاء بحسب تغيّر علاقاتها مع كل من الدولتين . وفي سنة ١٨٠٨ دمرت النار معظم كنيسة القيامة ، وسمح السلطان للارثوذكس بتعميرها ، فأهملوا في ذلك بعض المعالم التي تركها الصليبيون في البناء ، فاغضب ذلك فرنسا ، وارادت الدولة العثمانية إرضاءها ، بل ارضاء روسيا أيضاً ، لكنها عجزت .

وتطرّفت روسيا عندما حاولت بالتهديد الحصول على حق حماية الارثوذكس ومصالحهم في القدس وسائر أنحاء السلطنة العثمانية ، فلما رفضت تركيا ذلك بتشجيع بريطانيا ، بدأت روسيا الحرب التي تُسمى في التاريخ « حرب القرم » التي بدأت حقيقة كما قال مورخها ، في القدس بدل في كنيسة القيامة وحول القبر المقدس . وبعد اعلان الحرب خِيفَ من هجوم الغوغاء في القدس على الطائفة الارثوذكسية التي بسببها دخلت روسيا الحرب ، فأرسل السلطان أمراً ، قرأه المتصرف على الوجهاء من جميع الطوائف ونشره في المدينة ، يطلب من المسلمين الهدوء ، ويطمئن جميع النصارى . وقد خسرت

روسيا الحرب لأن كلا من بريطانيا وفرنسا دخلتها في جانب تركيا. وقبيل انعقاد مؤتمر السلام في باريس في سنة ١٨٥٦ أعلن في استانبول أمر سلطاني « خطي همايون » أعاد تأكيد مبدأ المساواة بين جميع الرعايا العثمانيين وغير ذلك من الضمانات التي رردت في الأمر السلطاني السابق « خطي شريف ». وقد أعلن الأمر الجديد في القدس، وكان الذي أعلنه المتصرف كامل باشا الذي أصبح فيما بعد الصدر الأعظم. وبُلِّغ الأمر الى الدول في باريس فرحّبت به ووعدت بعدم التعرض للشؤون الداخلية في الدولة العثمانية بحجة حماية هذه الطائفة الدينية او تلك.(٥٤)

— ١٠ —

يمكن اعتبار إصدار الخط الهمايوني في سنة ١٨٥٦ حلا فاصلا بين عهد قديم وعهد جديد في تاريخ القدس، اذ بعده امتدت المدينة من داخل الأسوار الى خارجها، وكثرت فيها مصالح الأجانب وكثر المقيمون فيها منهم، وحدث ما يشبه الانقلاب في نطاقها القضائي والاداري والتعليمي، تطبيقاً لمرسومي التنظيمات. اما اتساع المدينة فبدأه أهلها عندما أخذ اغنياء المسلمين يبنون بيوتاً جديدة الى الغرب من باب الخليل باتجاه مأمن الله، والى الشمال من باب

(٥٤) فصّلنا جميع المسائل المجملة في الفقرات السابقة في كتابنا :

A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine (London, 1969), pp. 101 — 103, 106 — 109, 117 — 119

العامود باتجاه الشيخ جراح . وكذلك اخذ اغنياء النصارى يبنون بيوتاً جديدة الى الجنوب والى الغرب من أسوار المدينة على أملاك دير الروم ودير الأرمن . واشتركت الأديرة في ذلك : فدير الروم كان له مصيف في القَطَمُون الى الغرب من البَقْعة التي كان يصيّف فيها الناس منذ عهد المماليك ، ودير الأرمن بنى أبنية جديدة على أملاكه الواقعة على يسار الطريق الى يافا .

لعل أقدم بناء أقامه الأجانب خارج السور وبقربه هو بناء المدرسة التي انشأها غُوبات ، المطران الثاني لطائفة البروتستانت بقرب باب النبي داود . وبعدها اقيمت أبنية عديدة على قطع من الأرض أهدى بعضها السلطان لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا بعد مؤتمر الصلح في باريس : أهدى قطعتين الى الجنوب من باب الخليل بقرب بركة السلطان وعلى الطريق الى بيت لحم فبنى اليهودي البريطاني سيرمُوزِس مُنْتِفْيُوري على قطعة منها صفاً من البيوت البسيطة لفقراء اليهود ، وبنت فيما بعد جمعية القديس يوحنا البريطانية على القطعة الأخرى مستشفى العيون المشهور .

وأقام الروس مجموعة من الأبنية عرفت بالمسكوبية على قطعة واسعة من الأرض واقعة على يمين الطريق الى يافا ، بعضها هدية من السلطان الى قيصر روسيا . فأقام الروس عليها بيوتاً لحجاجهم وبيوتاً أخرى للقنصلية والاسقفية مع مستشفى وكنيسة . وأقام الفرنسيون بقرب المسكوبية منزلاً لحجاجهم عرف باسم نُوتْرْدَامْ ومستشفى عرف باسم القديس يوسف . ولكن هدية السلطان عبد المجيد

للامبراطور نابليون الثالث كانت أهم من كل ما ذكر أعلاه . جاء فيما سبق من البحث ان العزيز الفاطمي انشأ « دار العلم » في كنيسة سانت حنة التي قامت بحسب بعض الروايات فوق المكان الذي ولدت فيه مريم العذراء (خلافاً لروايات اخرى انها وُلدت في الناصرة) . وهذا المكان هو قَبْو منحوت في الصخر قامت فوقه كنيسة بسيطة جاء ذكرها لاول مرة في القرن السادس الميلاد . وهي في الغالب المكان الذي فتح فيه العزيز دار العلم . فلما جاء الصليبيون أزالوا الكنيسة البسيطة وبنوا مكانها أخرى مع دير للراهبات سمّوه سانت حنة (ام مريم العذراء) ، وآل البناء الى صلاح الدين بعد جلاء الصليبيين ، فانشأ في الدير مدرسته ، وظلّ القَبْو مفتوحاً لرهبان الفرنسكان في القدس والحجاج النصارى من أوربا ومَن كان من طائفة اللاتين في المدينة . ولا يُعرف متى بَطَل استعمال البناء مدرسةً او لماذا بطلت عادة زيارة القبو . فالمشهور أن المكان كان مهملاً عندما أهداه السلطان الى الامبراطور ، فسلّمه هذا الى الآباء البيض فعمّروه وأعادوه الى ما كان عليه أيام الصليبيين ،(٥٥) وأضافوا اليه بناءاً جديداً لمدرسة لاهوتية وداراً لسكنهم .

هذه لمحة عن بعض ما أقامه الانكليز والروس والفرنسيس من المباني العامة في القدس ، ولم نذكر بعض ما أقامه غيرهم لا لعدم أهميته بل لان غرضنا هو المثل لا الإحاطة . لكن يمكن القول

(٥٥) Father B. Meistermann, Guide to the Holy Land (2nd ed. London, 1923), p. 125 — 26

إجمالاً ان « الهجوم » الاجنبي على القدس اشتركت فيه أمم أخرى من أهل الغرب ، فأرسلت من اوربا وامريكا بعثات تبشيرية وخيرية لمنفعة النصارى واليهود ، وارسلت أيضاً بعثات علمية وأثرية لدرس تاريخ المدينة المقدسة . فدخل اليها بعد نشوء تلك المصالح كثير من الاجانب الذين استغلوا الامتيازات التي كانت لدولهم ، فوضعوا أنفسهم في مرتبة فوق مرتبة سكان المدينة ، فكان القنصل الاجنبي اذا اختار نصرانياً أو يهودياً من سكانه للعمل في مكتبه صار هذا النصراني او اليهودي ، العثماني الجنسية ، كالاجانب له ما لهم من الامتيازات وخرج من طائلة القانون العثماني .

نعم جلب وجود الاجانب في المدينة بعض المنافع المادية ، وافادت مدارسهم ومستشفياتهم كثيراً من النصارى واليهود من سكان المدينة . ولكن الاثر العام لدخول الاجانب كان سيئاً ، وخاصة في الناحية السياسية ، كما سيظهر عندما نبحث تشجيعهم هجرة اليهود تحت حماية أجنبية . واسوأ آثار الاجانب هو ما يصح تسميته « بالازدواج » الذي جاء بعد التنظيمات وتقليد الغرب . وأول مظاهره ادخال غير المسلمين في المجالس الاستشارية وانتقال كثير من صلاحيات القاضي الى المتصرف ومجلسه المختلط ، واخطرها سنّ القوانين المدنية المنقولة عن القوانين الاوربية وتطبيقها بجانب أحكام الشريعة ، ثم قيام المحاكم المدنية بجانب المحاكم الشرعية . كل هذا رفع يد القاضي الشرعي عن كثير من الاحكام وحصر صلاحيته بالمسائل الشرعية الصرفة ، مع انه ظل ينوب عن المتصرف اثناء غيابه أو قبل تعيين خلفه .

ثم جاء دور التعليم ، فصدر في سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) قانون المعارف ، وليس فيه مايتعلق بإعادة الحياة الى المدارس الاسلامية الأهلية ، لا في القدس ولا في غيرها ، بل نص على انشاء نظام جديد من المكاتب على الطراز الأوروبي مدرّجة هكذا : صبيانية (ابتدائية دُنْيا) ، رُشْدية (ابتدائية عُلْيا) ، إعْدادية (ثانوية دنيا) ، سلطانية (ثانوية عليا) ، عالية (ملكية وعسكرية ودور المعلمين وغيرها) ، دار الفنون (الجامعة) ، ولم يؤسّس من هذه المكاتب في القدس إلاّ الصبيانية والرشدية والإعدادية . وكان الذين يكملون الأخيرة يذهبون الى المكتب السلطاني في بيروت ، وبعدها الى المكاتب العالية في استانبول ، وهذه كلها كانت في العاصمة [٥٦] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمشهور ان اللغة التركية لا العربية كانت لغة التعليم في هذه المكاتب الرسمية في القدس وغيرها من المدن العربية لكن الحقيقة خلاف ذلك ، اذ لم يكن بالامكان عملياً تعليم ابناء العرب باللغة التركية في المكاتب الصبيانية ، لعدم وجود عدد كاف من المعلمين الذين يعرفون تلك اللغة ، ولهذا السبب ايضاً لم يكن التعليم دائماً باللغة التركية في المكاتب الرشدية . اما المكاتب الإعدادية وما فوقها فكانت اللغة التركية لغة التعليم فيها . وهنا نذكر أحد المكاتب الاعدادية التي فتحت في القدس لعلاقته بالماضي . فقد فتح هذا المكتب في بناء

---

(٥٦) فصلنا ذلك في كتابنا
Arab Education in Mandatory Palestine (London, 1956). p. 128 f.

المدرسة الميمونية التي كانت مهملة حينئذٍ . أسسها أبو سعيد مَيْمون ابن عبد الله القصري ، خازِندار صلاح الدين ، في سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦م) ، وظلت عامرة حتى القرن الثاني عشر (الثامن عشر) ، ثم أهملت حتى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) عندما فتح فيها المكتب الاعدادي العثماني ، ولكن الاسم حُرِّف فصار المأمونية ، وبهذا الاسم قامت مدرسة للبنات في البناء نفسه في عهد الانتداب البريطاني .[٥٧]

وبعد نحو عشرين سنة من التنظيمات الجديدة في القدس وفَتْحِها للأجانب أصبحت مصالحهم فيها كثيرة وكلمتهم مسموعة . وكان ذلك من الاسباب التي جعلت الحكومة العثمانية تُرسل اليها خيرة الرجال لتوليّ وظيفة المتصرف . وبعد كامل باشا الذي ذُكر اعلاه تولاها عدد من المشهورين منهم نظيف باشا ، فهو الذي اهتم بتعبيد الطريق من القدس الى يافا ووضع الحرس عليهـا لتسهيل الحج والتجارة . وهو الذي أشرف على عمارة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة التي بدأت في عهد السلطان محمود واستمرت في عهد السلطان عبد العزيز . يذكر المؤرخون عبد العزيز بالبذخ والتبذير وقلَّما يذكرون له هذه الحسنة ، فقد بذل المال بسخاء لعمارة المسجدين التي كادت في بعض الأماكن تكون بناءً جديداً .

وجُعلت القدس متصرفيـة ممتازة متصلة رأساً باستانبول بعد صدور قانون الولايات في سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) ، وبعد اربع

---

(٥٧) جاء ذكر وقفية المدرسـة الميمونية في السجـل رقم ٢٢٨ صفحة ٢٥ (المحكمة الشرعية بالقـدس) ، عارف العارف ص ٢٣٩ .

سنين صدر قانون آخر خاص بانشاء مجالس بلدية في مراكز الولايات والمتصرفيات(٥٨). لكن المجلس البلدي في القدس قبل ذلك، كان تولّى منذ سنة ١٨٦٣ بعض مسؤوليات القاضي وبعض مسؤوليات المجلس الاستشاري في ادارة شؤون المدينة الداخلية كالنظافة والمياه والاسواق تحت رقابة المتصرف العامة. ويرد ذكر «بلدية» القدس في تقرير عن مشروع مياهها أرسله القنصل البريطاني الى السفارة في استانبول في سنة ١٨٧٤.

وغيّر معظم ما سبق ذكره من حوادث وانقلابات معالمَ مدينة القدس، وأضعف صفتها الاسلامية، وقلّل العمل بنصوص الشريعة فيها، خذ مثلاً على ذلك السماح ببناء الكنائس والكُنُس الجديدة وأولها كنيسة الانكليز البروتستانت، وما بُني بعدها من الكنائس في المسكوبية والجسمانية وعلى جبل الزيتون، ابتناها الروس وغيرهم من الأجانب، ومن هيئاتهم الجمعية الكنسية التبشيرية (البريطانية) التي ساعدت البروتستانت من العرب لبناء كنيسة مار بولس في سنة ١٨٧٤ على الطريق الى نابلس.

أما اليهود فكانت لطائفة السفارديم منهم كنيس منذ اواخر عهد المماليك، وصفها القنصل البريطاني في اواسط القرن التاسع عشر بأنها مكونة من أربع كُنُس تحت سقف واحد. وأما اقلية اليهود أي طائفة الاشكنازيم فقد سُمح لهم، بمساعي السفير البريطاني،

(٥٨) خطط الشام لمحمد كرد علي (دمشق، ١٩٢٧) ج ٥ ص ١٤١ وما يليها. وتقرير القنصل البريطاني المذكور موجود في دارالوثائق العامة بلندن FO /195/1047 (21 February, 1874).

تعمير كنيس خَرِبة ، ظل اسمها بعد تعميرها « خُرْبه » بالعبرية دليلاً على حالتها السابقة ، وقد حضر القنصل البريطاني صلاة تدشينها في سنة ١٨٥٨ (٥٩) . ولكن ممثل ملة اليهود في المجلس الاستشاري ثم في المجلس البلدي كان من السفارديم لا الاشكنازيم ، فالأولون كانوا عثمانيين اما الآخرون فكانوا اجانب وتحت حماية اجنبية .

ولأسباب مشابهة كان ممثل النصارى عادة من ملة الروم أو الأرمن لا من الكاثوليك (اللاتين) ، فهؤلاء كانوا اقل عـــدداً وأصلهم واسمهم كان فيه صدى للحروب الصليبية . ولم يتغيّر نظر الحكومة العثمانية لهم بعد سنة ١٨٤٧ عندما أعاد البابا تأسيس البطريركية اللاتينية في القدس ، فهذه كما سبق ذكره انشأها الصليبيون بعـــد تعطيلهم البطريركية الارثوذكسية ، فلما أخرجهم صلاح الدين من القدس خرجت معهم البطريركية اللاتينية وعادت الارثوذكسية الى الظهور . وبمساعي السفير البريطاني اعترفت الحكومة العثمانية بالبروتستانت ملة جديدة رغماً عن قلة عددهم وحداثة تكوين طائفتهم .

ذُكر اعلاه ان افراد الطوائف غير الاسلامية من الرعايا العثمانيين اصبحوا متساوين مع المسلمين في الحقوق والواجبات بحسب نصوص المرسومين السلطانيين . ومن هذه الواجبات التي فرضها الخط الهمايوني على غير المسلمين لأول مرة هو الخدمة العسكرية في الجيش العثماني الذي كان دائماً مكوّناً من المسلمين فقط . وكان القصد من ادخال غير

---

(٥٩) James Finn, Stirrins Times (London, 1878), Vol. I , p. 103;

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

المسلمين فيه ايجاد حيلة لاعفائهم من دفع الجزية التي كرهوها . ولكن الحيلة لم تنجح ، فاشترى المكلفون من غير المسلمين اعفاءهم من الخدمة العسكرية بمبلغ من المال عُرف اصطلاحاً « بالبَدَل » ، أي انهم ظلوا يدفعون الجزية تحت اسم آخر .

وذِكْرُ الطوائف المختلفة في القدس يستدعي العودة لمحاولة بيان عدد كل من المسلمين والنصارى واليهود فيها اثناء الرُّبع الثالث من القرن التاسع عشر ، وتوضيح ذلك ضروري لازدياد المبالغة والمناقضة في تخمين عدد اليهود مؤخراً ، واستغلال الدعاية الصهيونية لزَعْم من زَعَم انهم كانوا اكثرية السكان حينئذ وبعدئذ . وأول من وضّح سبب المناقضة هو قَسّ انكليزي كان رفيقاً في كلية الملك في جامعة كامبردج وجاء مع الاسقف البروتستانتي الاول الى القدس فألف كتاباً في مجلدين عنها قال فيه : « من المستحيل التوفيق بين الارقام المتضاربة عن سكان القدس ، فالحكومة (العثمانية) لا تُحْصي عددهم احصاءً رسمياً » [٦٠] .

ولا جدال في صحة هذا التفسير مدة تقرب من ثمانين سنة ، من منتصف القرن التاسع عشر عندما كُتب الى سنة ١٩٢٢ عندما تمّ اول احصاء في تاريخ فلسطين الحديث اثناء الانتداب البريطاني . اما أسباب المبالغة في عـــدد اليهود فكثيرة ، منها رغبة مبشري البروتستانت الذين كانوا يحاولون تنصير اليهود في القدس اثبات النبوة الخاصة برجوعهم ، ومنها ان المبالغين كانوا من محبي اليهود كالقنصل

---

(٦٠) Ceorge Williams, The Holy City (London, 1849), vol. I I, p. 613 — 14.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

البريطاني الثاني الذي قيل عنه انه « نصف يهودي » . ومنها ان المبالغين كانوا بعض اليهود الذين ارادوا ، حتى قبل ظهور الصهيونية تحسين الهجرة الى فلسطين عند يهود اوروبا . فما الذي زعمه هؤلاء ؟

قال القنصل البريطاني « نصف اليهودي » في سنة ١٨٥٨ إن عدد اليهود في القدس كان ٨،٠٠٠ أو نصف سكانها ، وان عدد المسلمين فيها لم يزد على الربع (اي حوالي ٤،٠٠٠) ، ولم يقل شيئاً عن النصارى ، لكنه يستنتج من قوله السابق أنهم شكّلوا الربع الباقي . ثم قال هذا القنصل نفسه في سنة ١٨٦٤ (قبيل انتهاء عمله في القدس) ان مجموع سكانها كان ١٥،٠٠٠ (٨،٠٠٠ من اليهود ؛ ٤،٥٠٠ من المسلمين والباقي من النصارى) [٦١] . معنى هذا الكلام ان مجموع سكان المدينة نقص الفاً في ست سنوات ، وان عدد اليهود ظل دون زيادة اثناء تلك السنوات ، وان عدد المسلمين زاد ٥٠٠ نسمة فقط اثناء تلك السنوات ، وان عدد النصارى نقص ٢،٥٠٠ نسمة . فمن الواضح انه لا يمكن قبول أرقام يلغي بعضها بعضاً على هذه الصورة !

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم جاء قنصل بريطاني آخر اعتمد مثل سلفه على الحدس والتخمين ، مع انه لم يكن مثل سلفه أعمى البصيرة في محبة اليهود . قال في سنة ١٨٦٥ ان عدد سكان القدس بلغ ١٨،٠٠٠ فيهم ٨،٠٠٠ — ٩،٠٠٠ من اليهود ، ٥،٠٠٠ من المسلمين ؛ والباقي من

(٦١) دار الوثائق العامة في لندن :
FO/78/1383 : From Consul Finn to Clarendon (1st January, 1858), FO/195/808 : Consul Finn's Report (May. 1864). vol. I I , p. 462 — 63 .

النصارى . ثم قال في سنة ١٨٧٤ ان عدد اليهود الأجانب كان حوالي ٣٫٠٠٠ نسمة .[٦٢] وكلام هذا القنصل ايضاً لا يمكن قبوله لأنه لا ينطبق على كلام من سبقه ولا على ما جاء في مصدر اشتهر بالدقة ، اذ في سنة ١٨٧٦ (اي بعد سنتين من آخر تقرير قنصلي) أصدر بَدِكَر اول دليل للمسافرين في فلسطين وسورية ، فقدَّر عدد سكان القدس بنحو ٢٤٫٠٠٠ (منهم ١٢٫٠٠٠ من المسلمين و ٧٫٠٠٠ من النصارى و ٤٫٠٠٠ من اليهود .[٦٣] فاذا قُوبل هذا مع ارقام القنصل البريطاني عن سنة ١٧٧٤ تبين ان مجموع سكان المدينة زاد في سنتين من ١٨٫٠٠٠ الى ٢٤٫٠٠٠ ، وزاد عدد المسلمين في هاتين السنتين من خمسة آلاف الى ثلاثة عشر ألفاً ، وزاد عدد النصارى من اربعة آلاف الى ستة آلاف ، وانخسف عدد اليهود من تسعة آلاف الى اربعة آلاف . هذه الأرقام اقرب الى الحقيقة ولكنها مثل غيرها قائمة على التخمين والتقدير ، لا على احصاء رسمي دقيق ، وفهمها يحتاج الى النظر في المساحة التي عرفت بحارة اليهود .

من المحقق ان جميع اليهود أقاموا حتى حرب القرم في المدينة داخل الاسوار في تلك الحارة . وكلمة الحارة معناها في القدس الحي ، وكان معناها سابقاً الشارع ، وهذا كان معناه الخط . ووُجد اليهود

---

(٦٢) دار الوثائق العامة في لندن :
FO/195/808 : Consul Moore's Report (March, 1865) .
FO/195/1047 : Consul's Moores Report (21 February, 1874) .

(٦٣) Karl Baedeker, Handbook for Travellers (Palestine and Syria), 1876 edition p. 161 — 62 .

http://archivebeta.sakhrit.com ARCHIVE

اولاً في خط او شارع واحد على المنحدر الواقع بين حارة الأرمن من الغرب وحارة الشرف الاسلامية من الشرق . وهذا الحيّز الضيق لم يتسع بعد نهاية القرن الخامس عشر لايواء اللاجئين من اسبانيا والمهاجرين من بولونيا ، فاستؤجرت بيوت المسلمين في الشوارع المجاورة لهذا الغرض . وكان كثير من هذه البيوت على املاك الأوقاف الخيرية أو الذرية وبعضها على الاملاك الخاصة ، وهذا مثل على ذلك يعود الى القرن السابع عشر مأخوذ من سجلات المحكمة الشرعية لسنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) التي تَنُصُّ على ان احد علماء القدس وهو السيد عبد القادر الوفائي قد أجّر « لليهودية المدعوة عزيزة بنت اسحق جميع الدار العلوية والقاعة السفلية القائمة البناء بمحلة الشرف بالقدس الشريف ، سكناً وإسكاناً لمدة خمس سنوات بأجرة قدرها ستون غرشاً اجرة كل سنة اثنا عشر غرشاً » (٦٤).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان شراء الاملاك غير المنقولة مباحاً لطائفة السفارديم لأنهم كانوا من الرعايا العثمانيين ، أما طائفة الاشكنازيم فلم يسمح لهم ذلك الى أن صدر القانون العثماني الخاص بتملك الأجانب في سنة ١٨٦٧ . وهذا يفسر ما جاء في تقرير من القنصل البريطاني ان طائفة السفارديم أجبرت القادمين من طائفة الاشكنازيم على دفع ضريبة حتى يسمح لهم بالاقامة في الحي اليهودي (٦٥) ، فضيقه سبب كثافة شديدة في سكان المنازل الموجودة وضرورة استئجار ما أمكن استئجاره

(٦٤) سجل رقم ١٠٢ صفحة ٧٣ .

(٦٥) ذكر ذلك القنصل البريطاني « فن » في تقريره
FO/78/2068 (27 June, 1849) .

من املاك الوقف الاسلامي أو املاك المسلمين الخاصة . والغريب ان القنصل الذي ذكر ما سبق لم يُدرك استحالة وضع اكثرية السكان (على زعمه) في أصغر مساحة من المدينة !

على كل حال كان اليهود الاشكنازيم رعايا دول اجنبية ، دخلوا المدينة واقاموا فيها اقامة موقتة ولم يدفعوا شيئاً من الضرائب ، ولكن لم تكن لهم حقوق اليهود العثمانيين في انتخاب رئيس الحاخامين أو ممثل الملة في المجلس الاستشاري او المجلس البلدي . فالذي يستنتج مما سبق من البحث انه قُبَيْل الانتخابات البلدية التي سبقت الانتخابات النيابية في سنة ١٨٧٨ كانت اكثرية سكان القدس من المسلمين ، مع أقلية من النصارى (نحو نصف المسلمين ، على تقدير بَدِكَرْ) وأقلية أقلّ منها من اليهود (اقل من ثلث المسلمين ونحو نصف النصارى ، بحسب تقدير بَدِكَرْ أيضاً) . أما عدد المسلمين او النصارى او اليهود بالضبط فلا يُعرف ولا يمكن قبول أي تقدير له للأسباب السابقة الذكر .

لكن الانتخابات دلّت على صحة النِسَب السابقة على وجه الاجمال . فكان رئيس البلدية مسلماً ، ومَثَّل النصارى في المجلس البلدي عضو واحد ، كما مَثَّل اليهود (العثمانيين) فيه عضو آخر . وانتخب رئيس البلدية عُضْواً في المجلس النيابي (المبعوثان بالتركية) في استانبول . وهذا ما كانت عليه الحالة عندما بدأ التوازن بين سكان القدس يَخْتَلّ بهجرة اليهود من روسيا اليها بعد سنة ١٨٨٢ .

للبحث صلة

عبد اللطيف الطيباوي

نحو معجم جديد

الدكتور حسين نصار

في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، أي منذ اثني عشر قرناً من الزمان ، ابتكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم للغة العربية .

قد يقال إن العرب أصدروا كتباً لغوية كثيرة قبل أن يفكر الخليل في كتابه . وهذا حق . ولكن هذه الكتب ليست معاجم ، ولا نستطيع أن نعدها كذلك . لأنها تختلف عن المعاجم في الهدف ، والمنهج ، وان اتفقت معها في الاهتمام بألفاظ اللغة وجمعها وتدوينها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رمى الخليل الى اجراء حصر للغة العربية ولكنه كان على يقين من عجزه عن حصر جميع الالفاظ العربية ، وما يدل عليه كل لفظ من معان حتى قال قولته المشهورة : لا يحصر اللغة العربية الا نبي ، يريد أن انساناً عادياً يعجز عن ذلك ، ويحتاج الامر الى فرد ملهم تمده القدرة الالهية بطاقة غير بشرية . ولذلك لجأ الى نوع ممكن من الحصر .

فكل ما في اللغـة من ألفاظ يتكون من حروف تتآلف على هيئات وأبنية معروفة . فإذا حصرنا الحروف والهيئات حصرنا الصيغ

اللغوية أو الالفاظ . وذلك أمر يسير . فالعربية تضم — في رأي الخليل ٢٩ من حروف الهجاء . ويمكن أن يأتلف عدد من هذه الحروف معاً في الكلمة الواحدة ، وألا يأتلف . فإذا ما ائتلفت كان أصغر بناء لائتلافها يضم ثلاثة حروف ، وأكبر بناء يضم خمسة حروف .

وقد اعتمد الخليل على هذه الأسس في معجمه الذي سماه « العين » ، فوصل الى الهدف الذي رمى اليه .

ولكنه اشتمل على عدد من النقائص والمصاعب ، شأن كل عمل مبتكر على غير مثال سابق . وحذا بعض أصحاب المعاجم التالية حذوه ، فاشتملت معاجمهم على ما اشتمل عليه العين أو كادت . وفطن بعضهم الآخر الى بعض النقائص فخلصوا معاجمهم منها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت الصعوبة الأولى ترتيبه حروف الهجاء وفق مخارجها من جهاز النطق البشري[١] ، مبتدئاً بالحروف الحلقية ومنتهياً بالشفوية . فكان الحرف الأول عنده العين ، ومنه اكتسب المعجم اسمه ، والحرف الأخير الميم . ولما كان هذا الترتيب غير مألوف كان عسيراً على الباحثين .

وعلى الرغم من صعوبته التزمه أبو علي القالي في « بارعه » مع تغيير في ترتيب الحروف ، وأبو منصور الأزهري في « تهذيبه » ، وابن سيده في « محكمه » والصاحب بن عباد في « محيطه » . وإنما تجنبه ابن دريد (المتوفى في ٣٢١ هـ) في « جمهرته » عندما عدل عنه الى الترتيب الالفبائي المعتاد . ولكن أموراً متعددة راعاها في

المعجم ، وفي الملحقات الختامية أفسدت عليه ترتيبه الألفبائي ، وجعلت البحث في الكتاب عسيراً كل العسر .

وسار أحمد بن فارس على هدي ابن دريد في الترتيب الألفبائي ولكنه بدأ كل حرف ـ مهما كان موقعه من الالفباء ـ مؤتلفاً مع ما يليه في الترتيب الالفبائي ، متأثراً في ذلك بالخليل الذي كان مضطراً الى هذا الاجراء بسبب مراعاته لنظام التقاليب . فأفسد ترتيبه بعض الافساد وقلّل من أهميته .

وكان من الممكن أن تتخلص المعاجم من كل نقص في الترتيب في الخطوة التالية لولا سيادة الاتجـاه الادبي الذي كان يحتفل كل الاحتفال بالحرف الاخير من الكلمة من أجل القافية والسجعة . فاتجهت انظار المعجميين ـ على يد البندنيجي (ت ٢٨٤ هـ) والفارابي (ت ٣٥٠ هـ) والجوهري (ت في حدود ٤٠٠ هـ) ومن قلدهم الى أواخر الكلمات أولاً ثم أوائلها ثانيا ثم حروفها المتوسطة أخيراً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستمر هذا النظام طويلا ، وأخرج أهم المعاجم العربية وأكبرها مثل صحاح الجوهري ، وعباب الصغاني ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي .

ووصل الترتيب الى كماله عند الزمخشري في أساس البلاغة . فقد التزم الترتيب الالفبائي ، وأخضع له الكلمات مبتدئاً بحروفها الاولى فالثانية فالثالثة فالرابعة فالخامسة . وكان هذا أيسر ترتيب ابتكرته العربية . ولذلك التزمته المعاجم الحديثة .

وكانت الصعوبة الثانية نظام الأبنية . فقد قسم الخليل كل حرف

من حروف العربية الى أبواب حسب الأبنية التي تضمها . فكان الباب الأول لما نسميه اليوم الثلاثي المضاعف مثل شدّ ، والباب الثاني للثلاثي الصحيح مثل عمل ، والثالث للثلاثي المعتل مثل عرا ، والرابع للثلاثي اللفيف مثل وعى ، والخامس للرباعي مثل جعفر ، والسادس للخماسي مثل جحمرش .

والتزم هذا النظام التزاماً تاماً أو قريباً من التام القالي والأزهري وابن سيده وابن عباد وابن دريد . ولم يتجنبه ابن فارس تجنباً تاماً وانما حصره في ثلاثة أبواب فقط ، هي الثلاثي المضاعف ، والثلاثي الصحيح ، وما زاد على ثلاثة حروف أصلية . فيسّر الأمر . وترك التغلب التام عليه للجوهري في « الصحاح » فانه لم يأبه للأبنية ، وأورد الألفاظ وفق ما تشتمل عليه من حروف سواء كانت ثلاثية أو رباعية أو خماسية . وعلى هذا المنوال سارت المعاجم التي قلدت الصحاح في الترتيب ، وكذلك أساس البلاغة والمدرسة الحديثة .

وكانت الصعوبة الثالثة نظام التقاليب . فمن أجل حصر المواد اللغوية ، التزم الخليل أن يأتي بكل الصور أو التقاليب الممكنة من ائتلاف عدد من الحروف متوالية في موضع واحد .

فكان يورد في أبواب الثــلاثي المضاعف الصورتين الممكنتين متواليتين مثل شبّ وبشّ ، وفي أبواب الثلاثي الصحيح الصور أو التقاليب الستة مثل لعب ، لبع ، عبل ، بلع ، بعل ، مع التصريح بما استعملته العربية من الصور وبما اهملته . ولم يفعل ذلك في الرباعي والخماسي لكثرة التقاليب وغلبة المهمل .

وقد تخلصت المعاجم العربية سريعاً من هذا النظام . فقد تجنبه ابن دريد في أكثر الابواب والتزمه في أقلها . وتخلص ابن فارس منه نهائياً .

ونستطيع أن نقول ان المعاجم العربية تخلصت بذلك من مصاعب ترتيب الالفاظ في المعجم . ولم يبق غير مشكلة المجرد والمزيد . فالمعاجم العربية كلها تعتمد في الترتيب على المجرد أي الحروف الاصلية التي لا تسقط من أية صورة من صور المادة اللغوية لغير سبب صرفي ، وتهمل الحروف المزيدة التي ترد في بعض الصيغ وتختفي من بعضها الآخر . فالكاف والثاء والراء هي الحروف الأصلية من كثر ، وبقية الحروف التي تظهر في أكثر ومكثر وتكثر ومكاثر واستكثر ... الخ مزيدة . واذن فالواجب على الباحث في المعجم العربي أن يميز بين الأصلي والمزيد من الحروف ليعرف موضع الكلمة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اختلف اللغويون في الدعوة الى الاعتداد بالحروف المزيدة والاصلية والاعتماد على صورة الكلمة مهما كانت في الترتيب . والسبب أن ذلك يفرق الصيغ المأخوذة من مادة واحدة ، فيبعد المعنى الأصيل في بعض الأحيان .

ويكاد الامر يستقر بينهم الآن على الاعتداد بالحروف الأصلية وحدها في المعاجم اللغوية الخالصة ، والاعتداد بالحروف الاصلية والمزيدة في معاجم المصطلحات والمعاجم التي تقتصر على موضوع واحد مثل النبات أو الحيوان أو ما الى ذلك .

واذا ما خلصنا من ترتيب المواد اللغوية برز أمامنا داخل المادة اللغوية الواحدة :

فالخليل لم يخضع داخل المادة اللغوية لأي نظام : لا في الصيغ ولا في المعاني . ولذلك تتناثر الصيغ المترابطة والمتقاربة بل الصيغة الواحدة في ارجاء المادة بحيث يجب عليك أن تقرأ المادة كلها لتعثر على ما تريد وتطمئن الى انك اطلعت على كل ما جاء بشأنه . وكذا الامر في المعاني ، والشواهد القرآنية والشعرية وغيرها وسارت على هذا المنوال المعاجم القديمة كلها غير بعض المحاولات القاصرة .

فقد عزل أبو بكر الزبيدي في « مختصر العين » الصيغ الرباعية المضاعفة ، والصيغ المضاعفة الطرفين مثل كمك ، والصيغ الثنائية المخففة مثل صه عن مجرى المادة المتدفق ، وأتى بها في ختامها . والتقط ابن سيده منه هذا الاجراء فطبقه في محكمه .

وفطن احمد بن فارس الى أن المادة اللغوية الواحدة قد تدل على معنيين اصليين أو اكثر تندرج تحتها صيغها . فالتزم في « مقاييسه » أن ينبه على هذه المعاني الاصلية ، وأن يفرق بين كل واحد منها ، ويأتي تحته بما يحتوي عليه من صيغ .

وعزل الزمخشري في « اساسه » المعاني الحقيقيـــة عن المعاني المجازية وعن الاستعارة .

وعلى الرغم مما شاب هذه المحاولات من نقص ، وخاصة محاولة الزمخشري يحمد الباحث لأصحابها ما ابتكروه وتصوروه ، ويعذرهم النقص في التطبيق .

ويصل الامر الى كماله في المعاجم الحديثة ، وخاصة ما اصدره بطرس البناني وسواه من اللبنانيين ومجمع اللغـــة العربية بالقاهرة .

فكل صيغة لها موضعها المحدد ، وتوضع معانيها جميعا في موضع واحد ، فلا يضل الباحث في متاهات المادة ، ولا تزحمة المكررات .

ولم يضبط الخليل في أكثر الاحيان المواد والصيغ التي تحدث عنها ، فتسرب اليها التحريف والخطأ في الشكل .

ولكن اللغويين تنبهوا الى ذلك الخطر سريعاً . نجد أمثلة ذلك في بارع القالي الذي يضبط مادته ضبطا محكما . ولكن الامر الذي يؤسف له أن من جاء بعده لم يلتزم نهجة في اصرار ، وانما ضبط احيانا . وأهم المعاجم القديمة في الضبط تاج العروس .

أما المعاجم الحديثة فالتزمت الضبط التام تصريحاً أو تلميحاً أو اشارة ، بحيث يمتنع الخطأ فيها ، على الرغم من الايجاز الذي التزمته في اشاراتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفطن اللغويون القدامى الى ان الخليل لم يورد جميع المواد اللغوية ، ولا كل الصيغ ، ولا جميع المعاني . فتوالت الكتب التي تستدرك عليه ما فاته ، اضافة الى المعاجم نفسها التي حاولت ذلك في صمت مهـــذب أحياناً ، وفي اعلان معلم أحياناً ، وفي جهر متبجح أحياناً .

وعلى الرغم مما فعل اللغويون القدامى مشكورين ، ومن بذلهم الجهود السخية في الجمع ، لا نستطيع الادعاء بأنهم جمعوا فأوعوا ، ولم يتركوا شاردة ولا واردة . فما زال العلماء المحدثون يعثرون فيما كشفوا عنه من دواوين ومجاميع ومختارات شعرية على ما لم يدونه

اللغويون ، فيستدركونه عليهم . وقد صنع الأستاذ عبد السلام هارون قائمة من هذه المستدركات ، دونها في ختام المفضليات .

ونخلص من هذا بأن الصورة المثلى للمعجم عند العرب هي المعجم الذي يلتزم بالترتيب الالفبائي لحروف الهجاء الأصول ، يطبقها على الكلمات وفق صورتها الطبيعية من أوائلها إلى أواخرها تدريجيًا .

وهو المعجم الذي يفصل بين المعاني المختلفة لكل مادة ، ويورد الصيغ في مواضع محددة لاتعدوها ، وهو المعجم الذي يضبط فيسهل على الصغير القراءة كما يسهل على الكبير .

هذه هي الصورة المثلى : اقتربت منها معاجم وابتعدت عنها معاجم ، ولكنها الصورة المثلى عند القدماء . ويبقى عند المحدثين كلمات وكلمات تعطى صوراً أخرى تعتمد على تطورات مغايرة للتطور القديم .

يبقى المعجم العام ، أعني المعجم الشامل لجميع ما تحتوي عليه العربية . ولعل أول خطوة في سبيل تنفيذه جمع ما بقى عندنا من المعاجم القديمة والرسائل اللغوية ، واستخلاص ما تتضمنه من صيغ ومعان . ويكفي أن أشير الى أنني في أثناء تحقيقي لبعض أجزاء تاج العروس عثرت على أشياء في اللسان وليست في التاج على الرغم من رجوعه واحتوائه عليه بل عثرت على أشياء أتى بها صاحب التاج في مواضع متفرقة ولم يأت بها في موضعها الجدير بها . فما بالنا

ببقية الكتب التي ربما لم يرجع اليها أحد من أصحاب المعاجم الباقية. وهذه الخطوة على أهميتها أيسر الخطى .

والخطوة الثانية جمع ما بقي عندنا من التراث العربي كله دون استثناء ما ، لا أفرق بين كتاب كبير وآخر صغير ، أو كتاب عظيم وآخر حقير ، أو كتاب في الدين وآخر في العبث أو السحر ، وانما اريد كل شيء ، وفي كل علم وفن ومنحى .

وعند ذلك تصنف التراث حسب ما يحتوي عليه من موضوعات ، تصنيفا دقيقا على أنواع النشاط الفكري البشري المعروفة .

ونقسم كل واحد من هذه الاصناف تبعا للقطر الذي أصدره ، سواء كان قطرا عربيا أو قطرا اسلاميا أو قطرا يضم جاليات اسلامية ، ومهما كان موقعه من أرجاء العالم ، ولا يهمني منه الا ان يكون مكتوبا بلغة عربية ، مهما كان مستواها من الصحة أو الفصاحة ، قد نهمل في مبدأ الامر بعض الاقطار لضآلة ما أنتجته وبعده عن العربية الحقة ، مثل بعض أقطار افريقيا والشرق الاقصى . ولكن هذه الضآلة نفسها تجعلني (أتساءل) : ولم نهمله ، وهو هيّن الانجاز ؟ .

ونخضع كل واحد من هذه الاصناف للتاريخ العربي ، فنقدّم ما كان تأليفه مبكرا ، ونؤخر ما كان متأخراً ، وأتدرج به الى يومنا هذا . وأعتقد أن أبناءنا سيصلون منه ان شاء الله ما انقطع بانقطاعنا .

ونغذي العقول الحاسبة أو الحاسبات الالكترونية بهذا التراث

كله ، كما يفعل الآن الأخ العالم الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح بالدواوين الجاهلية ، وعدد من عرب الولايات المتحدة الامريكية المهتمين بتراثهم القديم بجماعة من الكتاب العرب .

ثم نطلب الى هذه الحاسبات أن تعطينا كلمة كلمة ، فتعطينا الكلمة في استخداماتها كلها مصنفة على الاقطار ، ومرتبة على السنوات ، وما علينا الا أن نتتبع معانيها في هذه الاستعمالات ان تعددت ، ونتبين الاختلاف بينها ان تفاوت ، ونستنبط أسباب التباين . ان فعلنا ذلك أرخنا لهذه الكلمة . وان فعلنا ذلك في كل كلمة أرخنا للغة . وان أرخنا للغة أرخنا للفكر العربي .

ذلك هو المعجم الشامل الذي أتصوره . ولا أتصور أن هيئة واحدة أو قطراً منفرداً أو جيلاً معيناً يعجز عن انجازه وانما هذا عمل هيئات واجيال واقطار متضافرة ، ترصد له المال المتصل ، وتقسم العمل المتكامل ، وتهيىء الوسائل لاطراد السعي ، فلا تواني ولا تقصير ولا اهمال . ان تحقق ذلك كان معجمنا أو موسوعتنا أو خزانة فكرنا . والا فهو أمل بعيد المنال .

ولقد عانت الأمم الأخرى أعظم مما علينا أن نعاني نحن لانجاز مثل هذا المعجم . فلم تكن الحاسبات الالكترونية قد اخترعت ولا عرفت طرق الافادة منها في المجالات اللغوية . فاضطرت هذه الأمم أن تعتمد على الجهد البشري وحده .

ويمكن أن نتخذ من معجم اكسفورد الكبير في اللغة الانجليزية مثالاً . فقد بدأ العمل فيه سنة ١٨٥٧ م ، وظهر الجزء الأول منه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنة ١٨٨٨ م . والجزء العشرون (وهو الأخير) في سنة ١٩٢٨ م .

وقد أشرف على انجازه جماعة كبيرة من العلماء كانوا ينشرون من وقت الى آخر عناوين عدد من الكتب يلتمسون من القراء أن يطلعوا عليها ، ويلتقطوا منها كلمات عينوها لهم ، يوردونها في استعمالاتها . وقد لبى هذه الالتماسات نحو من ١٣٠٠ قارىء ، اختاروا نحو ثلاثة ملايين ونصف المليون من الشواهد التي التقطوها من نحو ٥٠٠ كتاب . وانكب العلماء الكبار والمساعدون على هذه المادة المجموعة ينظمونها ويمحصونها ويدرسونها ويدونونها في مواضعها المناسبة من المعجم الى أن تم . ولم يكن ليتم بدون هذا التنظيم ، والتطوع ، والبراعة ، وما تستلزمه .

ويبقى المعاجم الخاصة بالأدباء . فقد فطن اللغويون الغربيون الى أن كل أديب له نهجه الخاص في التعبير ، سواء أنظرنا الى معاني الكلمات التي يستخدمها أو الى الطريقة التي يجمع بينها وبين غيرها من الالفاظ في عبارات وجمل ، فالاديب الكبير خاصة يوسع من معاني الكلمة ويضيق ويجري شيئاً من التغيير ويزيد بعض الاضافة المجازية ، وتترابط ألفاظ معينة في ذهنه ، وتتصرف تصرفات قد تغاير تصرفاتها عند غيره . ولا شيء يبرز لنا كل هذا سوى المعجم الذي يقتصر على هذا الأديب ، ويحتوي على كل ما استعمله من الفاظ مفردة ومركبة .

وقد رأيت معجماً صنعه الانجليز لشاعرهم الكبير شيكسبير ولكنهم اقتصروا فيه على ايراد اللفظ ، والعبارات التي أورده الشاعر فيها ، ومواضعها من انتاجه الأدبي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحذا حذوهم اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح فقد غذى الحاسب الآلي في «مركز اللسانيات الجزائري الذي يشرف عليه بخمسة دواوين من الشعر الجاهلي . واستطاع أن يستخرج منه قدراً من الالفاظ التي أرادها .

وبدأ قسم اللغة العربية في كلية الآداب من جامعة القاهرة تنفيذ الفكرة الكاملة التي تحدثت عنها . فكلف عدداً من طلاب الدراسات العليا فيه بصنع هذه المعاجم . وقد أنجز منها معجم كعب بن زهير ، ويوشك أن ينجز ديوان عمرو بن قميئة .

ويسجل الباحث في هذا المعجم كل كلمة استخدمها الشاعر ، ويبين نوعها اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وصيغتها ، ومعانيها ، وتركيبها ان كان لها نمط خاص في التركيب . ويقابل الباحث كل خطوة من خطواته على اللسان والتاج خاصة ، ويسجل كل خلاف بين ما فيها وما يصل اليه من عمله .

فاذا ما أنجزنا معاجم الشعراء الجاهليين مثلا استطعنا أن نعرف اللغة العربية في العصر الجاهلي معرفة دقيقة وشاملة . بل ربما استطعنا أن نصل الى معرفة كثير من خصائص اللهجات المختلفة .

وإذا فرغنا من سائر الدواوين والاثار الادبية ، استطعنا أن نتعرف على لغتنا الأدبية ، وأن نؤرخ لها من عصر فعصر . وكان ذلك خطوة طيبة نحو المعجم العام .

ويبقى المعجم الاشتقاقي . ويقسم الكلمات التي يعالجها الى ثلاثة أنواع :

— النوع الأول العربي الأصيل . ويحاول أن يستبين فيه معناه الأول الذي يدل عليه الاشتقاق ، وأن يستبين كيف نتجت عنه بقية المعاني ، ومتى ، فيميز بين المعاني الحسية والمجردة ، والمعاني الحقيقة والمجازية ، والمعاني العادية والادبية . ويطبق المنهج نفسه على الصيغ التي استخدمتها اللغة من كلّ مادة .

— والنوع الثاني المشترك بين العربية والساميات الاخرى : سواء عرفنا على وجه اليقين أن العربية لغته الأم أو أن العربية أخذته من واحدة من أخواتها الساميات أو بقي الامر أمامنا مترجحا لا سبيل الى اليقين فيه . ومثل هذه الكلمات يجب أن يبين المعجم هيئاتها ومعانيها في اللغات السامية التي استعملتها ، ويقابل بينها وبين العربية . ثم يخضعه للدراسة التي اخضعنا لها النوع السابق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والنوع الثالث الدخيل الذي أخذته العربية من غير الساميات . ويحاول المعجم أن يبين اللغة الاصلية لها ، والصيغة التي استمدت العربية منها ما أخذته ، ومعناها ، والوسيلة التي تم بها الأخذ ، ومتى كان ذلك ، وما أجرته العربية على بنية هذه الكلمات من تغييرات وتعليلها . واذا كانت العربية قد عاملت هذه الكلمة معاملتها لبنائها من الاشتقاق والتغيير في المعنى كان علينا أن نرصد ذلك كله .

ويبقى المعاجم اللغوية المعتادة . وقد حققت معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومعاجم مكتب تنسيق التعريب بالمغرب ، والمعاجم التي ألفها اللبنانيون المحدثون ، حققت كثيراً من الأماني .

وأتصور أن الواحد من هذه المعاجم لا بد أن يمحص كل خطوة

من خطواتها قبل الاقدام عليها . لا بد أن يمحص الاسباب التي تدعو إلى تأليفه والغاية التي يرمي إليها . فاذا ما تعرف عليها تلمس الطرق إلى بلوغها . فلا تكون المعاجم متماثلة ، تبغي إرضاء جميع الباحثين على اختلاف ثقافاتهم وأعمالهم وحاجاتهم .

ولا بد أن يمحص المادة التي يتألف منها . فليس من المستطاع ولا من المستحب أن توضع المفردات اللغوية كلها في كل المعاجم ، ولا أن نستقصي جميع المعاني التي تعزى إلى كل كلمة ، ولا أن نتبع المعاني التي تعاقبت عليها في العصور المتباعدة . فمن المعاجم ما يجب ألا يوضع فيه المهمل ولا الغريب ولا الأدبي من الألفاظ والمعاني . ومن الصيغ ما يجب حذفه لقياسيته .

ولا بد أن يوضع نظام صارم لترتيب المعجم وفق الألفباء . تخضع له المفردات ، وتخضع له الصيغ تحت كل مادة ، وتخضع له المعاني . فيفصل ما بين الأفعال والأسماء من الصيغ . وتعطي كل صيغة رة أ خاصاً بها لا يتغير ولو سقط بعضها من الاستعمال . ويخصص لها موضع ثابت لا يتغير .

وإذا كانت المادة اللغوية لها معنيان أساسيان أو أكثر قسمت وفقاً لمعانيها ، ووضعت الصيغ الموافقة لكل معنى تحته على نظامها . ويجب أن ترتب معاني كل صيغة ترتيباً واضحاً ، فتقدم المعاني الأكثر شيوعاً ثم الشائعة ثم الأقل شيوعاً وتؤخر المصطلحات .

ويجب أن نمحص طرق تفسير المعاني . فيعتمد على الصور فيما يمكن تصويره . ويعدل عن التفسير بالمترادفات أو بكلمة « معروف »

التي أكثر القدماء من استخدامها أو بعبـــارة القدماء المبهمة أحياناً والموهمة أحياناً . ويعتمد على العبارات الدقيقة الشاملة التي تبرز ما يراد تفسيره في ذهن القارىء وتجلوه . وكثيراً ما يحسن الاعتماد على الشاهد الذي وردت فيـــه الـكلمة ، وخاصة في المعاجم المتوسطة والكبيرة لأن التفسير المجرد لا يوضح الفروق الدقيقة بين معانيها توضيحاً كافياً .

ويجب في المعاجم الحديثة الاستفادة من التطورات الحديثة على ما كنّا نسميه قديماً فقه اللغة ، وما كان بعض المحدثين يستحب تسميته علم اللغة . فقد صار هذا العلم علوماً متعددة كلها مؤثر في صناعة المعاجم ، وواقع لها .

ولعل آخر ما يجب الحديث عنه طباعة المعاجم . فهي ذات أهمية كبيرة ، لأنها تقرب حاجة القارىء أو تبعدها ، وترغّبه أو تنفّره ، وتوضّح له أو تبهم . فيجب أن يمحص كل ما يتصل بها من ورق وحبر وحروف وصف وطبع وتصحيح .

فالمعجم كتاب خالد ، يلجأ إليه الكبير والصغير ، من نال حظّاً كبيراً أو صغيراً من الثقافة ، ويعتقد كل راجع إليه فيه الصدق والضّبط . ولذلك فهو عظيم الخطر .

حسين نصار

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

النحو والنحاة

صلاح الدين الزعبلاوي

كان على الأئمة من النحاة حين عمدوا إلى اتخاذ قواعد اللغة وتقنين أصولها ، أن يعرفوا ما انتهى إليهم من كلام من يُحتجّ بهم من الفصحاء ، وبوثق بهم من الرواة ، ويأخذوا بتأمله وتدبره ، ويمضوا الى تقسيمه وتصنيفه ، ويجهدوا في تتبعه واستقرائه . ذلك ليستشفّوا النظم التي صيغت بها اللغة المحكيّة ، ويكشفوا عن سنن ما جرت به ألسنة الفصحاء على السليقة ، وما طاعت به قرائحهم على السجيّة والطبيعة .

فما اطّرد من كلام العرب على حال استنبطوا حكمه ، وحملوا غير المنقول على المنقول منه ، وجعلوه قياساً لنظائره . فإذا سمع شيء يأباه قياسهم هذا ، اتسعوا له وأخذوا به إذا اشتهر وشاع ، فإذا ندر أغفلوه ، وأوجبوا فيه القياس ، حملا له على أمثاله ، وتأصيلاً لما أستنوا به من حدود وقوانين .

قال عبد اللطيف البغدادي فيما حكاه المزهر (١/٣٧) : (إعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدّاه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه) .

ومن ثمّ كان اللغويون أعلق بالنص شأن الأصمعي ، والنحويون أحرص على القياس شأن الخليل . فالنحاة لم ينقلوا اللغة المحكية في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأصل ، بل سبقهم إلى جمعها اللغويون أنفسهم . ولو أن منهم من شارك في نقلها وجمع مادتها وإعدادها ، كما فعل أبو عمرو بن العلاء .

هذا والأصل الذي جرى عليه النحاة في استنباط أحكامهم ، أخذهم بالأكثر والأغلب ، وترك ما عداه . ففي طبقات النحويين لأبي بكر الزبيدي أن ابن نوفل روى عن أبيه أنه سأل أبا عمرو ابن العلاء : « أخبرني عما وضعت مما سمّيته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ » فقال لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب ، وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الأكثر ، وأسمّي ما خالفني لغات » (المزهر ١/١١١) .

وأنت ترى ذلك واضحاً جلياً فيما أثر عن عيسى بن عمر وسيبويه والكسائي والفراء والأخفش ، وعن أبي علي الفارسي وابن جني وابن الأنباري وسواهم . قال سيبويه في باب بناء الافعال المتعدّيه (٢/٢١٤) : « فأما هذا الأقل ، فوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ، ولكن الاكثر يقاس عليه » . وقال (٢/٣٦٢) : « ولا ينكر أن يجعلوها معتلة ، في هذا الذي استثنينا ، لان الاعتلال هو الكثير المطرّد » . ونظير ذلك كثير في الكتاب .

فأئمة النحو قد أخذوا بما اطّرد سماعه عن العرب فجعلوه قياساً ، وعللوا هذا القياس وسبّبوه ، فاذا اتفق عن العرب مطرد في القياس والاستعمال فلا خلاف في إيثاره . قال ابن جني في الخصائص (١/١٣٢) : « وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك مالا غاية وراءه » . لكن المسموع لم يجر على حدّ أو يستقم على وجه ، على ما هو معروف . فما خرج منه عن سمت القياس وحاد عن جادّته ، واطرد استعماله اتبعوا السماع فيه ، ولم يتجاوزوا

ذلك إلى القياس عليه .. ولكن هل أجازوا ، في هذا ، الاخذ بالقياس إلى جانب السماع ؟ أقول شذّ (استحوَذ واستصوب) فاطرد استعمالها على التصحيح دون إعلال ، فهل استصوبوا (استحاذ واستصاب) على الإعلال ؟ الاصل أنه إذا عارض السماعُ القياس أخذوا بالسماع وآثروه ، لان غاية النحو معرفة ما نطق به العرب ، وقد عُرف بالسماع ، وليس ينبغي أن يُنكر الشذوذ في اللغة . وقد جاء في المزهر (١/ ١٣٧) حول المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس : (أخبرنا أبو بكر أحمد بن يحيى ، قال يقال استصوبت الشيء ، ولا يقال استصبت ، ومنه استحوذ) . وفصل ابن جني ، فما استغنى عنه العربُ فاحلوا محله ما يغني عنه ، كما أحلّوا (استحوذ واستصوب) محلّ (استحاذ واستصاب) فقد اعتدّ الاستغناء فيه أصلاً من أصول الحكم ، كما اعتدّهُ سيبويه في موضع آخر (٢/ ٢٩١) فمنع استحاذ واستصاب لانه ترك للأصل . وما أغفلته العرب وتركته كـ (ودع) ماضي يدع ، تجوز فيه فأقر استعماله ولكن في الشعر لانه عودة إلى الاصل . قال ابن جني في الخصائص (١/ ٤٠٢) : (لان استعمال ودع مراجعة أصل ، وإعلال استحوذ .. ترك أصل ، وبين مراجعة الاصول إلى تركها ما لا خفاء به) .

ولكن ذهب جماعة إلى صحة (استحاذ واستصاب) لأن العرب لم تأت باستفعل مصححاً من فعل ثلاثي ، الا نطقت به معتلا أيضاً ، أو لأنّ الأكثر كذلك ، فقد حكى الرضي في شرح الشافية : (وقال سيبويه سمعت جميع الشواذ المذكورة مُعَلَّة أيضاً على القياس إلا استحوذ واستروح ... ولا تمنعَ من إعلالها وإن لم يسمع لأن

الإعلال هو الكثير المطّرد) . فأقر سيبويه القياس في هـــذا إلى جانب السماع ، لأن الأكثر فيما شذّ مصححاً ، قد جاء مُعلّا أيضاً . وقال سيبويه في الكتاب (٢/٢٦٢) : (ولا يُنكر أن يجعلوها مُعتلّة في هذا الذي استثنينا ، لأن الاعتلال هو الكثير المطّرد) . وقال الشيخ محمد الخضر حسين في (القياس) : (أما الالفاظ التي لم ترد إلاّ على الوجه المخالف للقياس ... فيقتصر فيها على ما ورد عن العرب ، إلاّ أن يبدو لك أن تتعلق بمذهب من يجيز إجراء الالفاظ على مقتضى القياس ، زيادة على الوجه الثابت من طريق السماع).

هذا وعندي أن ما جاء فيه التصحيح ها هنا قد أتوا به كذلك لأمر انتوَوْه . ذلك ان كل ما صُحّح فقد أريد به الدلالة على اسم يتصل به . فقد جاء التصحيح مثلاً فيما بُني من استفعل على الاسم خاصة كاستتيست الشاةُ واستنوقَ الجملُ واستفيَل . قال الرضي (وأبو زيد جوّز التصحيح في باب الإفعال والاستفعال مطلقاً قياساً ، إذا لم يكن لهما فعل ثلاثي) . كما جاء التصحيح في استفعل أو أفعل ، اذا أريد بها الاسم لتأكيد معناه ، كاستحوذ من الحوذ أو الإحواذ واستصوب من الصَّوْب أو الصواب ، واستجوب من الجواب .. ونظير ذلك أغْيَلَ من الغيل ، وأغْيَم من الغيم ، وأعْوَه من العاهة ، وأقوَلَ من القول ، وأخوَصَ وأشوَكَ .. وهكذا جاز التصحيح فيما جاء من (مفعلة) المعتل العين ، غير مبني على الفعل ، كمفعلة السبب ومَفْعلة الأعيان ، فمن الاول طعامٌ مطْيَبَةٌ للنفس من الطيب ، وشرابٌ مَبْوَلة من البَوْل ، وكثرةُ الاكل منْوَمةٌ من النوم ، والحروب مَأْيَمةٌ من الأَيْم : ومن الثاني : أرض مَثْوَرَة من الثور ، وقد ورد إلى ذلك أرض متانة بالإعلال من التين ، فاذا خيف اللبس

وجب التصحيح . والغريب أن المجمع القاهري ، اطلق جواز التصحيح في كلّ ما اعتلت عينه من مفعلة ، فكسر قاعدة انتظمت مالا يُعَدّ ولا يُحصَى من الالفاظ ، وأنّ الاستاذ عباس حسن عضو المجمع قد اطلق هذا الجواز في كل مفعلة إذا خيف اللبس ، بلاحدّ ولا ضابط . والصحيح ان الاصل هو الإعلال في كل مابُني من مفعلة على مِفعَل ، كمصدر او اسم مكان او زمان ، وان جواز التصحيح مقصور على ما جاء خلافه مبنياً على الاسم ، وقد يوجب التصحيح في هذا وحده ، اذا خيف اللبس .

هذا وما انقاد للقياس وشذ استعماله تركوه ، ولم يتعدّوه في الترك ، إلى أمثاله . على أن منهم من لم يمنع المقيس فيه أيضاً ، حملا له على نظيره . فقد أعمل الحجازيون (ما) عمل (ليس) ، فأخذ النحاة بالإعمال لشيوع استعماله . وجرت تميم على الإهمال فانكروه لقلته . على أن من النحاة من أجاز إهمال (ما) على وفق لغة تميم ، حين طابق الإهمال ما قدّروه وتصوروه من قياس . فتابع القائلون بجواز الإهمال قراءة عاصم (ما هنّ أمهاتهم — المجادلة / ٢) برفع أمهاتهم ، قال أبو حيان في البحر المحيط (٢٣٢/٨) : « وقرأ الجمهور أمهاتهم بالنصب على لغة الحجاز . والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم » . وقُرِىء (بشرٌ) بالرفع في قوله تعالى « ما هذا بشرٌ — يوسف / ٣١ » . وحكى أبو حيان عن الزمخشري ما يسدده (٣٠٤/٥) . قالوا في الاعتلال لقياس الإهمال إن العامل من الحروف هو ما اختصّ بالأسماء ، كحروف الجر ، أو الأفعال ، كأحرف الجزم . وما النافية تدخل على الأسماء والأفعال ، فلا تختص بتلك

دون هذه ، كهل الاستفهامية ، فالقياس إذاً أن تُهمل . ومن ثمّ كان إعمال (ما) الحجازية ، على غير قياس ، على شهرته ، وإهمال (ما) التميمية ، على قياس ، على قلته . ولم يعدم القائلون بالإعمال وجهاً لقياسه فقالوا : إنما عملت ما النافية عمل ليس لشبهها بها في نفي الحال والدخول على المعارف والنكرات ، وفي دخول الباء في خبرها (حاشية العطار ١٦٩) . ولكن قيل إن هذا الشبه معنوي والشبه المعنوي ضعيف ، وإن ـ ما ـ حرف ، و ـ ليس ـ : فِعْلٌ ، والحرف أضعف من الفعل . فقال ابن جني في الخصائص (١/١٣١) . « من ذلك اللغة التميمية في ـ ما ـ هي أقوى قياساً ، وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً » .

هذا وقد ذكر العلماء من الشاذ في السماع المطّرد في القياس (وَذَرَ ، وَوَدَعَ) فعلين ماضيين ، فأهملوهما ، على قياسها ، فذهب الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه (أصول النحو / ٢٤) إلى صحة (وَدَع) واستظهر بقراءة التخفيف (ما ودعك ربّك وما قلى ـ الضحى / ٣) وهي قراءة النبي ﷺ على ما أثبته ابن جني في المحتسب ، ثم أورد كلام صاحب المصباح في ردّ زعم القائلين بإماتة (ودَع) لروايته من أفصح العرب ، ونقله عن طريق القرّاء .

والحق أن صاحب النهاية قد سبق إلى هذا كله . أما حجة الأستاذ في صحة (وَدَع) ، فقد قامت على السماع ، كما هو سبيل استدلال (المصباح والنهاية) . إذ أورد الأستاذ قول الشاعر :

وثم ودّعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر

ثم قال : « والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد ، إذا لم تخالف القياس » .

على أن ابن جني قد قال بشذوذ (وَدَعَ وَوَذَرَ) أوندرتها ، لكنه أقر استعمالها في الشعر بطريق القياس حين ذكر أنك إذا قلت بجوازهما فقد عدت الى الأصل ، كما مر . قال ابن جني (١/١٣٢) : « فإن صحّ عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت ، كنت على ما اجمعوا عليه البتة ، واعددت ما كان قياسك اداك إليـــه ، لشاعر مولّد او لساجع او لضرورة ، لأنه على قياس كلامهم ، بــذلك وصى ابو الحسن » . وكذلك فعل ابن درستويه في شرح الفصيح ، بل اخذ بجواز قياسها مطلقا ، على إهمالها . فقــد جاء في المزهــر (٢/ ٣٠) : « وقـــال ابن درستويه في شـــرح الفصيح ، وإنما اهمل استعمال وَدَعَ وَوَذَرَ ، واستعمال ما اهملوا من هذا جائز صواب وهو الاصل ، بل هو في القياس الوجه » . وقــد عاب الاستاذ الافغاني ذكره ان العرب اهملتها ، وقد ثبت السماع بها بطريق صحيح ، وقرىء (ودعك) بالتخفيف . والرأي أنـــه متى ثبتت القراءة القرآنية بالرواية المقبولة ، فلا مناص ان تكون الحكم .

وقد جاء في (القياس) للشيخ محمد الخضر حسين أنـه حكي عن علي بن عيسى الرماني قـوله (لايقال من نفـــع اسم مفعول ، والقياس يقتضيه) . وقال أبو حيان (إن نفع كضرب ، فكما يقال في مفعول ضرب مضروب ، يقال في مفعول نفع منفوع) .

وقد عيب على المتنبي قوله (الجائد) ، فقال القاضي الجرجاني صاحب الوساطة (لم يُحكَ عن العرب الجائد ، وإنما المحكيّ الجواد ، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقف واتباع المسموع ، وهـذا أشبه بمذهب القياس ، والأصل الذي عليه أهل اللغة / ٣٥٤) . فكثيرون

إذاً على أنه إذا عارض القيـــاس السماع ، جاز القياس ، ولورجح السماع .

هذا وأما ماجاء شاذاً في القياس نادراً في الاستعمال ، فالكثيرون على إغفاله وعدم الاعتداد به ، لاخذهم بالكثير . قال أبو البركات بن الانباري في (لمع الادلة في أصول النحو / ٨١) : « النقل هـو الكلام العربي الفصيح ، والمنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حـدّ القلة إلى حدّ الكثرة » . وقال السيوطي في مزهره (١/١١٢) : (والمفهوم من كلام ثعلب أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها) .

* * *

ولا شك أن القياس الذي يُراد به الاستدلال الذهني لاستنباط القواعد وتعليلها ، هو مدار علم النحو عند الأئمة . قال ابن الأنباري في كتابه (لمع الأدلة / ٩٥) في الردّ على من أنكر القياس : « إعلم أن إنـكار القياس في النحو لا يتحقق ، فان النحو كله قياس . ولهذا قيل في حدّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب . فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو . ولا نعلم أحداً من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة » . وقد حُكي عن الكسائي ، وقد كان أقرب إلى الأخذ بالوصف منه إلى العمل بالقياس ، قوله :

إنما النحو قياس يُتبـع وبه في كل أمر يُنتفع

على أن اعتقادنا ما كان للقياس من شأن في نشأة النحو واستنباط احكامه ورسم حدوده وتقعيد قواعده ، لا يمنع من التنبيه على أن النحو ليس كله قياساً ، وإنما هو قياس من جهة ، ورواية ونقل قد

يستعصيان على القياس وينكبان عن نهجه من جهة أخرى. قال السيوطي في الاقتراح (٤٥): «النحو بعضه مسموع مأخوذ من كلام العرب، وبعضه مستنبط بالفكر والروية، وهو التعليلات، وبعضه يؤخذ من صناعات أخرى».

وكان من أقدم الأئمة عناية بالقياس عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (المتوفى سنة ١١٧ هـ) فقد جاء في طبقات الزبيدي (٢٥) «قال ابن سلام، عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل». وقال ابن الأنباري في نزهة الألباء (٢٣): «إنه أول من علّل النحو». وفي المزهر (٢٤٧/٢): «وكان يقال عبد الله أعلم أهل البصرة وأنقلهم، ففرع النحو وقاسه». وقد خلف الحضرمي أبو عمرو بن العلاء، وعيسى ابن عمر، ويونس بن حبيب، فوطؤوا لظهور الخليل وسيبويه، فقد ذكروا لعيسى بن عمر مثلاً، كتابي (الإكمال) و (الجامع)، وهما من مراجع كتاب سيبويه، قال الخليل

بطل النحو جميعاً كله	غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع	فهما للناس شمس وقمر [١]

وقال الزبيدي في الخليل (في مختصر كتاب العين): (فهو الذي بسط النحو ومدّ أطنابه وسبب علله وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده. ثم لم يرض أن يؤلّف فيه حرفاً أو يرسم فيه رسماً .. واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه

(١) طبقات الزبيدي ١٥ .

من علمه ، ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ، ولطائف حكمته . فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدّم ، كما امتنع على من تأخر بعده) . وقال ابن الأنباري في نزهة الألباء : (وهو الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله) .

ومضى البصريون يُعنَون بالقياس ويفرعونه فيتطلبون دخلته ويختبرون كنهه ، فألف قطرب (العلل في النحو) والمازني (علل النحو) والمبرّد (الكامل والمقتضب) . وبلغ البصريون الغاية في إرساء أطنابه واستيعاب أصوله والإحاطة بفروعه ، على يد أبي عليّ الفارسي وابن جني . أما أبو علي فهو صاحب (الإيضاح النحوي) والقائل (أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطىء في واحدة من القياس ـ الخصائص ٨٨/٢) . وقال فيه ابن جني : (أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ـ ١١٥/٢) . وقال أبو طالب العبدي : (لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبي عليّ . .) .

وأما أبو الفتح عثمان بن جني فقد بلغ الذروة في الأصالة والسبق وأدرك الشأو في البراعة والعمق ، وذلك في كل ما ألّف من كتبه لا سيما سرّ صناعة الإعراب والخصائص والمحتسب . وكان إماماً مقدّماً في القياس ، يحث عليه ويرغب فيه ويرهف العزم على الأخذ به بالتلطف والحجة . قال المتنبي فيما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٨٩/١٢) : « إن ابن جني أعلم بشعري مني » . وقد خلف هؤلاء القياسيين ابن الشجري وأبو البركات بن الأنباري وأبو البقاء العكبري .

ولسنا نتعصب للبصريين على الكوفيين . فقد كان للكوفيين أصولهم وقياسهم وعللهم . وهم لم يقتصروا على الوصف دون الاستدلال والاعتلال . ولا ننسَ قول الكسائي : إنما النحو قياس يتبع ، بل لا ننسَ منزلة الفرّاء في التعليل والقياس ، ذلك أجلى ما في نحوه .

وقد اعتمد الكوفيون على السماع والقياس ،كما فعل البصريون . بل كان أوائلهم أدنى إلى السماع منهم إلى القياس ، وأحرص على الوصف منهم على التعليل ، كما كان أوائل البصريين .

فإذا استقرّ هذا فإن الكوفيين لم يبلغوا مبلغ البصريين في القياس والتعليل غالباً ، ولم يتوفر نصيبهم منها كما جزل وفضل حظ البصريين بعامة والمتأخرين منهم بخاصة . وإذا كان البصريون قد رجحوا الكوفيين في هذا وفضلوهم ، فليس مضيّهم في التعليل خيراً كله ، بل ليس استرسالهم فيه من طبيعة اللغة ونهجها وخصوصها . فقد كان الكوفيون في ذلك أدنى إلى الاعتدال وأنأى عن الإيغال . وقد رأيت الدكتور مهدياً المخزومي ، يدعو في مقدمة كتاب الشيخ يوسف كركوش (رأي في الإعراب) ، إلى العناية بنحو الكوفيين والنهل من معينه وإيثاره على نحو البصريين ، كلما أوغل هؤلاء في الجدل المنطقي فتنكبوا عن الجادّة ، وتكلفوا ما لاتحتمل طبيعة النحو .

وليس صحيحاً أن الكوفيين عوّلوا على كل مسموع ، كما يُفهم من كتاب (الإنصاف في شرح مسائل الخلاف) ، وصاحبه أبو البركات بن الأنباري ، بصري . واذا بدا أن الكوفيين كذلك في شيء من المسائل التي اشتدّ الجدل فيها بينهم وبين البصريين ، فذلك أن المناظرة فيهـــا كانت منافسة بل مغالبة ، بين عالمين متعصّبين ، لا

معارضة بين مذهبين وطريقتين . ولو صحّ أن الكوفيين يعملون بكل شاذ ويقيسون عليه ، لما استقام لهم أصل أو حكم أو قياس . وإلاّ فكيف يصـــدق عليهم أنهم غفلوا عن الاكثر والأغلب فيما قننوه وقعّدوه ؟

وغريب على هذا قول المرحوم الأستاذ أحمد أمين في كتاب ضحى الاسلام (٢٩٥/٢) : (أما الكوفيون فلم يروا هذا المسلك ، ورأوا أن يحترموا كل ما جاء عن العرب ، ويجيزوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، ولو كان الاستعمال لا ينطبق على القواعد العامة . بل يجعلون الشذوذ أساساً لوضع قاعدة عامة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإني لأستصرف أن يؤخذ هـذا القول على إطلاقه ، ولو بُني على قول السيوطي في بغية الوعاة (إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاّ في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه) ، وقول الأندلسي : (الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً في جواز شيء يخالف الأصول جعلوه أصلاً ، وبوّبوا عليه) . فهذا أبو بكر بن السرّاج وهو تلميذ المبرّد ، وإمام من أئمة المذهب البصري ، وقـــد ألّف (الأصول) فقال فيه على ما حكاه المزهر (١٣٩/١) : (وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسناد ، حجة على الأصل المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ..) وقال : (ولو اعترض بالشاذ على القياس المطّرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم ..) ثم اعتمد مع ذلك على مذهب الكوفيين في مسائل كثيرة . قال ابن الأنباري في

في نزهة الألباء (٣٠١) : (إن أبا بكر بن السراج وهو البصري الذي أخذ عن المبرّد ، وإليه آلت رياسة النحو بعده ، قد عوّل على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة !) .

وإذا كان ابن السرّاج قد قال ما قال في التعويل على القياس وترك الشاذ ، فهذا أبو بكر الأنباري ، تلميذ ثعلب ، وهو الكوفي المذهب ، يقول في شرح معاني الكذب على ما جـاء في خزانة البغدادي (٩/٣) قولاً كقول ابن السرّاج : (قال أبو عبيد لم يُسمع النصب مع كذب في الإغراء إلا في هذا الحرف ، فقال أبو بكر : وهذ شاذ من القول خارج في النحو عن منهاج القياس ، ملحق بالشواذّ التي لا يعوّل عليها ، ولا يؤخذ بها) . وقد استظهر به الأستاذ محمد خير الحلواني في كتابه (الخلاف النحوي) فجاء في تأييد هذا الرأي بحجج ناهضة (٣٤٨) . وتفصيل المسألة أنه قد رُوي النصب بعد كذب في قول عنترة (كذب العتيق وماءُ شن بارداً إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي) فحمل الرضيّ هذا ، على أن كذب في الأصل فعلٌ قد صار اسم فعل بمعنى إلزم ، فيكون العتيق مفعولا به ، والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت . وذهب ابن الأثير في حديث عمر بن الخطاب (كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد) ـ بمعنى الزموا الحج والعمرة والجهاد ـ أن الوجه هو النصب على معنى الإغراء ، لكنه جاء مرفوعاً على الشذوذ . أما أبو بكر فقد استنكر النصب واعتدّه شاذاً . قال أبو حيان :

والصحيح جواز النصب بنقل العلماء أنه لغة مضر ، والرفع لغة اليمن .

وإذا كان الكوفيون قد اعتمدوا على القليل النادر أحياناً ، كما جاء في شرح المفصل ، والاقتراح وهمع الهوامع للسيوطي ، وغيرها ، فقد فعل البصريون هذا أيضاً . قال اليازجي في نار القرى (ووافق الحجازيين على إعمال – لا – طائفة من البصريين . وأنكره بنو تميم وأكثر نحاة البلدين) . قال أبو حيان على ما رواه الهمع (١٢٥/١) (إعمال – لا – قليل جـــداً ، بل لم يرد منه صريحاً إلا البيت : تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا : ولا وزر مما قضى الله واقيا ، والبيت والبيتان لا تبنى عليها القواعد) . وهكذا بنى جماعة من البصريين حكمهم على بيت واحد . وقد ورد البيت في أمهات كتب النحو كحاشية الأشموني ، وكتب ابن هشام وحاشية ابن عقيل ، وهمع السيوطي ، وشرحه لشواهد المغني ، ولم أر من نبّه على اسم قائله . و (لا) من الحروف غير المختصة . فقياسهم ألاّ تعمل ما لم يحتجّ لإعمالها بنقل يتجاوز حدّ الندرة أو القلّة . هـذا وقد ذكر الأستاذ محمد خير الحلواني في كتابه (الخلاف /٣٠٢) مثـــالاً آخر . قال الأستاذ : (وأحياناً نجد نحاة البصرة يبحثون عن شاهد فلا يجدون غير مثل عربي واحد يقدمونه فيكتفون به . وفي ذلك اعتماد على القليل النادر . . وقد عيب هذا على الكوفيين . جاء في الإنصاف : وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان العامل فعلا ، نحو : راكباً جاء زيد النقل والقياس . وأما النقل فقولهم في المثل : شتى تؤوب الحلبة ، فشتى حال مقدمة على الفعل العامل في الاسم الظاهر ، فدل على جوازه) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقول لايؤخذ هذا على البصريين . ذلك أن تقديم الحال على عامله الفعل ، لم يبن على نقل وحسب ، وإنما بني على نقل وقياس . فانظر إلى قول صاحب الإنصاف : (إنما قلنا إنه يجوز تقديم الحال : للنقل والقياس) . وقد ذكر النقل وهو المثل (شتى تؤوب الحلبة) . أما القياس لديهم فقد ذكره صاحب الهمع ، إذ قال (٢٤٢/٢) : « في تقديم الحال على عاملها مذاهب .. الثاني الجواز مطلقاً ، إلاّ ما يأتي استثناؤه وهو الأصحّ ، وعليه الجمهور ، قياساً على المفعول بـه والظرف ..) . ثم يفرقون بين الحال والظرف فيشيرون إلى تقديم الظرف ولو كان عامله معنوياً خلافاً للحال . قال الرضيّ : (يعني أن الحال وإن كان متشابهـاً للظرف من حيث المعنى ... إلاّ أن الظرف يقدم على عامله المعنوي ..) . ولما دام تقديم الحال على عامله إذا كان فعلا ، إنما جاء على قياس ، فيكفيه في النقل القليل النادر . ونظير هذا أنهم نسبوا إلى (فعولة) فقالوا (فَعَليّ) وقد ردّوه إلى قياس (فعولة) على (فعيلة) . فقالوا في رَكوبـة وحَلوبة : ركبي وحلبيّ ، كما قالوا في حنيفـة حنفي . قال ابن جني في الخصائص (١٢٠/١) : (وذلك أنهم أجروا فعولة مجـرى فعيلة لمشابهتها اياها) . فاذا اطمأن هذا فقد اكتفوا بقول العرب (شنوءة وشَنَئيّ) . قال ابن جني : (وتفسيره أن الذي جاء في فعولة هو هذا الحرف والقياس قابله ، ولم يأت فيه شيء ينقضه ، فاذا قاس الإنسان على جميع ما جاء ، وكان أيضاً صحيحاً في القيـاس مقبولاً ، فلا غرو ولاملام) .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وقد أنكر الكوفيون بعض القراءات القرآنية كما فعل الكسائي والفراء ، وكذلك فعل البصريون كالمازني والمبرد والزمخشري ..

هذا وقد تابع البصريون نهجهم في الاستدلال والتعليل واصطنعوا نهج الفقهاء والمتكلمين ، وما كان شائعاً من أساليب البحث والتفكير في الخضوع لسلطان العقل والمنطق ، فوطأ ذلك كله ، لشيوع مذهبهم والإقبال عليه . كما مهّد له ضياع كثير مما ألّفه الكوفيون ، وتناثر آرائهم في كتب البصريين .

وقد جاء جماعة البغداديين فاتخذوا طريقتهم في اختيار الأجود من مسائل المذهبين ، على ما رأوه كما فعل الزجّاج في كتابه (إعراب القرآن ومعانيه) ولايزال مخطوطاً ، والزجاجي في كتابه (الإيضاح) . ولم يستنوا نهجاً فرداً دون نهج البصريين او الكوفيين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكذلك حال النحاة الأندلسيين الذين تفردوا بآراء كثيرة كأبي حيان وابن مالك ، وحال الأئمة المجتهدين كابن هشام الانصاري وابن عقيل والسيوطي . وهم لم يخرجوا عما كان قد أرسخ واستكمل من قواعد النحو وأصوله غالبا . لولا أنهم كانوا في استنباطهم للحكم النحوي ، تصحيحاً أو إنكاراً ، أكثر عناية بالقراءات القرآنية والحديث النبوي .

قال أبو حيان في البحر المحيط (٣٦٣/٢) : (والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه) . وقال (٢٧١/٤) : (هؤلاء النحاة يسيئون الظنّ بالقراءة ، ولا يجوز لهم ذلك) .

وقد جاء في جامع البيان للحافظ أبي عمرو الداني : (وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل . والرواية إذا ثَبَتَتْ لا يردُّها قياس عربية ولا فشوّ لغة) . وقال الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في التعليق على كلامه في كتابه مناهل العرفان (٤١٥) : (هــذا وكلامه وجيه ، فان علماء النحو إنما استمدّوا قواعده من كتاب الله تعالى ، وكلام رسوله ، وكلام العرب . فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة ، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما قعّدوا من قواعد ..) .

هذا وقد ذهب ابن مالك إلى جواز إسقاط النون في الأفعال الخمسة في حال الرفع ، اعتماداً على الحديث ، كما جاء في شواهد التوضيح .

وهكذا استنفد الأئمة الجهد في استنباط قواعد اللغة وضبط أحكامها واتخاذ حدودها واصطناع معالمها ، حتى قال العالم اللغوي (دي بور) : (إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرّق ، وهو لهـذا يحمل المتأمل على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به) .

* * *

على أنه إذا أمكن عالم النحو ، المحيط به خبراً ، الواقف على جليله ودقيقه أن يتحامى الخطأ في بيانـــه وتعبيره ، ويتبين صحيح الكلام من فاسده ، فانه لابد له إذا أراد أن يُحكم الأداء ويُحسن التعبير ويجيد السبك ، ويميز جيد الكلام من سفسافـه ، أن ينهج سبيل الفصحاء في تأليف الكلام نثراً ونظماً ، فيكون كثيرَ الحفظ لأقوالهم ، واسع الرواية لأمثالهـــم وأشعارهم ، ليعي نظام

صياغتهم ومنصرّف قولهم ، ويستشفّ طرائق نسجهم وحبكهم . فيتأتى له بذلك ملكة يتحرّك بها لسانه سليقة وطبعاً ويتفتق بها بيانه عفواً صفواً . يُحسّ بها ما يستملح من القول وما يستعذب سجية ، وما يمج ويسترذل طواعية . وما جاء على حكم الفطرة لاعسر فيه ولا مشقة ، كما يقول الشيخ عبد العزيز البشري ، وما جاء على جهة التكلّف والتصنع فذلك الذي يقتضيْ كثيراً أو قليلاً من الجهد والعناء . وأنت تعلم أن النحو قد انحرف عن غرضه في تعرّف روح العربية ونهجها في التأليف والتعبير وتصريف المعاني ، الى الافتتان بالتعليل ، والميل إلى التعقيد والاهتمام بأوجه الإعراب ، وما تفرّع عليها من تشعّب الآراء في المسائل . ويبدو ذلك جلياً في كتب المتأخرين كشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، وشرح ابن الناظم ، وشرح الأشموني ، وشرح ابن هشام في (أوضح المسالك) وشرح التسهيل لأبي حيان ، والهمع للسيوطي ، وسواها . وما أوقع قول ابن خلدون : (إن العلم بقواعد الإعراب ، إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل . ولذلك نجد كثيراً من جها بذة النحاة والمهرة في صناعة العربية ، المحيطين بتلك القواعد إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودّة ، أو شكوى ظلامة ، أو قصد قصدوه ، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ، ولم يُجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود ، على أساليب اللسان العربي) . ذلك أن النحوي لايتوسل إلى الكتابة بطبع أويجري فيها على عرق أو سجية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولاشك أن اكتساب الملكة اللغوية بالوقوف على أنماط التعبير وأساليب التأليف ، وابتغاءها بالمحاولة والممارسة والرياضة ، هـو الوسيلة في إحسان الأداء وإحكام البيان . وإذا واتت الكاتب ملكة الكتابة أدّاها كما أدركها ، وجلاّها كما تمثلت له ، وخرجت على حظ من الإحسان والجمال ، فتأتت بها ديباجة مشرقة وصيغ مونقة . قال الجاحظ : (ليس في الأرض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آنق ولا ألذّ في الأسماع ، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء) .

وقد عقد ابن جني في الخصائص باباً (في أن العرب قـد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها وما حملناه عليهـا) ، فاوضح كيف يمكن الأعرابي أن يميـز صحيح الكلام من فاسده بسليقته ، ويتخطى موراد التوهم في القياس بحسّه وطبعه . وقد استفسر ابن جني أبا عبد الله الشجري قائلاً : (وسألته يوماً فقلت له كيف تجمع دكانا ، فقال دكاكين . قلت فسرحانا ، قال سراحين . فقلت فعثمان ، قال عثمانون . فقلت له : هـلاّ قلت عثامين . فقال : إيش عثامين . أرأيت إنساناً يتكلم ماليس من لغتـه ؟ والله لا أقولها أبداً) .

ويبقى الفارق بين من اكتسب ملكة اللغة واختزن حسّها في أيامنا هذه ، وبين هذا الأعرابي : في بيئة كل منهما ، وما أتاحته له ويسّرته وساقتـه من دواعي الخبر بسرّ اللغة والبصر بنظم تأليفها

واستبطان أساليبها . ولاشك أن هذه الملكة التي اعتمدت على الاحاطة بمبادي اللغة وخافيها ، خير ظهير على توليد الكلم والمصطلح للمعنى الجديد أيضاً ، حملاً على ما حفظ منها وما استودع ، بل تجديد أساليب التعبير قياساً على ما أثر منها وسمع .

وإذا تطرّقنا إلى علوم البلاغة ، فقد نجد فيها ما ألفيناه في علم النحو . قال الدكتور جمال الدين الرمادي في كتابه (عبد العزيز البشري /٤١) : « وفي علوم البلاغة دعا البشري إلى تليينها وتمرينها حتى تصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على التفطين والتذويق بحيث تتطور مع الأفهام والأذواق ، وعلى أن يوصل تعليمها في المدارس والمعاهد بدرس الأدب نفسه . وقد اتهم البشري . . كتب البلاغة العربية بالغموض والإبهام وقال إن ملاك البحث فيها هو الجدل اللفظي والاعتساف في بحوث فلسفية لا غناء لها في صنعة البيان . بل لقد أعلن أن من يريد التخلّص من فصاحة اللسان ونصاعة البيان ، فليس عليه أكثر من أن يدرس هذه الكتب حتى درسها وينعم النظر فيها ، ويقلب في عبارتها لسانه وفكره ليكون له ما يحب إن شاء الله » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال الرمادي : (ويرى البشري أن أظهر ما نحسه من ضعف النقد الأدبي ، أو بعبارة أبين من قصور علوم البلاغة العربية في هذا العصر ، أن سلفنا وجهوا كل عنايتهم إلى النقد الجزئي ، أعني نقد الكلمة في الجملة ، أو نقد الجملة في العبارة . فإذا كان الكلام نظماً جرى النقد للبيت مستقلاً ، وأحياناً للبيت من حيث اتصاله بما بعد ... أما نقد الكلام مجتمع الشمل ، وتناوله من حيث استواء الصورة واتصال

المعاني واتساق الأفكار وتلاحم الأجزاء ، فذلك ما لم يكن له من نقد البلاغة حظ جليل) .

وقال : (ويرى البشري أنه بطول ترديد النظر وتقليب الذهن في المأثور من روائع الآداب تنفسح ملكة الكاتب أو الشاعر ، وترهف فطنته بترسّم مذاهب النقد الفني . فإن هناك بعض القطع الأدبية التي لا يمكن وضع قواعد رسمية لبلاغتها ، فمن علل الحسن في الفنون الجميلة ما يدقّ حتى تعيا الترجمة عنه على اللسان والقلم جميعاً وإن تعلقت به الفطن وأصابته الأذواق) .

* * *

هـــذا والمستحب من القياس هو الذي اعتمد لوضع القاعدة واستنباط الحكم فأفاد في تهذيب اللغة وتشذيبها . والذي اتخذ لتعليل الظاهرة اللغوية فكان وسيلة إلى وعي نظم اللغة وتعليمها ، ويرتكز مثل هذا القياس على ما أسموه (العلة التعليمية) و (العلة القياسية) . أما العلّة التعليمية فقولك هذا مرفوع لأنه فاعل ، وذاك منصوب لأنه مفعول به . وأما القياسية فالتي تقوم على اشتراك المقيس والمقيس عليه فيما تصوروا أو ظنوا أنه علة موجبة للحكم فيهما ، كحملهم بناء اسم (لا) النافية للجنس على بناء (خمسة عشر) . قال اليازجي في (نار القرى) : (واختلف في علة هذا البناء فقيل إن الاسم المتصل بلا قد ركب معها تركيب خمسة عشر ، بدليل أنه إذا فصل بينهما امتنع البناء ، وقيل قد تضمن معنى من الاستغراقية ... وقيل لاجتماع الأمرين لأن التركيب وتضمن معنى الحرف ، منفردين ،

لا يوجبان البناء . والأول هو مذهب سيبويه ، وعليه الأكثرون) .
ويرد تشعب الآراء في تحديد العلة القياسية إلى اختلاف وجهات النظر والاعتبار . فقد تتجاذب الحكم الواحد علتان أو أكثر فيبنى على قياسين أو أكثر ، كما يتأتى حكمان متضادان في المسألة الواحدة ، فتقتضيهما علتان مختلفتان ، فيبنى كل منهما على قياس . قال ابن جني في الخصائص (١٧١/١) : (الكلام في هذا المعنى من موضعين ، أحدهما الحكم الواحد تجاذب كونه العلتان أو أكثر منهما ، والآخر الحكمان في الشيء الواحد ، المختلفان دعت إليهما علتان مختلفتان) .

وقد مثلوا للأول برفع المبتدأ . فقد يعتل لرفعه بالابتداء ، أو يعتل له بالخبر أو بما يعود عليه من ذكره ، ومثلوا للثاني بـ (ما) التميمية والحجازية . فقد اعتلوا لـ (ما) التميمية العاطلة بشبهها بـ (هل) في عدم اختصاصها بالدخول على الاسم أو الفعل ، وإفادة كل منهما معنى في الكلام ، هو النفي في (ما) والاستفهام في (هل) . فجرت (ما) في الإهمال مجرى (هل) . واعتلوا لـ (ما) الحجازية العاملة بشبهها بـ (ليس) في نفي الحال والدخول على الجملة الاسمية ، فعملت عملها . ولكن كيف يعتل للإعمال والإهمال في المسألة فيكون كل منهما على قياس ؟

قال ابن جني (١٣١/١) : (اللغة التميمية في ـ ما ـ هي أقوى قياساً ، وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً) وأكد ذلك (١٧٢/٢) فقال (ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجازيين) . قال الزجاجي في الايضاح يفسر هذا : (ذكر

بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد ، رحمه الله ، سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه . فإن أكن أصبت فهو الذي التمسته ..) ، ومن ثم ذهب كثير من المجددين في النحو إلى إنعام النظر في هذه العلل ، والعمل على الاهتداء إلى الأشمل منها في الحكم ، والأظهر في التعليل ، والألصق بالعربية . ومهما يكن من شيء فإن القياس الذي استند فيه إلى إحدى العلتين التعليمية أو القياسية ، إنما يجانس طبيعة اللغة وخصائصها ، دون القياس الذي اعتمد على العلة الجدلية النظرية ، فنحا نحو الفلسفة واتسم بسمتها وغدا صناعة بل رياضة عقلية ونشاطاً ذهنياً ، وجعل التعليل أصلاً وغاية ، لا وسيلة وحاجة ، وبين القياسين من التفاوت والتنافر ما لاخفاء به ولا لبس .

فقولك (إن واخواتها) أشبهت الفعل المتعدّي اذا تقدم مفعوله على فاعله ، فنصبت اسمها ورفعت خبرها ، كما نصب الفعل مفعوله ورفع فاعله ، قولك هذا ، تعليل قياسي . لكن ايغالك في البحث عن وجه هذا الشبه وقولك إن (إن) تشبه الفعل لفظاً لأنها ثلاثية ، ومعنى لأنها تفيد التأكيد ، فإذا خففت ذهب شبه اللفظ فقلّ عملها ، قولك هذا تعليل جدلي نظري .

وقد نبه أبو سعيد السيرافي على استبعاد المنطق وعلته النظرية ،

كما نبه على وجوب تعلق النحو باللفظ والمعنى جميعاً . وذلك فيما ثار بينه وبين متى يونس من نقاش حكاه أبو حيان التوحيدي في مقابساته ، كما أوضح أبو القاسم الزجاجي في كتابه (الايضاح في علل النحو) أنواع العلة النحوية فربط بين العلة وغرضها . قال الدكتور مازن المبارك في كتابه (النحو العربي) : « لقد جعل الزجاجي العلل تعليمية وقياسية وجدلية نظرية ، وما كان له أن يجعلها كذلك لولا أنه نظر إليها على أن منها ما هو ضروري لتحقيق غاية النحو التعليمية ، إذ بالعلل التعليمية يُتوصل إلى معرفة كلام العرب ، ومنها ما هو ضروري لتحقيق غاية العربية ، إذ بالعلل القياسية يمكن أن نجاري العرب فنقيس على كلامهم ونكفل للغة استمرار حياتها ونمائها .. ومن تلك العلل بعد ذلك علل ليس النحو فيها نصيب ، ولا للغة منها نفع .. وهي العلل التي تدخل في باب النظر والجدل ، وتكون بين القوم وسيلة استعلاء وتفاخر ، وسلاح اختبار وتناظر ». وكلامه في هذا ظاهر الاستقامة .

وقد استدرج الزجاجي مع ذلك إلى الجدل النظري ، وأورد الدكتور المبارك على ذلك مثالاً فيما رد به الزجاجي نفسه على النحاة ، حول ما هو أولى بالتقدّم في المرتبة (الاسم أم الفعل أم الحرف) ؟ فقد ذهب النحاة في جدلهم إلى أن الحروف عوامل في الأسماء والأفعال ، فوجب أن تكون قبلها حقاً ، سابقة لها . فقال الزجاجيّ في ردّه (وهذه مغالطة .. إن الفاعل في جسم فعلا ما ، من حركة وغيرها سابق لفعله ذلك ، لا للجسم . . فكذلك مثال هذه الحروف سابقة

لعملها في هذه الأسماء والأفعال .. ولا يجب من ذلك أن تكون سابقة للأسماء والأفعال نفسها ، وهذا بين واضح) .

★ ★ ★

ولا شك أن المعول عليه من التعليل ، ما قرن فيه صحة الحكم النحوي بسلامة المعنى ، وتحقيق المراد منه ، دون التعلّق بما تقتاد إليه براعة الصناعة ، ويؤدّي إليه الافتتان بها من الإغراب في الجدل والتأويل . كذلك كان كثير من الأوائل . وقد أشار إلى هذا الزجاجي في إيضاحه فاعتدّ الإعراب دليلاً على المعنى فقال : (إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها ، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب تنبىء عن هذه المعاني .. ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل ، إن أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعاني)[1] . وقال ابن جني في باب مقاييس العربية ، حول تفسير ما اصطلح النحاة أن يسموه العامل اللفظي والعامل المعنوي ، وحقيقة ما وراء ذلك (وإنما قال النحوي عامل لفظي وعامل معنوي ، ليُروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد ، وليت عمراً قائم . وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم ، هذا ظاهر الأمر ،

(١) النحو العربي للدكتور مازن المبارك / ٩٩ .

وعليه صفحة القول . فأما الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره »[1] .

ويتصل بهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ ﻫ) في كتابه (دلائل الإعجاز) من أن النحو يتجاوز البحث في أواخر الكلم وعلامات الإعراب . وقد استصوبه الأستاذ ابراهيم مصطفى واستجاده في كتابه (إحياء النحو/١٦) ودعا الى تدبّره والأخذ به . فقد رأى الجرجاني أن للكلام (نظماً) ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه ، هو السبيل إلى الإبانة والافهام . وأنه إذا عُدل بالكلام عن سنن هذا النظم ، لم يكن مُفْهِماً معناه ولا دالاً على ما يُراد منه .

فإذا عدنا إلى دلائل الإعجاز رأينا أن المؤلف يؤمن بأن فضيلة الكلام في الأصل إنما ترجع إلى معناه دون ألفاظه . وأن نظم الحروف في الكلمة لا يتم بمراعاة معنى في النفس ، وإنما يجري بمجرد توالیها في النطق وضمّ بعضها إلى بعض . أمّا نظم الكلام في التعبير فإنه لا يتم بتواليه كيفما اتفق ، وإنما يتم باقتفاء آثار المعاني فيترتب على حسب ترتيبها في النفس . فالأصل إذاً أن تُعمل الفكر فتتوخى الترتيب في المعاني ، فإذا كان لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارَها . ومتى فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف الفكرَ في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك فتتساوق بحكم أنها خدم للمعاني وتبع لها .

هذا والعلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها

---

(١) الخصائص (١/١١٤ - ١١٥) .

في النطق . فليس النظم إذاً إلاّ أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينـــه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهجت . فلا تخلّ منها بشيء (١) .

قال الجرجاني : (فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ، وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم ، إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية أو فضل منه ، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة ، وذلك الفساد ، وتلك المزية ، وذلك الفضل ، إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الأستاذ ابراهيم مصطفى (لقد آن لمذهب عبد القاهر الجرجاني أن يحيا وأن يكون هو البحث النحوي) . ولا شك أن مذهب الجرجاني هذا قويم . وقد كشف الدكتور أحمد أحمد بدوي (١) عما انتهى إليه الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) من أنّ أصل المعنى يمكن أن يعبر عنـــه بطرق مختلفة وأن لكل عبارة من ذلك معناها الذي تفترق به عن العبارة الأخرى ، لأن العبارتين لا يمكن أن تؤدّيا معنى واحداً ، إلا إذا اتفقنا من جميع الجهات . أقول هذا ما فات النحاة أن ينبهوا عليه ويفصحوا عنه في كثير من الأحيان . فأغفلوه وتجاوزوه حين أغرقوا في العناية بالصناعة اللفظيـــة وقصروا الاهتمام على ضبط أواخر الكلم .

(١) عبد القاهر الجرجاني الدكتور أحمد أحمد بدوي .

على أنه إذا كان قد عيب على النحاة أنهم اتخذوا منطق الفقهاء حيناً ونهج المتكلمين حينا آخـــر ، وأنهم يمموا سمت الفلاسفة في الجدل النظري ، فهل يصلح النحو ويبرّئه مما علق به ، أن يذهب به مذهب الجرجاني حسبُ ، فيتسع بحثه وتمتد أطرافه إلى الكشف عن نظم تأليف الكلام وتصرف معانيه ؟

أقول لاخفاء بأن الجرجاني قد وفق فيما ذهب إليه من تجاوز ظواهر الإعراب إلى تبيّن أسراره وأغراضه ودواعيه . وقد كان يرى النحو ، كما انتهى إليه ، ضرباً من التكلّف ولوناً من التعسّف . ولو كان النحاة قد أخذوا بعد بنهجه لمضوا في سنن قويم . لكنهم صدفوا عن خطته فلم يحتذوا بأمثلته ، وآثروا التقليد دون الابتداع ، والاقتداء دون الابتداء .

وقد أفرد بعضهم مذهب الجرجاني هذا ، ليجعلوا منه أصولاً لما أسموه (علم المعاني) ، فبخسوا النحو حقه ، بـــل أيبسوا نسغه وغاضوا ماءه وأذهبوا ندوّته .

على أنه لا مناص ، على كل حال ، أن يضم إلى مراعاة نهج الجرجاني في النحو ، تعريته مما انتابه من تعقيد نبابـــه عن روح اللغة ، واعتوره من تعليل باعد بينه وبين غرضه فيكون ذلك كله قاعدة تتخذ لتجديد النحو ، وأساساً يعتمدّ لتحريره وتشذيبه .

ذلك أن العلة النحوية قد اعتمدت على العلة الفقهية والكلامية . وبدا ذلك جلياً خلال القرن الرابع الهجري . بل ضربت على قالب العلة الفلسفية وطبعت على غرارها . وقـــد رأينا كيف استُدرج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزجاجي إلى الجدل النظري في ردّه على النحاة ، على أنه لم يوغل فيه ولم يسترسل . فقد قال في إيضاحه : (وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أو ضاعهم . وإنما هو من كلام المنطقيين وان كان تعلّق به جماعة من النحويين) .

وانقاد أبو سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) للجدل النظري في شرحه الكتاب وبيان الرأي في مسائله .. ولو كان حريصاً على التمييز بين حجة المنطقيين وحجة النحويين فيما ثار بينه وبين أبي بشر متى بن يونس ، في مجلس الوزير ابن الفرات .

وجرى أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) هـذا المجرى في تعليله ، وحرص على القياس في مختلف كتبه كـ (الإيضـاح في النحو) و (مسائله) . ولانفس قول ابن جني : (أحسب ان أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ماوقع لجميع أصحابنا ـ الخصائص ١/٢١٥) . وقـد كان معنياً بالاعتزال من مذاهب علم الكلام . وسلك ابن جني مسلك استاذه وكان أعلق بأصول المنطق والفقه . لكنه عُرف بالأصالة والسبق ، فأدّاه النظر الثاقب والرأي النضيج إلى فوائد وطرائف في اللغة وفقهها . وقـد ماز العلة النحوية من الفقهية والكلامية ، وجعل اتكاء النحوية على رهافة الحسّ وبداهـة الطبع (الخصائص ١/٥٠ ـــ ٥٢) ، ورأى أنها ليست في سمت الكلامية ، لكنها أقرب إليها من الفقهية . و'فتق ابن جني في إنكار العلل الثواني أو علة العلل ، فاعتدّ منها ما جاء تتميماً للعلة الأولى وشرحاً لهـا ، لأنك إذا ابتغيت علة لكل علـة فطلبت العلل الثوالث فما بعد ، أدّاك

هذا إلى مالا يُعد منهـا ولا يحصى . قال ابن جني (١|١٧٨) : (.. فإن تكلّف متكلّف جواباً عن هذا تصاعدت هذه العلل ، وأدى ذلك إلى هجنة القول ، وضعف القائل به) . وقد دافع ابن جنى عن علل النحويين وردّ على من اعتقد فسادها وادعى ضعفها . ولا ننسَ علي بن عيسى الرماني المعتزلي الذي عرف بطريقته الخاصة بمزج النحو بالمنطق ، كما أشار إليه أبو حيان التوحيدي .

هذا وقد دعا إيغـال النحاة في التعليل إلى اتخاذ حجج نحوية لا تثبت على نقد أو نظر . فعمد كثير من الأئمة إلى توهينها وتزييفها ، ونبهوا على سقمها ووهيها ، ودلّوا على تعارضها وتخاذلها ، وخروجها جملة عن غرض النحو وغايته . قال ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في سـر الفصاحة (فأما طريقة التعليل فإن النظر إذا سُلّط على ما يعلل النحويون به ، لم يثبت معه إلا الفذ الفرد ، بل لايثبت شيء البتة . ولذلك كان المصيب منهم المحصّل من يقول : هكذا قالت العرب ، من غير زيادة على ذلك) ، وأردف : (فربما اعتذر المعتذر لهم بأن عللهم إنما ذكروها وأوردوها لتصير صناعة ورياضة على قانون التعليل الصحيح ، والقياس المستقيم ، فذلك بعيد لايكاد يذهب إليه محصّل) على أن عيب العائبين لنهج النحو وعلله لم يمنع النحاة من المضي في طريقتهم ، كما تشهد بذلك علل الكشـاف والمفصّل للامام المعتزلي الزمخشري (٥٣٨ هـ) والإنصاف ولمع الأدلة والاغراب لابن الأنباري (٥٧٧ هـ) . فثار ابن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ) على النحاة وأنكر مذهبهم هذا وغلوّهم فيه في كتابه (الرّد على النحاة) بل حاول نقض كثير من أصولهم . فما القول فيما انتحاه وجاء به ؟ .

لا شك أن ابن مضاء، قد سُبق إلى كثير مما ذهب إليه حين قال بإلغــاء (العامل) وإنكار العلل الثواني والثوالث واستبعاد الجدل النظري والحجاج الفلسفي وكل ما ينأى باللغة عن طبيعتها ويلفت عن واقعها ، بل كل ما لا يفيد في ضبط أحكامها وتحقيق الغاية في الكشف عن أصولها . لكنه عول على (النصّ) وحده ، كما توخاه في مذهبه الفقهي الذي عُرف بـ (الظاهرية) وقال بإغفال القياس . والمذهب الظاهري في الأصل مذهب فقهي دعا إليه في القرن الثالث الهجري أبو داود بن علي بن خلف البغدادي إمام أهل الظاهر في المشرق ، كما تولى بسطه والاحتجاج له والمنافحة عنه في غير هوادة في القرن الخامس الهجري الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، في الأندلس ، معتقداً أن القرآن إنما يجب (أن يُحمل على ظاهره ولا يحال عن ظاهره البتة ، اللهم إلاّ أن يأتي نصّ أو إجماع أو ضرورة حسّ على أن شيئاً منه ليس على ظاهره ، وأنه قد نقل من ظاهره إلى معنى آخر ، فالانقياد عندئذ واجب لما يوجبه ذلك النصّ والإجماع والضرورة) . وقد جاء تفصيل ذلك في كتب ابن حزم (الفصل في الملل والأهــواء والنحل) و (الإحكام في أصول الأحكام) و (إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) .

وقد عاش ابن مضاء في القرن السادس الهجري الذي ثارت به الأندلس على المشرق في الفقه وفروعه . ودعت إلى هذه الثورة دولة الموحّدين فأحرقت كتب المذاهب الأربعة . فاستنّ ابن مضاء مذهبه

في النحو على مثال مذهب الظاهرية في الفقه فأنكر القياس كما أنكرته، وعوّل على النصّ كما عوّلت .

أقول أما إنكاره العلل الثواني والثوالث ، والمباعدة بين النحو والجدل النظري وكل ما يقلبه عن وجهه ويحيله عن قصده فهو أمر يؤنسك بسداده ويقنعك بجدواه . وقد رأينا أن الزجاجي قد ماز العلة التعليمية عن القياسية ، وعزل هاتين عن الجدلية النظرية ، وأن ابن جني قد أنكر العلل الثواني والثوالث . أمّا تعويل ابن مضاء على (النصّ) وإغفاله (القياس) فإنا نستطرفه، إذ كيف يمكن أن تنهض لغة لا يعمل قياس على رسم ضوابطها وشرع حدودها . بل يسهل مدارجها ويوسّع مواجهها ويمهّد إزاءها سبل التوليد والنماء ويرصد لها أسباب الاتساع والارتقاء . على أنه إذا كان ابن مضاء قد ألغى (علة العلّة) ، فمؤدّى ذلك أنه لم يأبَ العلّة ، وقبوله العلّة يعني أنه آخذ بنوع من القياس قال ابن مضاء (١٥٢) : (والفرق بين العلل الأول والعلل الثواني أن العلل الأوَل بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بكلام العرب) . بل ارتضى شيئاً من العلل الثواني ، وأسماه المقطوع به (١٥٣) . وقد كان معوّلاً على الاستقراء فإن قيل (لِمَ رُفِعَ الفاعل فالصواب أن يقال له كذا نطقت العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء والتواتر) . وإلى مثل هذا أشار ابن سنان الخفاجي كما مرّ .

ولا شك أن ابن مضاء قد نقض أصول النحو وقوّض دعائمه ، فذهب المرحوم الدكتور طه حسين إلى أنه (لم يفكر بالاصلاح بمقدار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما فكر في هدم النحو) [١] وخالفه الدكتور مازن المبارك في كتابه (النحو العربي) فقال (أما رأي الدكتور طه حسين فهو مجحف في حق ابن مضاء .. ثم هو قبل ذلك حكم غريب أو لم يناد ابن مضاء بما ينادي به - إحياء النحو - اليوم .. فكيف يكون هداماً أكثر منه مصلحاً في رأي من يرى محاولة الأستاذ ابراهيم مصطفى إحياءً للنحو ..) :

أقول لاخفاء، أن الأستاذ ابراهيم مصطفى قد ذهب مذهب ابن مضاء، ومن سبقه في أن الإعراب وسيلة للتعبير ، فحركاته إنما تدلّ على المعاني .. وقد أنكرا أن يكون الإعراب أثراً يجلبه (العامل) . وعزوا حركات الإعراب إلى ما في نفس المتكلم من وحي المعنى ، ولكن كيف يتأتى للمتكلم أن يجري بلسانه بحركات الإعراب هذه فيؤلّف الجملة على ما يقتضيه نظام الكلام ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكر الأستاذ ابراهيم مصطفى أن الضمة تدل على الإسناد فهي علَمَه وموضعُها المسند إليه المتحدث عنه ، وأن الكسرة تدل على الإضافة فهي علَمَه ايضاً وموضعُها فيما يضاف إليه ، أما الفتحة فليست علامة إعراب وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، يشكلون بها آخر الكلمة في الأصل ودرج الكلام . ومهما يكن الرأي فيما ذهب إليه الأستاذ فإنه قد جاء بما قدّر أنه يغني مُغنى (العامل) ويسد مسده ، ويكون أقرب إلى تفسير نظام تأليف الكلم . أما ابن مضاء فقد عاب ما كان للنحاة من أصول ، ولم يقم

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية القاهري (الجزء الرابع) .

أصولاً جديدة تحل محلها وتُغني مُغناها .. والذي فعله أنه نهج السبيل لاتخاذ هذه الأصول ووجه الفكر لبلوغ القصد وتحقيق الغاية ، بل شرع في اعتماد هذه الأصول فقال (١٠٧) : « فإن قيل أنت قد أبطلت أن يكون في الكلام عامل ومعمول ، فأرنا كيف يتأتى ذلك مع الوصول إلى غاية النحو . قلت أورد هذا في أبواب تدل على ما سواها بالأحرى . وقد شرعت في كتاب يشتمل على أبواب النحو كلها فإن قضى الله باكماله .. وإلا فيستدل بهذه الأبواب على غيرها » .

وقد ذهب إلى هذا الدكتور محمد خير الحلواني في كتابه (أصول النحو العربي) فقال : « تلك هي زبدة أراء ابن مضاء في العامل النحوي ، وهي كما ترى تجنح للهدم ، ولا تسعى إلى إقامة أساس جديد ينهض عليه البناء النحوي » . على أن ابن مضاء قد شرع في هذا ، فأين كتابه الذي حاول به اعتماد هذه الأصول ؟

* * *

هذا وليس الإعراب أثراً لما في نفس المتكلم من وحي المعنى في كل حال . فقد يتفق أن يكون أثراً لعامل لفظي لا صلة له بالمعنى الذي يريد . فاذا قلت (ما أتاني رجلٌ) كان رفع (رجل) أثراً لما أردته به حين جعلته (مسنداً إليه) أو (متحدثاً عنه) . لكنك تقول (ما أتاني من رجل) فتعدل به عن حركة الرفع ، وأنت تريد بـ (رجل) أن يكون المسند إليه أيضاً . وهكذا يجر (رجل) استجابة لعامل لفظي هو الجار ، ولا يرفع استجابة لما أردت به من معنى . وقد يقال إن « الجار » هاهنا قد أضاف معنى الاستغراق ، كما أوضحه ابن هشام في المغني ، ودلّ عليه الزمخشري

في قوله تعالى « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها .. » ، وأشار إليه النسفي في تفسيره حين قال « إن – من – في قوله تعالى : وما تسقط من ورقة – للاستغراق » .

أقول إن الجرّ ، على كل حال ، قد جاء أثراً للجار ، لا للاستغراق ، وقد يعبر عن الاستغراق ، بأسلوب آخر . هذا وإذا قلت (إجلالك المعلمَ واجب عليك) كان نصب المعلم أثراً لما أردته به حين جعلته (مفعولاً بـه) ، لكنك تقول (إجلالك للمعلم واجب عليك) فتعدل بـه عن حركة النصب إلى الجر ، وأنت لا تعني غير ما عنيت أولاً . وتقول (ليس ينبغي أن يضرب الرجلُ أخاه) ، كما تقول (ليس ينبغي ضربُ الرجل أخاه) . قال ابن جني (١ / ٢٩٠) : (فإذا أضفت المصـدر إلى الفاعـل جررته في اللفظ ، واعتقدت مع هـذا ، أنه في المعنى مرفوع) . وقد ذهب إلى نحو من هذا الدكتور محمد خير الحلواني ، فقال : (وعلى هذا يكون الإعراب في هذه اللغة استجابة لأحد مؤثرين : مؤثر معنوي تجد فيه الإعراب خاضعاً للمعنى خضوعاً مطلقاً .. ومؤثر لفظي تجد فيه الإعراب لا يجاري المعنى ، ولا يعبر عنه ، بل يخضع للعلاقات اللفظية في التركيب) . وقد أتى بشواهد تؤنس برأيه كما مثلنا .

لكن الجديد الطريف أن إمام الصناعة سيبويه ، قد عرض في كتابه (١٠٨/١) لحركة الاعراب حين لا تستجيب للمعنى المراد . فعقد لذلك باباً أسماه (استعمال الفعـل في اللفظ لا في المعنى) .

وتوجيه ذلك أن (العامل) عند النحاة (ما به يتقوّم المعنى المقتضي للإعراب) كما يقول ابن الحاجب في كافيته . فالفعل حين يوجب النصب في الاسم مثلاً إنما يوجبه بما استقرّ في هذا الاسم من معنى المفعولية بسببه . قال الرضي في شرح الكافية (١/٢٥) : (فالموجد كما ذكرنا لهذه المعاني هو المتكلّم ، والآلة العامل ، وكذا الموجد لعلامات هذه المعاني هو المتكلم . لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها هي الموجدة للمعاني ولعلاماتها) . وهكذا وصل الرضي بين ما ذهب إليه النحاة عامة ، وما جاء به ابن مضاء ومن سبقه حين قالوا العمل للمتكلم لا للعامل .

فاذا قلت (كلت لك الطعام) فالطعام هو المفعول به ، وقد وقع عليه فعل الفاعل ، فهو المكيل ، واستوجب حاله النصب لما تقوّم فيه من معنى المفعولية بسبب العامل ، وهو الفعل ، على ما يرى النحاة . لكن العرب قالت إلى ذلك (كلت خالداً الطعام) فنَصَبت (خالداً) ولم يتقوم فيه معنى المفعولية ، اذ لم يقع عليه فعل الفاعل ، فليس هو المكيل ، وإنما المكيل الطعام . فما القول فيه ؟ الفعل قد عمل هنا في « خالد » ، وفي « الطعام » . أما عمله في « خالد » فهو في اللفظ ، على ما قرره سيبويه في أمثاله ، وأما عمله في « الطعام » فعمل في المعنى .

فاذا كان النحاة قد ذهبوا إلى أن العامل هو الذي يقوّم المعنى فيوجب الحركة التي تجانسه ، أو أن ذلك إنما يجري بسبب العامل فهو أداة يتقوم به المعنى الذي يستدعي الحركة ، فظاهر كلام سيبويه

أن العامل هو الذي يحدث الإعراب ، وهو ما أنكره عليه ابن مضاء فقال « ٨٦ » : (وذلك بين الفساد) ، لكن سيبويه قد أوضح أن الأصل في العامل ، كالفعل مثلاً ، أن يعمل في المعنى ليعمل في اللفظ ، وقد يعمل في اللفظ دون المعنى ، فــلا تكون الحركة في المعمول استجابة للمعنى . وقد مثل سيبويه لما يريد بقول « عامر بن الطفيل : لأبغينكم قَنا وعُوارضا .. » فقال (١ / ٨٢) : (قنا وعوارض : مكانان ، وإنما يريد بقنا وعوارض) . أي أن الفعل في (أبغينكم) قد عمل في المعنى حـــين نصب الضمير المتصل ، فلاءمت الحركة المقدّرة المعنى ، لكنه عمل في اللفظ حين نصب (قنا) لأن الحركة المقدرة لم تجانس المعنى ، ذلـــك أن المعنى على نية الجر ، والحركة هي النصب .

وذكر سيبويه قول ساعدة (كما عَسَل الطريـــق الثعلبُ) وعسل الثعلبُ اذا سار في سرعة واضطراب ، فكثرة النحاة على أن نصب (الطريق) وهو من الظروف المختصة إنما كان اتساعاً ، على نزع الخافض ، أما سيبويه فقـــد أشار أن (عَسَل) حين نصب (الطريق) قد عمل فيه لفظاً لا معنى . ذلـك أن النصب لم يأت استجابة للمعنى ، لأن المعنى على الجر .

ولا بد هنا من الاشارة إلى أمرين : الأول أن المرحوم الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي قد عرض للأفعال التي نطق بهـا العرب لازمة معنى ومتعدية لفظاً ، فقال في كتابـه (دراسات في فلسفة النحو والصرف) : (فالتعدي الحقيقي هو صدور الفعل من الفاعل .. ووقوعه على غيره .. فاذا قلنا أكلت الطعام .. فالطعام

مفعول به بتعدّ حقيقي ، وقولهم سفه نفسَه وغبن رأيَه . . ورشد أمرَه . إنما هي متعدّية تعديا لفظياً ، وذلك بدلالة جواز قولك سفهت نفسُه وغبنَ رأيُه .. ورشد أمرُه .. برفع هذه الأسماء على الفاعلية) . "وقال : (تكلمنا سابقاً على التعدية اللفظية والتعدية الحقيقية ، والمفعول به اللفظي والمفعول به الحقيقي ... وذكرنا أن ذلك مما لم يعرفه علماء النحو لأنهم لم يفكروا فيه ، إنما كان وكدهم أن يعيّنوا المنصوب ويميزوه من غيره ..) .

أقول قد جاء في التنزيل (إلا من سفه نفسَه ـ البقرة/١٣٠) فساق الأزهري صاحب التهذيب خمسة أوجه لتخريج (نفسَه) في الآية ، وأضاف أبو حيان في البحر المحيط وجهاً سادساً .. وبحث هذا كثيرون ، فهل ذكروا ذلك كله ليثبتوا أن (نفسَه) قد جاء في الآية على النصب ، وقد رأيت أنه قرىء منصوبا ؟ أقول إنهم استقصوا هذا فحفلت به كتبهم ليكشفوا عن عامل النصب فيه والمعنى الذي اقتضاه ، ولو أنهم لم يقصروا همهم على تصرف المعنى ، بل غادروه إلى ما اتخذوا في هذه الوجوه من أساليب الصناعة .

على أنه إذا كان كثرة من النحاة قد ذهب إلى أن (نفسَه) منصوب على نية الجر ، للزوم الفعل ، كما ذكره صاحب التهذيب ، والرّضي ، وصاحب المصباح ... وكان سيبويه قد ذهب في أمثاله من الأفعال اللازمة التي نصبت الاسم وهو على معنى الجر ، أنها عملت في اللفظ لا في المعنى ، أفلا يعني هذا أن منصوب هذه الأفعال إذا صح أن يسمى مفعولاً ، فهو مفعول لفظاً لا معنى . .

وأنه متى نصب معنى كان المفعول على حقيقته وأصله ، فما الذي زاده الدكتور جواد هنا ليقول إنه أتى بما لم يأت به الأوائل ؟

والأمر الثاني الذي نود التنبيه عليه أن لكثير مما تصوره النحاة في (العوامل النحوية) واشترطوه ، دواعي وبواعث معقولة ، قد عمد الدكتور محمد خير الحلواني إلى بحثها وشرحها فيما أسماه (مسوغات نظرية العامل) ، ولسنا في معرض تدبرها والحديث عنها . لكنه إذا كان ابن مضاء قد سوّأ (العامل النحوي) ونقض بنيانه ، فذلك أن النحاة قد تجاوزوا فيما انتحوه الغرض الذي أرادوا ، وركبوا فيه مركب وعراً ، فانتقض كثير من حججهم ، ودُفع مستفيض من عللهم ، وتخلف قصدهم الذي ابتغوه . بل ذهب ابن مضاء إلى ما ذهب إليه ، لما أفضت إليه خطة النحاة من تركيب انحط عن كلام الفصحاء أحياناً ، وتأليف لم يسمع من كلام العرب أو ينطق به . قال ابن مضاء ٢٨٠ : (وإني رأيت النحويين .. رحمة الله عليهم ، قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير ، فبلغوا من ذلك الى الغاية التي أمّوا ، وانتهوا الى المطلوب الذي ابتغوا ، إلا أنهم التزموا مالا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكهم ، ووَهنَت مبانيها ، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها) . وقال (٨٨) : (فإن قيل : إن ما قالوه من ذلك إنما هو على وجه التشبيه والتقريب ... قيل لو لم يُسقهم جعلها عواملَ الى تغيير كلام العرب وحطّه عن رتبة البلاغة الى هجنة العي ، وادعاء النقصان فيما هو

والذي يعنينا من هذا الموضوع هو معرفة مكان القبائل اليمانية وما يتعلق بأنسابها ومساكنها ، ومَن منها انساح من مواطنها ، ومن عرف أنه انتحل نسب غيره .

من المعروف أن القبائل اليمانية تنتمي الى قحطان – كما يذكر علماء الانساب العربية – وقد تسمت تلك القبائل بأسماء أصولها التي تحدّرت من قحطان ، واختار كل قبيل منها مكانا نزل به فتسمى باسمه ، وانتسب اليه من تناسل منه الى اليوم . وكذلك فعلت بطون تلك القبائل من بعدها وتسمّت بأسماء أصولها . ولكن لا يعني هذا أن تلك القبائل ظلّت قارّة في مساكنها الاولى لم يتحول بعضها أو كلها الى مناطق غير مناطقها ، ولم يخالطها أحد من أعراق أخرى ، فمن المؤكد أنه لا توجد قبيلة من القبائل الى اليوم خالصة النسب ، فما من قبيلة الا وبها جماعات متفرقة من غيرها ، ونحن نعرف أن القبائل التي تعاني من الجفاف وقسوة الحياة وقلة موارد الخير هي أكثر القبائل تحركا من مواطنهـــا وهجراً لمساكنها لا سيما القبائل التي تعاقبت عليها السنون العجاف فإنها ترحل من ديارها جماعات وأفراداً طلباً للرزق وبحثاً عن الامن والاستقرار ، فاذا نزلت بأرض غير آهلة بالسكان فانها تحتفظ بأنسابها ، أو تلك القبائل التي كان لها من الكثرة ما يجعلها متميزة عن السكان الاولين فإنها تحرص على حفظ أنسابها ؛ وذلك كما فعلت الازد فإنها ، كما روت مصادر التاريخ العربي ، لما هجرت أرضها ـ بلاد سبأ ـ بعد خراب سد مأرب ، وانتقلت الى جهات متفرقة حملت معها اسمها فعرف من نزل منهم في عُمان بأزد عُمان ، وعرف من ذهب منهم الى ألمع وزهران وغامد وتبالة وبارق

والحجر بأزد السّراة ، كما يطلق عليها أيضاً أزد شنوءه . وعرف من ذهب منهم الى الشام بأزد غسّان .

ومن القبائل التي اختفت من الوجود قبيلة جَنْب وهي من مَذْحِج ، وكانت مساكنها حول مدينة ذَمار في جبل دِرّان وجَبْوب الملّة ، وكانت من القبائل العاتية واشتهر أمرها وعلا شأنها في المائة السادسة والسابعة حيناً كانت تؤثر تأثيراً قويا في ميزان القوى المتصارعة على الحكم . ويقال : إن الجنبيين وهي عُزْلة في ناحية مغرب عَنْس ، هم بقية تلك القبيلة وربما أنّ مخلاف جَنْب من بلاد البُستان ولعل من جَنْب مخلاف جَنْب شمال صَعْدة . فهم أيضاً من تلك القبيلة . ولا نعرف الاسباب التي أدت الى اختفاء تلك القبيلة من الوجود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تكون الحروب المستمرة بين القبائل من أهم الأسباب التي تجعل المغلوب أحياناً يترك أرضه ويلحق بأرض قوم آخرين ، أو ينتفي من نسبه ويلتحق بنسب آخر ، كما حدث لعَكّ فبعض علماء الأنساب ألحقه بعدنان ، وأنه أخ لمعد بن عدنان . ومن القائلين بذلك من مؤرخي اليمن ونسابهم محمد بن علي المُدْهِجين الزَّبيدي من أعيان المائة التاسعة في كتابه (جواهر التيجان في أنساب عدنان وقحطان) فقال : إن أولاده نزلوا في نواحي زَبيد [١] في حين ذكر نشوان بن سعيد الحميري مؤكداً أن عكاً من الأزد فقال : « عك قبيلة

---

(١) مساكنها ذؤال ورفشال ولعسان (ناحية بيت الفقيه في تهامة) واللامية (الرامية) والقُحْرى وسِهَام ومُردُد ومَوْر والواعظات وصليل وغاقق .

من العرب يقال هم ولد عكّ بن عدنان أخي مَعَد ويقال : هم ولد عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد وهو أصح القولين . وانما سبب انتسابهم في مَعَد أن غسان وقت خروج الأزد من مأرب نزلوا تهامة ، وبها عكّ ، فخيرتهم عكّ بين شرقي تهامة وغربيها فاختارت غسّان الشرقي ومكثت به زمانا حتى قيل لهم : إن عكا أثخن منكم لبنا ، وأدسم منكم سمنا لأن أموالكم إذا سرحت استقبلت الشمس ، وإذا راحت استقبلت الشمس فأحرت الشمسُ رؤوسَها ، وأموال عك تستدبر الشمس عند الطلوع والغروب . فاستقالت غسانُ عكاً فلم تقلها ، فاقتتلوا ، فقتلت غسان عكاً قتلا ذريعا وأجلتها عن كثير من أوطانها فمن ثمّ انتفت عك من اليمن وانتسبت في معد ، وقال نشوان :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الم تر عكا هامة الأزد أصبحت	مذبذبة الأنساب بين القبائل
وعقت اباها الأزدَ واستبدلت به	ابًا لم يلدها في القرون الأوائل
صراخ دعتها أدعياء نفوسها	بجهل وأخطا رشده كل جاهل
كتابعة من جهلها غير امها	لترضع من درّيها غير طائل[١]

ومن القبائل التي وقع الاختلاف في نسبها قُضَاعة ، فبعض النسابين ذكر أنها عدنانية ، وبعضهم أكد أنها حميرية ، ومنهم الحسن ابن أحمد الهمداني واستدل بكلام كثير على حميرية قضاعة وقال : « وقد صنع أقوام ابياتا على ألسن قوم من قُضاعة ، ورووا احاديث أن قضاعة بن مَعد ، فإذا خافوا الفضيحة في ذلك قالوا :

(١) مختصر شمس العلوم ٧٤

وُلِد على فراشه ، « والولد للفراش » قالوا : وذلك أن مالك بن حمير طلق معاوية بنت جَوْشَن بن جلهمة بن عمرو الجُرهمي ، وخلف عليها معد ، وهي حامل من مالك ، فانتفى رجال من قضاعة وشعرائها من ذلك فقال حكيم بن عباس الكلبي :

برأنا الى الله من أن يكون ... أبونا نزار فترضى نزارا
ولكننا نحن نجل الملوك ... يمانون اصلا يمانون دارا

وقال آخر منهم :

اني امرؤ حميري حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولامضر

وسمعت رجال بني نهد تنشد في أشعارها وبين رفاق معد ، وفي ديار هوازن وقرادل في حروبها :

يا أيها الداعي ادعنا وأبشر ... وكن قضاعيا ولاتنزّر
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر ... قضاعة بن مالك بن حِمْيَر
النسب المعروف غير المنكر[1]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال عدي بن الرقاع العاملي وهو غلام حَدَثٌ لزهير العذري حينا انتقل طماع قضاعة من قحطان الى معد :

أزهيرُ إني إن أطعت كسَوْتَني ... في الناس ضاحية رداء صَغَار
أضلال ليل ساقط أكنافه ... في الناس أعذر من ضلال نهار
قحطان والدنا الذي نُدعى له ... وأبو خزيمة مدرك بن نزار
أتبيع والدنا الذي نُدعى له ... بأبي معاشر غائب متواري

(١) الاكليل ١/١٥٤، ١٥٥

تلك التجارة لا ربحت بمثلها ذهب يباع بآنك وأبار
إني إذاً كالقدح يجعل مغزلا يكسو المعاشر وهو أجرد عار[١]

ويقال بل قال ابن الرقاع هذا الشعر في أيّام يزيد بن معاوية وذكر أن رَوْحَ بن زِنْباع قام يوم الجمعة الى يزيد بن معاوية حين فصل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ألْحِقنا بأخوتنا فانا قوم معَدّيون والله ، ما نحن من قصب الشام ولا من غاف اليمن ، فقال يزيد : إن أجمع على ذلك قومُك فنحن جاعلوك حيث شئت ، فبلغ ذلك ناتل بن قيس فجاء يركض حتى دخل المقصورة يوم الجُمُعة فقال : أين جلس الغادر الكاذب رَوْحُ بن زنباع ، فأشاروا الى مجلسه فانتظر يزيد بن معاوية حتى فصل من خطبته ثم قال : يا أمير المؤمنين بلغني أن روح بن زنباع قام إليك فزعم أنه من معد ، وذاك ما لا نعرفه ولا نُقِرُّ به ، ولكن من قحطان ، يسعنا ما وسع قحطان ، ويعجز عنا ما عجز عنهم ؛ فردّ روح بن زنباع عن رأيه[٢] .

وقال نَشْوان بن سعيد الحميري : قضاعة حيٌّ من اليمن من حِمْير ، وهم ولد قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير الاكبر . قال شاعرهم جميل بن مَعْمَر العُذْري :

قُضاعةُ قومي إن قومي ذؤابة بفضل المساعي في الملمات تُعْرَفُ

وقد نُسبت قضاعة أيام العصبية الى مَعَدّ في وقت معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا لرؤسائهم أموالاً جسيمة على الانتفاء من اليمن

(١) الاكليل ١/١٥٨
(٢) الاكليل ١/١٥٧ ، ١٦١

والانتساب في معدّ فساعدهما الى ذلك بعض رؤسائهم ، فلما بلغ ذلك قضاعة غضبوا غضباً شديداً وأنكروا ذلك أشد الإنكار فحشدوا واجتمعوا ثم دخلوا مسجد دمشق يوم الجُمُعة على يزيد وهم يرتجزون ، ويقولون :

يا أيها الداعي ادعنا وأبْشر وكن قضاعياً ولا تَنَزَّر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر قضاعة بن مالك بن حِمْيَر
النسب المعروف غير المنكر من قال قولاً غير ذا تنصّر

أي فهو من النصارى ، ثم قالوا ليزيد : انا قوم من اهل اليمن يسعنا ما يسعهم ويضيق عنا ما ضاق عنهم فألحقنا بهم . قال : قد فعلت [١]

ووقع الخلاف في نسب المعافر (الحَجَرية) بن يُعفر فذكر الهمداني أنه المعافر الاكبر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مُرَّة بن أدَد [٢] (بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) .

بينما نسّاب حمير تنسبه الى المعافر من يُعفر بن وائل بن سكسك ابن حمير [٣] .

وانتسبت خولان العالية (خولان الطيال) في الزمن الحاضر في بكيل ، أو هكذا اعتقد بعضهم جهلاً ، مع أنها حميرية ، ولو كانت من بكيل لسُرَّ بذلك الحسن بن احمد الهمداني وذكرها في

(١) مختصر شمس العلوم ٨٧
(٢) الاكليل ١/ ١١٨ ، ١٠٠/٢
(٣) الاكليل تعليق القاضي محمد الأكوع ١٠٨/٠

أنساب قبيلته هَمْدَان الكبرى (حاشد وبكيل) ولكنه قال مؤكداً في كتابه الاكليل في نسب خولان : « وهذا خلاف ما عليه خولان العالية فهم من أول الدهر الى آخره ينتسبون الى حمير ، ولا ينكرون اخوتهم من خولان بن عمرو بن الحاف بمَخْلَف صعدة ونواحيه .

وإنما قيل : خَوْلان العالية للفرق بين البلاد لا الفرق بين النسب كما يقال : في أزْد شَنوءة وأزد عُمان ولا إشكال في أن الجميع من الأزد [١] كما أورد نشوان بن سعيد الحميري قول شاعر خولان العالية :

أيّها السائل عن أنسابنا نحن خولان بن عمرو بن قضاعة
نحن من حمير في ذِروتها ولنا المرباع منها والرباعه [٢]

ومن القبائل التي وقع الاختلاف في نسبها الأهنوم فأهلها يدعون أنهم من بكيل مع أنهم من حاشد ، وكذلك وقع الاختلاف في وادعة فقال هشام الكلبي وغيره : هم من الأزد [٣] من ولد وادعة ابن عمرو الملطوم بن عامر بن ماء السماء الأزدي . وقال نُسّاب همدان هم من همدان من ولد وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد وقال نساب حمير : هم من حمير من ولد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الاكليل ٢٠٤/١ .

(٢) مختصر شمس العلوم ٤٠ .

(٣) والسبب في ذلك ان ام سعد بن عبد وُدّ بن وادعة وحرب بن عبد ودّ بن وادعة واسمها ام عثب بنة عدي بن ثعلبة بن كنانة من الأزد . وقال الهمداني في الجزء العاشر من الاكليل : « وهذه الولادة هي التي جرت غباوة وادعة الى قولهم : نحن من الأزد من ولد عمرو بن عامر بن ماء السماء » .

وادعـــة بن عمرو بن الفقاعة واحتجوا بقول أسعد تبع وقد عدّ قبائل حمير :

ووادعة الكرام فقد نأونا وما َمتّوا إلينا بارتداد [١]

وبعض القبائل تعتقد أنها بكيلية . واستشهدوا بمقولة لا سند لها تاريخيـــاً . والصحيح أنها حاشدية . ويزعم جهلا بعض رؤساء قبيلة الحدا اليوم أنهم من بكيل ليكون لهم شأن : وأين الحدا من بكيل ؟ فالحدا وعنْس ومراد وقَيْفة . قائفة تنسب الى مَذْحج .

وهناك قبائـــل كثيرة غيّرت أنسابها بأنساب أخرى ذكرها الهمداني في مواضع متفرقة من صفة جزيرة العرب يمكن الرجوع اليها لمن يريد الاستزادة من معرفة مثل هذه الحالات .

صنعاء اسماعيل الأكوع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الاكليل ١٠ / ٧٥ ، مختصر شمس العلوم ١١

تعزيز بيتي الحريري للصغاني

الدكتور احمد خان

مقدمـة :

١ ـ جاء ابو محمد القاسم بن علـي الحريري (م ٥١٦ هـ) بالقطع الادبية المحيرة في كتابة المقامات . وظلت هذه المقامات من عهد تاليفهـا حتى اليوم مواد للدرس والتدريس ولشحذ اذهان الطلاب وغرس حب اللغة العربية فيهم والتمتع بالادب العربي . وهذا من الطبيعي لان الحسن ابن محمـد بـن الحسن الصغاني (٥٧٧ ـ ٦٥٠ هـ) درّس هـذه المقامات واخذ الناس عنه بالهند واليمن والعراق(١) .

وعنـده مقامة ادبية يقال لها الحلبية . قال الحريري فيها البيتين من صناعة المعكوس اللذين اسكتا كل نافث ، وامنا ان يعززا بثالث» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظلت هذه الفكرة دهراً لا تجد مثيلتها حتى جاء الصغاني ولبـى دعوة الحريري ولم يعززهما بثالث فقط بـل بثلاثين واوردها في هـذه الرسالة ثم شرحها شرحا بسيطا وسماها « تعزيز بيتي الحريري » . وهي لا شك قطعة ادبية صعبة الانتاج ولا يتمكن من مثلها إلا الذي علم اللغة العربية ومارسها ومرن عليها دهراً .

٢ ـ كان صاحب هذه الرسالة لغويا كبيرا ومحدثا عظيما وشاعرا مجيداً . وتاليفاته نحو الثلاثين واكثرها لم ير النور حتى الآن(٢) . قال الصغاني شعرا كثيرا ضاع مع ما ضاع من التراث العربي . ونحن مدينون

---

(١) طبقات العلماء والملوك (مخطوط) للجندي . ورقة ٣٠٨ ، تاريخ ثغر عدن ، لابي مخرمة ، طبع ليدن سنة ١٩٣٦ م ، ج٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر لترجمته البسيطة مقدمة كتابه : الانفعال ، الذي اخرجه مجمع البحوث الاسلامية (باسلام آباد) بتحقيقي سنة ١٩٧٧ م .

لمن حمى شيئا منها وحواها في كتبه . وبهذا مهد لنا الفرصة ان نتذوق بعض نواحي هذا الشعر كأبي مخرمة الذي صان قصيدته النونية الطويلة وقال فيها الصغاني ٦٩ بيتا . وهذه القصيدة نمط حسن للتجنيس اللفظي . ومن المعلوم ان الصغاني سمط مقصورة ابن دريد وسماها : « القلادة السمطية في توشيح الدريدية » ، في نحو خمسمائة بيت . وشرح الصغاني نفسه هذا التسميط . وقد طبع ببغداد سنة ١٩٧٧ م .

٣ ـ وقد عرفنا لهذه الرسالة نسختين . واحدة في برلين كما اخبرنا بها بروكلمان ولكن تعسر علينا الظفر بها . واما الثانية فتوجد في ضمن مجموعة الرسائل للصغاني في خزانة مراد ملا بالمكتبة السليمانية باستنبول . ورقم هذه المجموعة ١٨٧٩ وتشتمل على رسائل اخرى للصغاني وهي : كتاب الانفعال (الذي اخرجناه) ويفعول (طبع بتحقيق الدكتور حسن حسني عبد الوهاب) والاضداد (طبع بتحقيق هفنر) وغيرها . وناسخ هذه المجموعة شيخ الاسلام احمد بن عبد الحق (؟) كما كتب على صفحاتها الاولى . وهي نسخة جيدة الضبط بخط اندلسي متقن جدا . اما تاريخ كتابة هذه المجموعة فيمكن تعيينه بتعيين عصر شيخ الاسلام الناسخ . ومن الواضح انها نسخت من نسخة المؤلف مباشرة إذ يقول الناسخ في آخر كل رسالة : هذا آخر ما في نسخة المؤلف . تحتوي هذه الرسالة على عشر صفحات وفي كل صفحة ٢٣ سطرا .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ وقد اظهر الصغاني في هذه الرسالة الصغيرة قدرته اللغوية بل قدرته على صناعة المعكوس من الشعر واورد فيها ، كدابه ، بعض النصح للقراء .وآخر ابياتها نصيحة للحريري وكانه يقول له فيها :لا يمالا تعرف . وهذه القصيدة ،بدون إطراء،طرفة ادبية جميلة نقدمها الى القراء ليتمتعوا بها ويعلموا ان الدهر لم يعقم بعد الحريري بل قادر على الإبداع كما فعل الصغاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

تعزيز بيتي الحريري - للصغاني

٥٧٧ هـ   ٦٥٠ هـ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم

الحمد لله رب العالمين حمداً يتضاءل عنه حمد الحامدين ، والصلاة على سيد الانبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين وأصحابه أجمعين . هذا تعزيز بيتي أبي محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله ، اللّذَيْن زعم أنّهما أسكتا كل نافث وأمنا أن يُعزَّزا بثالث ، وهما :

سِمْ سِمَةً تَحْسُنُ آثارُها ... واشكُرْ لمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمكرُ مَهْمَا اسْطَعْتَ لا تأتِهِ ... لتقتني السُّؤْدَدَ والمَكْرُمَهْ[1]

عزّزهما ، في شريف أيام خلافة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام : أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين[2] ، لا زالت عروس الفضل بملابس الازديان ونفائس الازدياد بجلال جلالته متوشحة متنطقة ، وألسن الحمد باشاعة عَرْف منائحه وإذاعة عَرف مدائحه متفصحة مطلقة ، ما تعاقب الصباح والمساء ، وتناوب الظلام والضياء ، الملتجىء إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، آواه الله إلى صقع عافية يؤوي إليه أشباله ، ورقّاه إلى درجة من التّقى تجذب إليها أضرابه وأشكاله ، وهو :

(١) المقامة السادسة والاربعون : الحلبية .

(٢) هو الخليفة العباسي ، الذي سبق آخر الخلفاء العباسيين . ولي سنة ٦٣٢ - ٦٤٠ هـ ، وجاء بعده المستعصم الذي قتله هولاكو سنة ٦٥٦

[١] وَالأمَه المُزري بأهلِ الحجَى تعافه حُرّتُنا والأمَه

الأمَـه بالتحريك : النسيان ، وقد أمِه بالكسر . ومنه قراءة عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وسالم ابنه وأبي رجاء العطاردي ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والجحدري : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أمَه ﴾ (٢) قال الشاعر :

أمِهتُ وكنت لا أنسَى حديثا كذاك الدهرُ يُودي بالعقول (٣)

والإزراء بالشيء التقصيرُ . يقال أزرى به ، قال ذو الإصبع العَدواني واسمه حرثان (٤)

أزرَى بنا أننا شالتْ نعامتُنا فخالَني دُونَه بَل خِلتُه دُوني

يقال زرَى عليه وتزرى به وأزرى به والازدراء واستزراه واستزرى به . والحجى : العقل .

[٢] والأمَةَ الحسناء لانشهوها واستشعرا نسيانها الأمَهْ

الشِعارُ ما ولي الجسد من الثياب . وأشْعر الرجلُ هَمّاً أي لزق بمكان الشعار من الثياب بالجسد . واستشعرَ فلانٌ خوفاً أي أضمَره . وشاعره ناومَه في شعار واحد .

[٣] ومَهْمَه الأهْـواء لاتسلُكا واكفُفْ عَن الإيغال فيها وَمَهْ

المهمه : المفازة البعيدة والجمع المَهامِه . وكفَّ لازم ومتعدّ ،

---

(٢) سورة يوسف : ٤٥ .

(٣) والبيت في اللسان : امه .

(٤) هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة (م نحو ٢٢ ق هـ) من عدوان ، شاعر حكيم جاهلي . انظر لترجمته : الأعلام ج٢ ص١٨٤ .

ويقال : كففته فكفّ . والإيغال ، السير السريع والإمعان فيه ، قال الاعشى[٥] :

تقطع الأمعز المكوكب وخداً بنواج سريعة الإيغال

ومَهْ كلمة بنيت على السكون وهو اسم سُمّي به الفعل ومعناه : اكفف لأنه زجر فإن وصلت نوّنت فقلت : مهٍ مهٍ . يقال : مَهْمَهْتُ به أي زجرته .

[٤] ومَهْ إذا لامك من ينضوي

إلى آثارك الصوم يوم الوَمَهْ

الانضواء : الانضمام ، يقال : ضوى إليه أي أوى وأضويته إليه فانضوى . والأثرك : الترك . وقال ابن الاعرابي : وَمِهَ النهار ، بالكسر ومنها ، بالتحريك : إذا اشتد حره . والوَمْهة الإذوابة من كل شيء .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

[٥] فمهزْ طيب الذكر ألاّ يُرى

أخو النُهى يفغر فيه فمه

النُهى : جمع نُهية وهي العقل . وفغر لازم ومتعد ، يقال : فغر فوه أي انفتح وفغر فاه أي فتحه .

[٦] والحبر مهجوراً أضفه ورُم

لِطعْمه العنبرَ والحيرمه

(٥) هو ميمون بن قيس الاعشى الكبير (م ٧ هـ) . انظر لهذا البيت ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور محمد حسين (القاهرة، ١٩٥٠ م) ص ٧ .

الحَبْر العالِم وكذلك الحِبر بالكسر . وقال الاصمعي : لاأدري أهـو الحَبْر أو الحِبْر ونصّ الفراء على الكسر وأبو عبيدة على الفتح . وحبْر الأمّة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . والعبْرب مثال ربْرب ، والعنْرب ، بالتاء المنقوطة باثنتين مثال قطرب ، والعنْزب ، بالنون والزاي مثال عنصُل ، والعَربْرب براثين ، مثال صمحمح ، السُّماق ، وليس بعضها تصحيف بعض . والحَبْرمة : اتخاذُ الطبيخ بحبّ الرمان وهي لفظة مركبة كالحمدلة والحولقة والسبحلة والحسبلة والطلبقة والدمعزة والبسملة والهيللة والحيعلة .

[٧] والهينَ منهما رَمتَ واللَّيِّنَ في
أمرٍ فحزْمٌ واستكتم التهينمه

الهيْن والليْن مخففا هيّن وليّن . وفي الحديث النبي ﷺ : المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف ، ويروى : الآنف بالمد ، إن قِيْدَ انقادَ ، وإن أُنيخ على صخرة استناخ [٦] . قال ابن الاعرابي : العرب تمدحُ بالهَيْن واللّيْن بالتخفيف وتذمّ بالهيّن والليّن بالتثقيل . الهيْنَمَة ، الكلام الخفيّ ، قال الكميت : [٧]

ولا أشهدُ الهُجْرَ والقائليه   إذا هُمْ بهَيْنمةٍ هتمَلوا

(٦) والحديث في النهاية في غريب الحديث ، لابن الجزري . الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية بالقاهرة . ج٤ ص ٢٧٩ .

(٧) هو الكميت بن زيد الاسدي (م ١٢٦ هـ) ولهذا البيت انظر شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم الدكتور داؤد سلوم (بغداد ، ١٩٦٩ م) ج٢ ص ٤٤٩ . واللسان : هتمل .

وهي مشتقة من الهَيْنُوم وهو الصوت الخفيّ . قال ذو الرمة : (٨)

هَنا وهَنا ومِن هَنا لهُنّ بها
ذات الشَّمائِلِ والأَيْمانِ هَيْنُوم

[٨] والمَهْرَ مَهْرَ العِرسِ لاتَحْصُهُ
فتَحْرُمَ التَعْمِيرَ والمَهْرَمَهْ

الحَصْو ، المَنع ، قال :

ألا تخافُ اللهَ إذ حَصَوْتَني
حَقّي بلا ذَنْبٍ وإذ عَنَّيْتَني (٩)

والمَهْرَمَةُ : الهَرَمُ ومنها قوله ﷺ : (تعشّوا ولو بكَفٍّ من حَشَفٍ فإنّ تركَ العشاء مَهْرَمَةٌ) . هكذا ذكره القُضاعي وهو حديث موضوع (١٠) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[٩] والصَّلْقَ مهزومٌ الجيبي فاتركا
وجَانِبِ الإفحَاشَ والصَّلْقَمَهْ

الصلق . الصوتُ الشديد . قال لبيد : (١١)

---

(٨) هو غيلان بن عقبة العدوي (م ١١٧ هـ) وارجع للبيت الى ديوانه المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٤ هـ . ص ٦٥٨ . والهينوم : صوت تسمعه ولا تفهمه .

(٩) والبيت في اللسان : (حصى) ، وقائله بشير الفريري .

(١٠) ذكر الصغاني هذا الحديث أيضا في كتابه : الدر الملتقط في تبيين الغلط ، في الأحاديث الموضوعة . وقد طبع بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني في مجلة كلية الإمام الأعظم . المجلد الاول والعدد الاول سنة ١٩٧٦ م .

(١١) هو لبيد بن ربيعة العامري (م ٤١ هـ) . والبيت في اللسان: صلق .

فَصَلَقْنَا في مراد صَلْقَةً ... وَصُداء ألحقتهم بالثَّلَلْ

والسلقُ لغــة فيه . قال الله تعالى : ﴿ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ ﴾(١٢) . وفي حديث النبي ﷺ : (ليس منا من حلَق ولا صلَق ولا خرَق(١٣)) . والجَبَى ، نثيلة البئر وهي التراب الذي حولها تراه من بعيد . والصَّلْقَمة ، تصادم الأنياب ، والميمُ زائدة .

[١٠] والحَلْقُ مَهْلَكَةٌ فَخِلْ إِنّه ... يَمْسُكُ التَّسْحِيطَ والحَلْقَمَهْ

والمَهْلَكَةُ ، الهلاك وموضع الهلاك أيضاً . وخال ، حسب خَيْلاً وخِيلَةً ومَخِيلَةً ومَخِيلُولَةً وتقول : في مستقبله إخال ، بكسر الهزة ، وهو الأفصح ، وبنو أسد تقول : أخال ، بالفتح ، وهو القياس . والتَّسحيط : التذبيح . والسحط : الذَّبح . والحلقمة ، قطع الحُلْقُوم .

[١١] والعَلْقُ مَهْدِرُ مُهْجَتِي خِلْتُه ... يُذِيقُني المَقْرَةَ والعَلْقَمَهْ

العَلْقُ : الأكل . وعلقت الإبلُ العِضَاه تعلُق ، بالضم ، عَلْقاً ، إذا تَسَنَّمَتْهَا وتناولتْها بأفواهها ، وهي إبلٌ عوالق . قال الكميت يصف ناقته :

وَالبَسْ لتلك ثياب كلِّ دُجُنَّةٍ ... سوداءَ أَحْبَ إلى الشَّمِيطِ الأَبْلَقِ

(١٢) سورة الأحزاب : ١٩ .
(١٣) والحديث في النهاية في غريب الحديث : ج٢ ص ٢٩٦ .

بالعَيْسَجورِ كأنني وقُتودُها بالسَّهْبِ فوق سَراةِ أزْعَرَ نِقْنِقَ
أوْ فوقَ طاويةِ الحشى رَمْليّة إنْ تَدْنُ منْ فَنَنِ الألاءة تَعْلَقِ (١٤)

وفي حديث النبي ﷺ : (إن أرواح الشهداء في أجواف طير خُضْرٍ تعلَقُ من شجر الجنّة) (١٥) . والمُهْجَةُ ، الدَّمُ ويقال : هي دم القلب خاصة . ويقال : خرجتْ مهجتُه أي روحُه . والمَقِرُ والمَقْرُ ، الصَّبِر ، قال :

أرْقَشَ ظمآن إذا عَصَّ لَفَظْ
أمَرَّ من صَبْرٍ ومَقْرٍ وحُظُظْ (١٦)

والعلقَم ، شجر مُرّ ويقال للحنظل ولكل شيء مرٍ علقَمٌ .

[١٢] وَالمَنْجُ لمهوى بعدما أصحبتْ
أطايبَ المجز والمُجْلِمَهْ

اللَّمْجُ : الأكل بأطراف الفم ، قال لبيد :

يلمَجُ البارِضَ لَمْجاً في النَّدَى
مِن مَرابيعِ رياضٍ ورِجَل (١٧)

---

(١٤) لم اجد هذه الأبيات في شعر الكميت بن زيد الأسدي ، المشار إليه آنفاً ولا في هاشميات الكميت .

(١٥) والحديث في الفائق في غريب الحديث ، لجار الله الزمخشري (عيسى البابي ، ١٩٤٧ م) ج٢ ص ١٨٤ .

(١٦) والبيت في اللسان من انشاد شمر : حضظ ، وفيه الرواية :
رقش ظمآن إذا عَضر ، لفظ امرّ من صبر ومقر وحضَظ
قال الازهري : قال شمر وليس في كلام العرب ضاد مع ظاء غير الحضظ .

(١٧) والبيت في اللسان : (لمج ورجل) ، ومختار الشعر الجاهلي (مصطفى البابي ، ١٩٥٩ م) ج٢ ص ٥٠٨ .

وأصحَبَ : انقاد ، قال امرؤ القيس : (١٨)

وَلَسْتُ بذي رَثْيَةٍ إمَّرٍ إذا قِيدَ مُسْتَكرهاً أصحَبَا

ويقال : أطعِمْنَا من أطائب الجزور : جمع أطيَب ولا تقل من مطايب الجزور . وأجزّت الغنم أي حان لها أن تُجزّ ، وأجزّ القومُ ، إذا أجزّتْ غنمهم . وجلَمتُ الجزور إذا أخذت ما على عظامها من اللحم . وفي المثل : أطيبُ اللّحْمِ عُوّذُه (١٩) أي ما عاذ بالعظم . وأجلمَتِ الجزورُ أي حان لها أن تُجلَم .

[١٣] وَالمُسْ لِمَهْدَدَ رابِقَاتِ المَلاَ

وَأكَــرِمِ المُسْلِمِ وَالمُسْلِمَهْ

مَهْدَدَ من أسماء النساء لاينصرف للعَلَمية والتأنيث وهو فعلَل وليس بفعَل وقال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ولو كانت زائدةً لأدغم الحرف مثل مَقَرّ ومَرَدّ فثبتَ أنّ الدال ملحقة والملحق لا يُدغم . وراقني الشيء يروقني أي أعجبَني . والمُلا أصله مُلاءٌ بالمد جمع ملاءَةٍ وهي الرَيْطةُ .

[١٤] وَالنحيْرَ مَهدُ فَسَراحينَنَا

تَعدو عَلَى العجُولِ وَالحَيْرَمَهْ

(١٨) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار (م ٨٠ ق هـ) ولهذا البيت انظر ديوانه المطبوع بتحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم (دار المعارف ١٩٥٨) ص ١٢٩ .

(١٩) إن الصغاني يرى اولا بانه مثل ولكنه انتبه فيما بعد وقال إنه قول . كما جاء به في معجمه الكبير : العباب الزخر واللباب الفاخر . تحت مادة : عوذ .

الحَيْرَ : شبه الحظيرة أو الحمى ومنه الحَيْرُ بكربلاء . والسَّراحين جمع سِرحان وهو الذئب . قال سيبويه : النون زائدة وهو فَعْلان . وقال الكسائي : الأنثى سِرحانة . وهذيل تسمي الأسد سِرحاناً . وفي المثل : سقط العشاء به على سِرحان [٢٠] . وأصله أن رجلا استنبح مُستَطعِماً فأحسّ بـه الذئب فافترسه . وقيل سرحان في هذا المثل اسم رجل وكان يحمي وادياً فادعى رجل أنه يرعى في ذلك الوادي إبله ولا يخافه فهجم به سرحان فقتله وأنشا يقول :

أبلغْ نُصَيْحَةَ أنّ راعي أهله
سقطَ العشاءُ بـه على سِرحانِ

سقطَ العشاءُ بـه على مُتَقَمِّرٍ
طلْـقِ اليَدَيْنِ مُعاوِدٍ لِطِعانِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعِجَّوْلُ : العِجْلُ ، والجمع ، العَجَاجِيلُ . والتَّحَيْرَمة البقرةُ ويقال : ولد البقرة الوحشية ، والجمع حَيْرَم ، قال عمرو بن معد يكرب [٢١] :

لِمَنْ طَلَلٌ بالعمقِ أصبحَ دارِسا
تَبَـدَّلَ أرْآماً وعِيْناً كَوَانِسَا

---

(٢٠) المثل والأبيات في المستقصى في أمثال العـرب . لجـار الله الزمخشري (الدكن ١٩٦٢ م) ج٢ ص ١١٩ .

(٢١) هو عمرو بن معـد يكرب بن ربيعـة بن عبد الله الزبيـدي (م ٢١ هـ) ولم أجد هذين البيتين في المراجع التي نظرت فيها .

تبدّل أدمانَ الظباء وحَيْرَماً

فأصبحتْ في أطلالها اليوم حابسا

والنجرد مهما نلته فاقتنع

وحاذر الضنة والجردمة

الجرد : الثوب الخلق ، ويقال : بردة جردة ، قال أبوذؤيب :(٢٢)

واشعث بوشي شفينا أحاحه

غداتئذ ذي جردة متماحل

والضنة : البخل ، يقال : ضننت بالشيء، أضن به ضناً وضنةً وضنانةً إذا بخلت به وهو ضنين . وقال الفراء : ضننتُ بالفتح أضِن به بالكسر لغة ، وقال قعنب بن ضمرة وهو ابن أمّ صاحب : (٢٣)

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي

أنّي أجود لأقوام وإن ضننوا

والجردبة والجردمة أن يضع شماله على شيء يكون على الخوان كيلا يتناوله غيره ، أنشد الفراء :

إذا ما كنت في قوم شهاوى

فلا تجعل شمالك جردباناً(٢٤)

---

(٢٢) والبيت في شرح اشعار الهذليين . تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ج١ ص ١٦٠ . وهو في اللسان مشروحا « جرد » .

(٢٣) والبيت في اللسان : ضنن . وهذا قول قعنب بن ضمرة وامه ام صاحب فاشتهر بكنيته : ابن ام صاحب .

(٢٤) والبيت في نوادر ابي مسحل المطبوع بتحقيق الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦١ م) ص ١٣٦ . وهو في اللسان « جرب » ٢٥٧/١ دون ان يسمي صاحبه . وفي الجمهرة ٣ : ٢٩٨ ، ٤١٤ . وانظر ما في المعرّب للجواليقي ص ١١٠ وما بعدها .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

وهو فارسي معرّب وأصله كَرْدَهْ بانْ (★ أي حافظ الرغيف ،
وقال أبو مِسْحَل عبد الوهاب بن حَرِيش في نوادره بعدما أنشد البيت :
جردبانا وجُرْدَبِيلا ، هكذا يُنشد هذا البيت .

[١٦] وَالمَخْرُ مَهْوَى المَوجِ فَاحذَرْ فَمَا
فيه سِوى الإتْلاف وَالمَخْرَمَهْ

مَخَرَتِ السَّفِينَةُ تَمخَرُ وتَمخُرُ مَخراً ومُخُوراً ، إذا جرت تَشقُّ الماءَ مع صوت ، ومنه قوله تعالى : ﴿وتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ . يعني جواري . والمَهْوَى ، المَصْعَد ، يقال : هوى ، إذا علا ، وهوى إذا سفل ، وهو من الأضداد . وقال ابن الأعرابي : الهَوِيُّ بالفتح ، السريع إلى أسفل والهُوِيُّ ، بالضم السريع إلى فوق ، وحكى ابن نجدة عن أبي زيد مثله وأنشد :(٢٥)

● والدَّلْوُ في إصْعَادِها عَجْلَى الهُوِيّ ●

والمخرمه ، المقطعة .

[١٧] وَالمَلْحُ مَهْتُوت الرَّجا لا تَدَعْ
فَيُورِثَ الهَيْجَاءَ وَالمَلْحَمَهْ

الملح . الإرضاع : يقال ملحنَا لفلان مَلْحاً أي أرضعناه . والمَلْحُ ، الرَّضَاعُ . وكانت لأبي الطمَحَان القَيْنِيّ إبل يسقي قَوماً من ألبانها ثم أنهم أغاروا عليها فاستاقوها ، فقال :

(★) اللفظة بالكاف الفارسية .
(٢٥) والمشطور في اللسان : هوى .

أمالوا ذُرَاهـا واستحلّوا حرامَها

على كلّ حيّ منهم حبسُ أشهُرِ (٢٦)

وإنّي لأرجو مِلْحَها في بُطونكم

وَمَا بَسَطَتْ مِنْ جِلدِ أشعثَ مُقْتِرِ ★

والمهتوتُ : المهدُوم المكسر المفتّت . والرجا : الناحية وتثنيته : رَجَوان ، والجمع أرجاء .

قال الله تعالى : والمَلَكُ على أرْجَائِهـا . (٢٧) أي جوانبها . والهَيْجَى والهيجاءُ : الحربُ . والملحمَة : الوقعَة العظيمة في الفتنَةِ .

[١٨] وَالنَّمَقْسَ مَهْنَاةَ يَخَالُ الفَتَى ويَنقصُ الايمانَ وَالمَقْسَمَهْ

المَقْسُ والنَّقْسُ والنقْسُ : أن يعيب الرجلُ الإنسانَ ويسخر منه . والمقسمةُ : موضع القَسامة وهي اسم من الإقسام وُضِع مَوضع المصدر ولذلك فتحنا ميمها ولو كانت بمعنى الإقسام لضُمّتْ .

[١٩] وَالنَعَيْلَ مَهْدَرَةَ أرى فَاحْتَفِرِ

لِصِرْمِكَ الأحسَاءَ وَالنَعَيْلَمَهْ

والعَيْلُ والعيلةُ : الفَقْرُ . أراد أن الفقير لا يُراعى جانبُه

---

(٢٦) هو حنظلة بن شَرْقيّ احد بني القين من قضاعة (ت نحو ٣٠هـ) والبيت الثاني في سمط اللآلي (ج١ ص ٤٠٥) وفي خزانة الأدب (طبع قديم ج٣ ص ٢٢٦) . غير ان فيه اغبر بمكان مقتر واما البيت الاول فلم اجده في المراجع التي نظرت فيها .

★ في اللسان « ملح » : المِلْح في قول ابي الطمحان : الحرمة والذمام . ويقال بين فلان وفلان مِلْحٌ ومِلْحة اذا كان بينهما حرمة فقال : ارجو ان يأخذكم الله بحرمة صاحبها وغدركم بها .

(٢٧) سورة الحاقة : ١٧ .

ولا تُبْتَغى مراضيه . ومن فاخر الشعر قول الشاعر : [٢٨]

أفْلَحَ مَنْ كان لَه درهَمْ فَصانَ منهُ الدِّرْهَمُ العِرْضَا
يَمْلُكُ الخلُّ إذا جئتَه تطلبُ منه القَرْضَ والفَرْضَا
يَنكُتُ في الأرضِ اعتلالاً به يَظْهرُ مِنهُ النظرُ البُغْضَا
فَكابِدِ الدَّهْرَ لِكَسْبِ الغِنَى فَحاجةُ المُعْدِمِ لا تُقْضَى

وفي القلادة السمطية في توشيح الدريدية :

وَالنّاسُ مِن طِباعِهِم أن يُدْقِعُوا
مَنْ صَفِرَتْ وِطابُه ، ويرْفَعُوا
مَنْ شَكِرتْ عِيابُه ويَخْضَعُوا
عَبيدُ ذي المالِ وإنْ لَمْ يطمعُوا
مِن غَمْرِه في جُرْعةٍ تشتفي الصَّدى

والصِّرْم : أبياتٌ من الناس مجتمعة والجمع أصرام وأصارِم . والأحساء جمع حِسْي وهو ما تَتَشَفَّه الأرضُ من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكَتْه فتحفِر عنه الرملَ فتستخرجه وهو الاحتِسَاء ، جمع الحِسي : الأحساء وهي الكِرارُ . والعَيْلَمُ ، الركيّة الكثيرة الماء ، قال أبو نواس يرثي خلفاً الأحمر : [٢٩]

---

(٢٨) هذه الابيات من صنعة الصغاني نفسه كما نعرف ان له دابا ان يقرض الشعر في الموعظة والحكم . وبعد هذا القول : وفي القلادة السمطية في توشيح الدريدية . اي هو قول نفس الشاعر . ومن المعلوم ان القلادة السمطية من تاليفات الصغاني . وانه لم يذكر اسمه في مكانهما ، تواضعا ، لانه كان لا يريد ان يفخر كما فعل الحريري .

(٢٩) هو الحسن بن هانيء (م قبل ١٩٨ هـ) ولهذه الابيات انظر ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي (القاهرة ١٩٥٣ م) ، ص ٥٧٧ .

أودى جماع العلم مذ أودى خلف
من لا يعد العلم إلا ما عرف
قليذم من العياليم الخسف

[٢٠] والقمُ قمهزنة الحجى واضعاً بين يديك الطست والقمقمة

يقال لقمت الطريق ، بالفتح ألقمه ، بالضم : إذا سددت فمه . وقمهزنة الحجى : قاصر العقل ،قصير الباع في الفضل . وأصل القمهزنة : القصير . ويقال للرجل إذا يئس من خيره أو الصبي إذا يئس من رشده أو المريض إذا يئس من برئه : اغسل يديك من فلان ، وانفض يديك عنه . والطست . الطس بلغة طيء ، أبدلوا من إحدى السينين تاء للاستثقال . فإذا جمعت أو صغرت رددت السين لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء فقلت : طساس وطسيس . المراد بالقمقمة الإبريق من نحاس أو صفر . وقال الأصمعي هي لغة رومية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما ظرف الماورد الذي يسمونه القمقمة فاصطلاح . وفي المثل : على هذا دار القمقم [٣٠] . والقمقم والقمقام الجمع الكثير . يضرب لمن يسأل عن الشيء ، فيخبر بمقدار علمه وخبرته .

[٢١] والنمح كمهموم براه النهوى وحاذر الحكام والمحكمة

براه : أنحله بري القوس والسهم .

[٢٢] والنحن تمهد لك روض المنى واشتزر بالدباء والحنتمة

النحن أي كن فطنا يقال : لحن إذا فطن . ومنه حديث

---

(٣٠) فرائد اللآل ، تأليف الشيخ إبراهيم اليازجي .طبع بيروت سنة ١٣١١ هـ . ج٢ ص ٢١ .

النبي ﷺ : (لعلَّ أحدَكم ألْحَنُ بحجته [٣١]) . ولا حنتُ الناسَ فاطَنْتُهم . قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري [٣٢] :

وحديثٍ ألَذُّه هو مِمّا يَنعَتُ الناعِتُون يُوزَنُ وَزْنا
منطقٌ رائعٌ وتلحَنُ أحيا نا وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْنا

يريد أنها تتكلم وهي تُريد غيره وتعرّض في حديثها فتزيله عن جهته من فِطنَتِها وذكائِها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْلِ ﴾ [٣٣] أي في فَحواه ومعناه . وتمهّد أي تتمهّد . وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن الدُّبّاء والحَنْتَم والنَّقير والمزفّت [٣٤] أي عن الانتباذ في هـذه الأوعية خيفةَ أن تَضْرى فتُسْكِر ، والحنتم ، جرارٌ خضرٌ ينتبذ فيها وفي زماننا يسمّونها البَرّانِيُّ ، الواحدة برنية . والنقير ، أن ينقر أصل النخلة فيجعل كهيئة القَصْعَة . والمُزَفَّت ، المَطليّ بالزفتِ وهو القِيرُ .

[٢٣] والمَخْضَ مَهْوى لا أرى مِثْمراً فَقَضْمَكَ المُعْتادَ لا المَخْضَمَهْ

المَخْضُ مَخض اللبن ، يقال : مَخَضَه يَمْخَضُه ويَمْخِضه ويمخُضُه بالحركات الثلاث . وأمْخَضَ : حان له أن يُمخَض . والمَهْوُ : اللبن الرقيق الكثير المـاء ، يقال منه : مَهُوَ اللبنُ ، بالضم ، يَمهُو مُهاوة وأمْهَيْتُه أنا وناقة مِمْهاء : رقيقة اللبن . ويقال : لا فائدة في مخض

(٣١) والحديث في الفائق في غريب الحديث . ج٢ ص ٩٩ .
(٣٢) والبيتان في الصحاح واللسان : لحن .
(٣٣) سورة محمد : ٢٠ .
(٣٤) ولهذا الحديث انظر الفائق في غريب الحديث . ج١ ص ٣٨ .

الماء . والقضم : الأكْلُ بأطراف الاسنان . والخَضْمُ : الأكل بجميع الأسنان . وقدم أعرابي على ابن عم له بمكة حرسها الله تعالى فقال له : إنّ هـــذه بلاد مَقْضَم وليست ببلاد مَخْضَم ، وقولهم يُبلغ الخَضْمُ بالقضْم أي أن الشبْعَة قـــد تُبلَغ بالأكل بأطراف الفم ومعناه أن الغاية البعيدة قد تُدرك بالرفق . قال الشاعر : (٣٥)

تَبَلَّغْ بأخلاق الثياب جديدَها وبالقَضْم حَتّى يُدركَ الخضمُ بالقَضْم

[٢٤] وَالسَّرْطَ مَهْزَلَةَ النَّعَسَاعِي خَالَه
مَنْ تَجانَبَ البِطْنَة وَالسَّرْطَمَهْ

السَّرْطُ : مصدر سَرِطتُ الشيء أسرِطه سَرْطاً أي بلعته ، واسترطتُه : ابتلعته وفي المثل : الأخذُ سُرَيْطٌ والقضاءُ ضُرَيْطٌ . (٣٦) ويُروى سُرَّيْطى وضُرَّيْطى ، أي يسترط ما يأخذه لدَيْن فإذا تقاضاه صاحبه أضرط به . ومثله قولهم : الأكْلُ سلجانُ والقضاءُ ليّانُ . ومعنى قوله : والسرطَ مهزلة المساعي ، أي البطنة تعقر الفطنة . والبطنه : الكِظّة وهي أن تمتلىء من الطعام امتلاءً شديداً . يقال : ليس للبطنة خير من خَمْصَة تتبعها . والسرطمة : الابتلاع ، والميم زايدة . قال الليث : السرطَمُ اتواسع الحلق السريع الابتلاع .

[٢٥] قُولاَ لِمَهْيُومِ الفؤاد انْزِعْ
فإنْ أبَى النّصْحَ فَقُولاَ لِمَهْ

مهيُوم الفؤاد : مستهامُه شوقاً إلى محبوبه وعطشاً إلى لقائه ،

---

(٣٥) والعبارة وشاهدها في اللسان : قضم .

(٣٦) هذا ليس بمثل عند ابن منظور بل هو قول ، كما جاء بـه في اللسان : سرط .

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

وبَعير مَهْيُوم : به هيام . والوَزْعُ الكَفّ عن الشيء . يقال : وَزَعْتُه فاتّزع . ولِمَ إذا وقف عليه وقف بالهاء .

[٢٦] فَمَهِّداً عذْراً وَقَبولاً لَه إن لَمْ تَكُنْ تقبَلُ نُصْحاً فَمَهْ

تمهيدُ العذر : بسطُه وقبولُه . وقوله : فَمَهْ معناه فماذا تصنع والهاءُ للوقف ، كما قال :

قد وَرَدَتْ من أمْكِنَهْ مِن هاهُنَا ومِن هُنَهْ [٣٧]

إنْ لم أرَوِّها فَمَهْ

[٢٧] وَادِيكَ مَهْزُورٌ فَخَفِّفْ سَيْلَهُ فإنَّمَا وَادِيكَ وَادِي كَمَهْ

مهزُور : وادي بني قُريظة بالحجاز . والكَمَهُ مصدر كَمِه . وقوله : وادي كَمَه : هو كما يقال للمفاوز التي لا يُهتدَى فيها : المَعَامِي .

[٢٨] يَا تَرْجُ مَهْلَكَةٍ وَعِيصَ الهَوَى عَجَزْتَ عَنْ حلّك يا تَرْجَمَهْ

تَرْجُ : مأسدة بالغَوْر ، قال أبو ذؤيب : [٣٨]

كأنّ مُحَرَّباً من أسدِ تَرْجٍ يُنازِلُهُمْ لِنَابَيْه قَبيبُ

والعِيصُ : الشجر الملتف والجمع أعياص والمنبت مَعِيص . والترجمة : التفسير ، يقال : قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان مثل زَعْفَرَان ، وتُرْجُمان مثل عُنْفُوَان ، وتَرْجُمان

(٣٧) لم أجد هذه الأشطار في المراجع التي نظرت فيها .

(٣٨) والبيت في شرح أشعار الهذليين . ج١ ص ١١٠ . وفيه ترج : وادٍ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بفتح التاء، وضم الجيم. والجمع تراجم، قال: (٣٩)

ومَنْهَلٍ وردتُه التقاطَا وردتُ لم ألقَ به فرّاطا
إلاّ الحمامَ الوُرْقَ الغَطاطا فهنّ يَلْغطنَ به إلغاطَا
كترجُمانٍ لَقِيَ الأنباطا

[٢٩] تمهّدَ التعزيزَ، ذا رَوْنَقٍ ولَمْ يَعُقْنِي تَهَمٌ أو تَمَهْ

رونق السيف: ماؤُهُ وحسنه ومنه رونق الضُحَى وغيرها. وعاقه واعتاقه وعوّقه أي حبسه. والتَهَمُ: شدّة الحرّ، ومنه اشتقاق تِهامة. والتَمَهُ: قلب التَهَمُ. قال شمر: يقال: تهم الحرُ وتَمِهَ مثل جذب وجبذ.

[٣٠] قَدْ تَمّ مَهْرُوفاً أنيقاً رِضىً وإنّما الرحمانُ قَدْ تَمَّمَهْ

المهرُوف، المبالغ في مدحه المُطْنَب فيه، ومنه المثل: لا تَهْرِفْ قبل أن تَعْرِف (٤٠). والأنيق: الحسن المُعْجِب، وقد أنِق بالكسر يأنَقُ أنقاً. والرِّضَى، المرضيّ. وهذا مما يوصف بالمصدر يقال: رجلٌ رِضىً وعَدْلٌ.

---

(٣٩) قائلها نقادة الأسدي كما في اللسان: رجم، ورواية الشطر الثاني: لم ألق، إذ وردته فرّاطا.

(٤٠) والمثل في مجمع الأمثال، للميداني، مطبعة السعادة، ١٩٥٩ م. ج٢ ص ٢١٩.

النقد والتعريف

نشاط المسلمين البحري

الاستاذ محمد حميد الله

كتاب بالأوردية للدكتور أبي النصر محمد خالدي طبع
دهلي سنة ١٩٧٤ صفحاته ٤٥٦ من القطع المتوسط

إن العنوان الأصلي للكتاب بالعربية هو « نشاط المسلمين البحري » والعنوان الذيلي : « بعض المعلومات الأساسية وشرحها » ومؤلف الكتاب هو أحـــد أساتذة التاريخ الاسلامي في الجامعة العثمانية ، بحيدر آباد الدكن (بالهند الجنوبية) دخل الاسلام في الهند ـ كما ذكر البلاذري (فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ وما بعدها) ـ في خلافة سيدنا عمر ، فهو إذاً يعاصر إسلام الشام ومصر . ولم يزل ولا يزال الاسلام ينتشر في تلك النواحي . وشوق المسلمين الهنديين إلى العلوم الاسلامية والى تاريخ ثقافتهم لا يقل عما هو عند إخوانهم من بلدان أخرى . وبما أن الاسلام دخل في الهنـــد بالبحر أولا ، ثم بالبر بعد ذلك (زمن الغزنويين) فإنهم يهتمّون بتاريخ علم الملاحة عند المسلمين القدماء كما يهتمون بتاريخ الأندلس مع بُعدها من الهند .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ خالدي يشتغل بالموضوع منذ زمن طويل ويجمع المعلومات من كل ما يقرأ . ولكن بدل أن يدوّن كتابه لعامّة القرّاء ، فضّل أن يؤلف « دائرة معارف » ، ليرجع اليها العلماء كلما بَدَا لهم حاجة . وللناس فيما يعشقون مذاهب .

فقسّم الكتاب على أبواب : الأسماء (العربيـــة) للسفينة ،

ولأجزاء السفينة ، ولعمّال السفينة ، ولما يتعلق بسير السفينة . ثم باب جمع فيه أموراً متنوعة (مثل تاريخ الحروب البحرية عند المسلمين ، أزمان السفر للسفينة الشراعية ، حكايات وخرافات مأثورة عن المسافرين في البحر ، أدعية لهم مخافة الغرق ، نصب الراية على السفينة ، قصائد في توصيف السفر البحري ، الروايات البحرية عند قدامى المسلمين ، ذكر البحر في القرآن والحديث ، ضروب الأمثال مما يتعلق بالبحر) ولكن باختصار كثير . وفي الأخير : فهرست المصادر

الباب الأول هو تمهيد يتأسف فيه لقلة الكتب الاسلامية في الملاحة مع أن المسلمين حكموا بحار العالم طويلا والقرآن مملوء بأذكار الأسفار البحرية . فالمؤلف يريد أن يساهم في تلافي ما فات . وهو يعرف الكتب التي صدرت : كتب ابن ماجد وسليمان المهري و « بيري رئيس » التركي وما صدر أخيراً من كتب اسماعيل سرهنك ، وعبد الفتاح ، وحبيب زيات ، ومحمد ياسين ، وعلي محمد فهمي (الاخير بالانكليزية) ، ويعرف أيضاً أكثر ما كتبه المستشرقون ، ولكنه يقول : كل هذا لا يشفي الغليل ، ويعترف أن ما كتب هو ليس الا كالقطرة . وهناك فهرس للمصادر أيضاً في آخر الكتاب ، ليته أدخل فيها الكتب والمقالات الافرنجية بالخط اللاتيني لأنه يصعب معرفة أسماء الافرنج بالخط العربي خاصة إذا كان الانسان لا يعرف اختلاف التلفظ باللغات المختلفة . ذكر مثلا فاكنان[1] (ص ٣٤) وفاكاتان[1] (ص ٢٦) فكم منا يفهم منه Fagnan (فاين يان الفرنسي) ؟ . وحق للمؤلف أن يبجل كتاب « عربون كي جهاز راني » (بالاوردية) للسيّد

(١) اللفظتان بالكاف الفارسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سليان ندوي ، ولكن ليته ذكر أيضاً أن هذا الكتاب ترجم إلى الانـكليزية ونشر مجزءاً في مجلة Islamic Culture سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢ في حيدر آباد ، وطن مؤلفنا . اننا نعذره عندما كتب (بيري رائز) (ص ١٠) بدل « بيري رئيس » التركي . ونعذره أيضاً لأنه لم يعرف انه نشر عدة رسائل بحرية لابن ماجد أسد البحر ، وهذا في روسيا ، لأن استاذنا يسكن في بلاد تصعب فيها الحياة الاقتصادية وبالتالي يصعب استيراد الكتب من الخارج . ولكن لابد أنه يوجد في جامعة حيدر آباد كتاب Pearson: Index Islamicus وفيه ذكر المقالات المنشورة في المجلات . ففي أثناء « الرحلات » يذكر أيضاً « الملاحة » Navigation فليراجع اذن الباب VI.d . وأذكر أن هناك مخطوطة بالقاهرة : « الإعلام عن الحروب الواقعة في صدر الاسلام » ليوسف بن ابراهيم الاندلسي ، وفيها ذكر الحروب البحرية أيضاً . والمسلمون من الأندلس وغربي إفريقيا اكتشفوا أميركا قبل كولومبوس بقرون كما ذكره المسعودي والادريسي وابن فضل الله العمري . ويراجع هنا :

(Les Musulmans en Amérique d'avant Christophe Colomb, France - Islam, Paris, N 11 - 14, Janvier – avril 1968)

ولا بأس أن يشير مؤلفنا إلى هذا أيضاً . واستسمح أن ألفت نظره إلى الكتب والمقالات التالية أيضاً :

1. G. Jacob, Der Nordisch - baltische Handel der Araber in Mittelalter, 1871.
2. Fr. Hirth & W. W. Rockhill, Chau - Ju - kua, his work on the Chinese and Arab Trade in the 12 th and 13 th centuries, entitled chu - fau - chi, St Petersburg, 1911.

3. Pelliot, Deux intinéraires de Chine en inde, dans : Bulletin de L'Ecole Francais d'extrème - orient, I V.

4. Les Grandes Escales, série Sociéte Jean Bodin, Bruxelle, 3 vols. (Les escales arabes au début de L' Islam, etc.) 1974.

5. T. Lewicki, Les Premiers commerçants arabes en Chine, dans Rocznik Orijentalistyczny, Lvov pologne, XI, 173 - 186, 1936 .

منهج الكتاب ، كما ذكرنا ، يشبه أن يكون موسوعة . فالباب الاول أسماء السفينة بالعربية ويمتد على مائة وخمسين صفحة . وقد اشتغل به آخرون قبله ولكن هذا أجمع ، فيذكر ما يتجاوز المائتين وعشرين اسما من بينها اليخت Yacht والوابور Vapeur والفرقاطة Fregate والغواصة . ولكني لم أجد فيها « الجارية » مع أنها مذكورة في القرآن (حملناكم في الجارية — فالجاريات يسرا — ومن آياته الجوار في البحر — وله الجوار المنشآت في البحر كالاعـــلام) وفي غزوة تبوك ، صالحه صلى الله عليه وسلم أهل مقنا (على خليج العقبة ، في العربية السعودية) ونقل ابن سعد والبلاذري نص المعاهدة وذكر فيها « نصف ما صادت عروككم » ، فيجوز أن يكون معنى العروك السمّاكين ، ويجوز نوع من السفائن الصغار لصيد السمك . ومنهج المؤلف أنه يذكر فوائد صادفها في ذكر كل اسم من أسماء السفن . مثلا يذكر الحرّاقات (ص ٥٦ — ٥٧) لتحريق سفن العدو ، ومال الى أنها كانت موجودة في عصر الأمويين ولكن لم يجد الشواهد . وأذكّر بالشاهد التـالي : عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال : « ركبنا البحر زمن معاوية رضي الله عنه ولقينا العدو فرميناهم بالحرّاقات »

(شرح السير الكبير للسرخسي ، طبع حيدر آباد ، ١٣٣٦ هـ ، ج ٣ ، ص ٢١٣ ، إن نشرة صلاح الدين المنجد لم تتم بعد) . وبحث في « دونيج » (ص ١٧) وتذبذب ولم يتذكر عندما كتب صفحة ٢٢٦ ، فان هذه الكلمة معربة من دونكي (دطونكي) الهندية . وبحث في كلمة بارجة (ص ٢٥٢) وهي أيضاً معربة من الهندية بيره (بيرطه) ، بمعنى الاسطول .

هو عرف قصة ملك البلغار من رحلة ابن فضلان ، ولكن لم يصب عندما ظن (ص ٨٨) أن المراد به البلغاريا في مقدونية ، بل هو قازان وما في جواره على نهر وولكا (والبلغار عرّبوه أحياناً أيضاً البرجان) . وذكرَ مالديب (ص ١٤٤) ورسمه أيضاً مالديو (ص ٣٥٠) كأنه تأثر باملائه الانكليزي Maldive بيْدَ أن أهل تلك البلاد (وهي عضو في الامم المتحدة) يكتبون « محل ديب » ؛ وديب معناه الجزيرة (ونجده في لكاديب وسرنديب وغيرهما) . ولم يصحح تجارب الطبع (ص ١١٢ العدولية وصوابه : العدولية . وص ١٢٩ الفلكوكة ، وصوابه : الفلوكة) . وما اقبح ما جاء خطأً (ص ٢٨٠ « إعراب وثلاثة تين سورة » وأراد « إعراب ثلاثين سورة » . بحث في كلمة نوتي (ص ١٦٦) وعرف صلتها باليونانية ناوتا ، ثم بحث (ص ٢٨٣ — ٢٨٤) في « ناخدا » وقال إن كلمة « ناو » الهندية ـ دخلت في اليونانية . ولكن مادامت اليونانية واللاتينية من جهة والسنسكرتية من جهة أخرى ، كلها من نفس عائلة اللغات « الهندية ـ الاوروبية » فهل تحتاج اللاتينية أن تستعير هذه الكلمة من الهند ؟ ثم ان المعاجم الغربية الحديثة تذكر أن هذه الكلمة لاتينية Navis .

ثم جعل باباً جديداً لألقاب السفينة وأجزائها ، على حروف الهجاء ، ثم باباً آخر لعَمَلة السفينة ، وباباً آخر للأفعال المتعلقة بالملاحة وسير السفينة ، ثم باباً جديداً لمتعلقات البحارة وسير السفائن . وهذه الأبواب تمتد من ص ١٧٠ الى ٢٧٧ .

بحث في بيسر وبياسرة (ص ٢٥٢) ولكن لم يمر بباله أن هذه الكلمة معربة من الفارسية « بسر » ومعناه « الابن » والمراد به إذا كان الأب عربياً والأم عجمية . واستعمل العرب مصطلح « الأبناء » أيضاً ، وهما صنفان ، وكثر ذكرهما في تاريخ اليمن قبل الإسلام ومنذ الإسلام . وكذلك بحث في كلمة « أريس » واكتفى بما ذكره ياقوت الحموي بينما هذه الكلمة وردت في رسالة النبي عليه السلام الى هرقل يدعوه الى الاسلام ويزيد : فان أبيت فعليك إثم الأريسيين (أو : اليريسيين) . ونقل (ص ١١٤) « اعشا سفن البحر » ، ولا بد أنه يريد « اعشار سفن البحر » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم بوب باباً وعنونه : « متفرقات » جمع فيه معلومات قليلة جداً عن كل من « الحروب البحرية الاسلامية » ، و « مواسم سفر السفن الشراعية » ، و « ثروة البحريين » ، و « حكايات وخرافات لمسافري البحر » ، و « أدعية وقت السفر البحري » و « المسائل الشرعية عن سفر البحر » ، و « رايات على السفينة » ، و « قصائد لوصف سفر البحر » ، و « اشتغال العرب بالبحارة » ، و « ذكر البحر في الحديث » و « ضروب الامثال عن السفينة » . ولكن لم يجد الا القليل من المعلومات . وسيأذن لنا أن نلفت نظره الى بعض الأمور :

ـ ذكر (ص ٢٩٨) النجار القبطي (واسمه باقوم) عند بناء قريش الكعبة قبيل البعثة ، وأكد أن عمل هذا النجار كان يتعلق بنجر باب الكعبة ، بينا يقول ابن هشام والازرقي أن قريشاً استعملوا خشب السفينة التي انكسرت قريب الشعيبة (جدة) لتسقيف الكعبة كلها . ولما نقص الخشب جعلوا الحطيم بدون سقف .

ـ يذكر كلمة الفرضة (ص ٣٥٤ – ٣٥٥) . وأضيف : أهم نص في هذا الموضوع : « أسواق العرب ... ثم يرتحلون منها إلى المشقر بهَجَر فيقوم سوقها ... فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم ... ثم سوق دبا وهي إحدى فرضتي العرب يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب ... وكان الجلندي بن المستكبر يعشرهم فيها وفي صحار ويفعل في ذلك فعل الملوك بغيرها » (كتاب المحبر لابن حبيب ، طبع حيدر آباد ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦) . (يراجع أيضاً تاريخ اليعقوبي ٣١٣/١ – ٣١٥ ، ونهاية الارب للنويري ص ٤٦٤ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي طبع حيدر آباد ١٦١/٢ وما بعد ، وكتاب أسواق العرب للأستاذ سعيد الافغاني) .

ـ ذكر أدعية المسافرين على البحر . ولم يتذكر أجمل دعاء، علمه القرآن : « قال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » .

ـ ذكر مراجع كثيرة لكتب الحديث النبوي حيث وردت كلمة البحر ، كأنه نقل عن المعجم المفهرس لـ : فنسنك بدون ذكر اسمه . ولكن لا ندري لماذا أهمل نفس المصدر لكلمة سفينة ، وفلك ،

وجارية وغيرها . ثم في ذكر كلمة البحر لم يميز بين ما يتعلق بموضوعه وما لا يتعلق مثل « بحر البحيرة » و « اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه » . فبحر البحيرة يتعلق بالحيوان مثل الابل والشاة . وأهل البحيرة معناه أهل المدينة المنورة ، والبحيرة من الاضداد ، تدل على البر كما تدل على البحر . وذكر الحديث « فاعمل من وراء البحار » وهي الصحاري .

ـ وعندما قرأت القصيدتين بالفارسية والهندية عن وصف سفر البحر (ص ٤١٢ – ٤١٤) تذكّرت ما اقترحت قبل زمن طويل ، أن الاسفار البحرية ليوليسيس (من تصنيف هومر اليوناني) معروفة وكذلك أسفار السندباد البحري في ألف ليلة وليلة . ومن الغريب أن أحد الأسفار مشترك بينهما وهو في قصة الجني ذي العين الواحدة الذي يأكل لحم الانسان ويتخلص يوليسيس وسندباد منه بصعوبة . لم تُعرف ترجمة هومر إلى العربية فكيف تعلم مؤلف هذا القسم من ألف ليلة وليلة قصة يوليسيس ؟ اقترحتُ أن السريانيين مثلا حكَوْا للعرب قصص هومر شفاها ، فبنَوْا عليها قصة أسفار السندباد البحري . والله أعلم .

ـ ذكر جران السعود (ص ٤٤٦) ، وهو يريد طبعاً جران العوْد الشاعر .

ـ ذكر المثل « ما بَل بحرٌ صوفة » (ص ٤٣٨) وظن أن الصوفة هي زبد أمواج البحر . أنا مـــا أظنه كذلك . ذكر ابن البيطار « صوف البحر » (لعله هو) فيقول : كان بعض الناس فيما مضى يزعم أنه نوع من الطحلب البحري ينبت على حجارة أقاصير البحر . وليس الأمر كما ظن بل هو شيء يوجد في بحر المشرق وببلاد الروم

وبأقاصير اسفاقس أيضاً من بلاد القيروان . وأكثرها يكون بقربة من بلاد القيروان ، وأكثرها بقربة من قصر زياد ، وبقربة قبودية أيضاً يوجد في صدفة كبيرة على قدر يد الانسان أعلاها عريض وطرفها دقيق إلى الطول ما هو كأنه (طائر ، ظاهرها خشن ، فيه زوايا طويلة ناتئة ، منها دقاق ومنها ما يكون في غلظ أقلام الكتاب ، فارغة الداخل . ولون الصدفة كلون اللؤلؤ . وداخلها لون أصفر مليح المنظر الى الحمرة ما هو . وفي داخل الصدفة حيوان مؤلف من أشياء تشبه الأعصاب والكبد الأبيض والاسود كنبات اللوبيا ، قائم غير معوج المصير . وفي الطرف من المصير مما يلي الحادّ من الصدفة يكون الصوف المعروف . خلقة عجيبة للخلاق العظيم سبحانه وتعالى ... »

وقال الاصطخري في المسالك والممالك (ص ٤٢) تفصيلا عن هذا الصوف : « وتقع بشنترين في وقت من السنة من البحر دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وَبَرٌ في لين الخز ، لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئاً . وهو عزيز قليل فيجمع وتنسج منه ثياب فتتلوّن في اليوم ألواناً . ويحجر عليها ملوك بني أمية ولا ينقل الاّ سرّاً . وتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه . وقال المستشرق دي خويه في حاشية الاصطخري : « إن اسم هذا الحيوان البحري أبو قلمون » ومثل هذا الكلام يدل على قرب علائق أهل جزيرة العرب قبل الاسلام بالبحارة ودقة نظرهم فان صوف البحر لا يوجد إلاّ بعيدا من جزيرة العرب في غاية الندرة ومع ذلك دخلت الكلمة في أدبيات العرب فقالوا : ما بلّ بحرٌ صوفة .

ومن لطيف ماذكر وهو منقول من ابن تغري‌بردي (النجوم الزاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢٨/٧) : عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه في خلافة معاوية رضي الله عنه : هو أول من نشر الرايات على السفن . ونقل أيضاً عن الطبري في أحوال سنة ٢٦٨ للهجرة نصب الأعلام على السفائن .

ـ لم يذكر مؤلفنا آيات القرآن مثل « ريح طيبة . . . ريح عاصف » وكذلك « تذهب ريحكم » وهذا الاخير لا بد أن يكون من كلام أهل البحر : اذا ذهبت الريح من الشراع ظلت السفينة راكدة معطلة . وكذلك لم يشر الى قصة تميم الداري المذكورة في صحيح الامام مسلم ، وكلمة « داري » معناها الملاّح .

ـ لم يصحّح في تجارب الطبع (ص ٤٣٣) « أسماء بنت عميس . قال عمر الحبشية » (اقرأ : الحبشية) . هذه البحرية (اقرأ : هذه البحرية) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب معدن للمعلومات وننتظر الطبعة الثانية المنقحة والمزيد فيها .

باريس : محمد حميد الله

الاستعراب السوفياتي والسبعينات

و

كتب جديدة عن الأدب العربي الحديث

بقلم : جاكوب م لاندو

تقديم وترجمة : عبد النبي اصطيف

تقديم

صدر مؤخراً العدد التاسع من « مجلة الأدب العربي »[1] السنوية التي يصدرها عدد من الدارسين العرب والمستعربين في جامعات المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية . وقد بدأ صدور هذه المجلة عام ١٩٧٠ ، وهي فيما أعلم المجلة الوحيدة المتخصصة بشؤون الأدب العربي ، في ميدان الدوريات التي تصدر باللغة الانكليزية(*)

وقد ضم العدد الجديد باقة من المقالات الجيدة عن جملة من القضايا الهامة ، والتي مازالت مدار نقاش في دوائر المهتمين بالادب العربي من المستعربين الأجانب أو الدارسين العرب ، منها :

- الموشح والزجل والخرجة
- وظيفة البلاغة في الأدب العربي الوسيط

(*) للمزيد من الاطلاع على المجلة انظر : عبد النبي اصطيف « مجلة الادب العربي » ، المعرفة ، دمشق ، العدد ١٩٩ ، ايلول ، ١٩٧٨ ، ص ص ١٤٤ — ١٤٩ .

ـ الشعر المروي شفهياً في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي

وهي قضايا ذات حساسية شديدة ، يشكل إلقاء ضوء جديد عليها ، دفعاً في طريق تقدم البحث فيها . إضافة إلى عدد من المقالات الأخرى التي تتناول روائع الادب العربي الحديث كرواية الطيب صالح « موسم الهجرة إلى الشمال » وبعض نتاج الحكيم ونجيب محفوظ وآخرين .

وهذا كله إلى جانب عدد من المترجمات التي تشمل الشعر والمسرح ، والمراجعات ، مع ثبت بآخر ماصدر من مطبوعات جديدة عن الادب العربي ، وهو زاوية دورية يعدها بيير كاكيا .

ولست أريد في هذه المقالة أن أقف عند محتويات العدد فهذا ما آمل أن أتحدث عنه في مقالة قادمة هي قيد الإعداد ، ولكني أريد فقط الإشارة إلى مقالة جاكوب م ، لاندو [٢] والتي راجع فيها عدداً من الكتب السوفييتية التي صدرت مؤخراً عن الأدب العربي الحديث ، والتي تلقي بدورها ضوءاً جديداً على الاستعراب السوفييتي في السبعينيات . والحقيقة أن حركة الاستعراب في الاتحاد السوفييتي حركة نشيطة جداً ، إلا أننا لا نعرف عنها إلا القليل ، وذلك لان بعضها ـ أو أكثرها ـ لايصل إلى الاقطار العربية . كما أن اللغة الروسية ليست ـ فيما يبدو ـ من اللغات المتداولة بين المثقفين العرب ، والذين يعرفونها قلة ، وأغلبهم يعنى بنقل الأدب الروسي ، ولا يعير اهتماماً كبيراً لما ينشر من كتب بالروسية عن الأدب العربي ، أو الثقافة العربية وما يتصل بها من أمور وقضايا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد رأيت أن أنقل هذه المقالة إلى العربية ، بغرض إعطاء القارىء العربي فكرة عن الاستعراب السوفييتي في السبعينيات ، خاصة وأن أغلب الكتب التي يناقشها صاحب المقالة يتناول فترة مبكرة من تاريخ الادب العربي الحديث هي سنوات النهضة ، والتي أظن أنها ما زالت تثير الكثير من النقاشات حول طبيعتها ، ودور المؤثرات الأجنبية فيها ، ناهيك عن المصطلح نفسه وما يثيره من إشكالات لا تقتصر على التسمية فقط ، وإنما تتجاوز ذلك إلى تضمنات المصطلح وحدوده التاريخية أيضاً(*)

* * *

كتب سوفييتية حديثة عن الأدب العربي الحديث :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارتفع عدد الدراسات التي يقوم بها الباحثون السوفييت عن الادب العربي الحديث ، في السنين التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية ، تبعاً لزيادة اهتمامات بلدهم ، السياسية والاقتصادية ، بالشرق الاوسط وشمالي إفريقيا . وقد أظهر التقدم السوفييتي أن التركيز في حقل الدراسات الشرقية ــ بالروسية وبغيرها من اللغات[٣] كان على البحث في الدراسات العربية . على الرغم من أن الاهتمام بهذه الظاهرة

---

* انظر . ا كتبه الدكتور حسام الخطيب حول ذلك في دراسته (من قضايا المنهج في عصر النهضة) المنشورة في كتابه : **ملامح في الأدب والثقافة واللغة** ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠ ، ص (١٨٣ ــ ١٨٩) .

في الغرب كان قليلاً نسبياً ، وحتى عندما تظهر أية تعليقات ، خارج الاتحاد السوفييتي ، عن المنشورات السوفييتية الحديثة ، فإنها تهتم بشكل أساسي بالمنشورات التي تعنى بقضايا الشرق الأوسط[٤] ، ونادراً ما تهتم بتلك الدراسات التي تعنى بالأدب العربي[٥] .

ولما كان عرضنا هذا يتناول الأدب العربي الحديث فقط ، فإننا ينبغي أن نترك مناقشة البحث السوفييتي في الادب العربي الكلاسي لمقالة أخرى ، وحتى بالنسبة إلى الأدب العربي الحديث فإننا ينبغي أن نتناول بانتقاء – بسبب محدودية المجال – ونأخذ فقط عدة موضوعات ذات أهمية خاصة . وبالتالي فإننا لايمكن حتى أن نذكر الترجمات الروسية العديدة للشعر والنثر العربيين الحديثين والمعاصرين ، من الاقطار العربية كلها ، وهو موضوع جدير بدراسة منفردة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« أدب الشرق في العصور الحديثة » ن . ك . عثمانوف

وإذا ما تجاهل المرء ، المقالات ودوريات البحث [٦] والمجلات الأدبية ، ومجلدات المقالات المجموعة [٧] وما شابه ذلك . وركز على الكتب فقط ، فإن نقطة الانطلاق المنطقية له هي كتاب « أدب الشرق في العصور الحديثة »[٨] . وهذا المجلد كتاب مدرسي ضخم لطلاب المدارس الثانوية الذين يتخصصون في دراسة اللغات الشرقية وآدابها ، وللدورات الجامعية حول تاريخ آداب شعوب آسيا وإفريقيا وقد أسهم فيه مختصون عديدون بأقسام عن الأقطار العربية ، وتركيا ، وإيران ، والهند ، والصين ، واليابان ، مركزين على الفترة ما بين

القرن السابع عشر والحرب العالمية الأولى على وجه التقريب . ويناقش القسم المتعلق بالأدب العربي (الصفحات ١٥ - ٦٧) ، والذي كتبه ن ، ك ، عثمانوف ، ما يسمى بحركة « التنوير » العربية ، وعقابيلها ويتناول بشكل خاص الطهطاوي وزيدان وفرح أنطون ، والبارودي والمنفلوطي . وعلى أي حال ، فإن عدداً آخر ، كمحمد عبده وأحمد شوقي ، قد ذكر ، كل في بضعة سطور . ولما كان القسم المتعلق بالأدب العربي أقصر من أي قسم آخر ، فإن المرء يتفهم جيداً لماذا لم يتمكن عثمانوف من ذكر جميع الكتاب الجديرين بالملاحظة . ولكنه يستطيع أن يتفهم بشكل أقل يسراً لماذا انتقى هؤلاء ـ وعملياً كل الكتابات من مصر ـ ولماذا أهمل جبران ونعيمة اللذين ذكرا عرضاً ، أو محمد حسين هيكل الذي حذف تماماً . إن القسم بمجمله ـ على الرغم من هذه النواقص والأخطاء التي ربما كان من الصعب تجنبها ـ قد كتب بوضوح وتعاطف مع أولئك المؤلفين الذين كتبوا في ظل نظام متسلط ، وضمن أناس أميين بشكل عام . وهذا في حد ذاته يجعله مناسباً لكشف الطالب الأول لمسح تمهيدي للأدب العربي الحديث .

« الرابطة القلمية وميخائيل نعيمة » و إ . ن. إيمانغوليبفا

وكتاب إ ، ن ، إيمانغوليبفا ، « الرابطة القلمية وميخائيل نعيمة »[19] كتاب آخر مختلف تماماً . ومن الواضح أن نعيمة موضوع جذاب للمستعربين السوفييت ، لأنه حتى الوقت الحاضر ، أحد المثقفين العرب القلائل المتمكنين من اللغة الروسية وأدبها . ومن ومن هنا فقد كرس ثلث الكتاب للرابطة ، وثلثيه لنعيمة . وتظهر

إيمانغوليفا معرفة معتبرة بآثار نعيمة ، وبالدراسات المبكرة عنه وعن الرابطة ، بالعربية وبالروسية ، ولكنها أقل اطمئناناً مع تلك الكتب التي كتبت باللغات الأخرى ، وتضم البيبلوغرافيا ١١٦ مادة بالعربية [١٠] و ٧٨ مادة بالروسية ، ولكن مجرد ١١ باللغات الأخرى (يبدو من ضمنها كتاب ج ، رايت J. Wright « ليبيا » في غير موضعه) . وإذ تدرس كل الأشياء ، فإن القارىء يأخذ فكرة عن حياة نعيمة وآثاره أفضل من الرابطة . وتمضي إيمانغوليفا في تفصيل كبير عن تعليم نعيمة وجولاته ونشاطاته ، وبعدها تحلل العديد من أعماله ، وتستند في تقديرها على تتبع دقيق لآثاره ، على الرغم من أن الملاحظات موجزة ، وهي بالأحرى ، غير شاملة ، وربما يجد القارىء أن الأمر أكثر جدوى ، إذا ما نقب في دراسة أخرى لنعيمة نشرت في استانبول في سنة نشر كتاب إيمانغوليفا هذا ، وكتبت من قبـــل س . نيجلاند [١١] .

ولكن مزية كتاب إيمانغوليفا الرئيسية هي تقويمها للتأثيرات الأدبية الروسية في نعيمة . صحيح أنها لا تكشف تقريباً أي شيء جديد ذي أهميـــة عن تعليم نعيمة الروسي في الناصرة وبولتافا ، معتمدة في ذلك على كتب نعيمة في السيرة الذاتية « أبعد من موسكو وواشنطن » ، و « سبعون » ، ولكنها تسبر بعمق أكبر من الآخرين تأثير الثقافة الروسية على كتاباته (الصفحات ٧٦ ـ ٨٦) ، فهي على سبيل المثال تتفحص ، ببعض تفصيل ، تأثير تورجينيف وأوستروفسكي على عقدة مسرحية « الآباء والبنون » وبنيتها وشخصياتها وربما كان

المرء أكثر امتناناً لو أن إيانغوليبفا ، مضت أكثر في تتبع القضية وتفحصت التأثير الأمريكي والروسي النسبيين على تكوين نعيمة الأديب .

« الرواية المصرية : ولادة الجنس الأدبي وتكوينه » إ،إ، علي زادي

وهناك مؤلف ليس أقل أهمية هو كتاب ، إ ، إ ، علي زادي « الرواية المصرية : ولادة الجنس الأدبي وتكوينه »[١٢] . ويعتمد هذا الكتاب على قدر كبير من القراءة ، رغم أن بيبليوغرافيته - كما في حالة إيانغوليبفا - تضم ٩٤ مادة بالعربية ، و ٥٩ بالروسية ، وثماني مواد فقط باللغات الأخرى . والحقيقة أن المرء يتساءل فيما إذا لم يكن لبعض المستعمربين السوفييت أي مدخل للدراسات الغربية - باستثناء بعض الدراسات المعروفة - أو أنهم يتجاهلونها . وعلى أي حال ، فإن كتاب علي زادي أكثر من مجرد إعادة لما نعرفه عن الروايات والقصص المصرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وأطروحته الرئيسية هي أنه على الرغم من أن ولادة الجنس الأولى كانت في نهاية القرن التاسع عشر ، فإن الرواية لم تبدأ تطورها في الحقيقة وبطريقة ذات مغزى ، إلا في السنين اللاحقة فقط ومع بداية حركات التحرر الوطني (الصفحة ٢٣) . ان علي زادي بهذا المدخل انما يتابع وجهة النظر المقبولة على مستوى واسع في النقد الأدبي السوفييتي في أن الأدب الواقعي هو الأدب الوحيد الجدير بالدراسة (ومعظم الأنواع الأخرى يُتخلص منها على أنها آداب منحطة) . وهو مهتم بشكل رئيسي بمحمد تيمور والمنفلوطي ، ويعجب بالأول لتوسيعه أفق موضوعات كتابة القصة في مصر . وفي

أثناء مناقشته للمنفلوطي يسلم بأنه أكثر من عاطفي ، رغم أنه يؤكد أن المنفلوطي في فترته قدّم الجنس الأدبي الخاص بكتابة القصة عن طريق جذب قراء جدد ، وهذا إطراء متواضع . ولكن المرء يميل الى موافقة علي زادي في هذا المجال .

« مقالات في تاريخ الأدب العربي في العصور الحديثة ـ مصر وسورية: رواية عصر التنوير ١٨٧٠ – ١٩١٤ إ . إ . دولينينا

أما كتاب إ ، إ ، دولينينا « مقالات في تاريخ الأدب العربي في العصور الحديثة — مصر وسورية : رواية عصر التنوير ١٨٧٠ – ١٩١٤ »[١٣] فهو دراسة أكثر شمولاً ، وتغطي جزئياً موضوع علي زادي نفسه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد غدت السيدة دولينينا في السنوات الأخـيرة ، السيدة الكبيرة في البحث السوفيتي الأكاديمي في الأدب العربي الحديث والذي أسهمت فيه بدراسات متعددة الجوانب . ففي كتـابي إيمانغوليفا وعلي زادي المذكورين آنفاً ، يظهر اسم دولينينا « كمحرر مسؤول » (وهو أمـر مقرر ينبغي ذكره في خاتم النشر في جميع الكتب السوفيتية)[١٤] وأكثر من هـذا ، فإن المجلد الحالي هو في الحقيقة استمرار لعمل سابق لها تناول الموضوع نفسه ولكنه تركز حـول الصحافة المصرية والسورية في السنوات مابين (١٨٧٠ – ١٩١٤)[١٥] . ولما كان المجلد الأول قد روجع في مكان آخـر[١٦] ، فإننا سنتناول هنا المجلد المتعلق بالرواية فقط .

إن فترة التنوير موضوع مفضل لدى الدارسين السوفييت ، وربما لأنها تهيء الأرضية للفترتين الحديثة والمعاصرة . إضافة إلى إمكانياتها من أجل خميرة ثورية . فقد نشر مؤخراً ، ضمن مؤلفات أعمال أخرى عن هذا الموضوع ، مجلد خاص عن حركة التنوير في الآداب الشرقية (١٧) ، أسهم فيه عثمانوف المذكور آنفاً بفصل عن « تطور أفكار حركة التنوير في الشرق الأدنى في القرن التاسع عشر »

ويتناول كتاب دولينينا الجديد بشكل رئيسي حياة أربعة معروفين من أنصار رواية التنوير وآثارهم في سوريا ومصر هم :

سليم البستاني جميل المدور جرجي زيدان فرح أنطون

وكلهم جديرون بتحليل مفصل ، وخاصة الأخيرين . والحقيقة أن تقويم مسرحيات فرح أنطون (الصفحات ٢١٩ – ٢٤٤) هو من أكثر الدراسات التي واجهها المراجع حتى اليوم تبصراً . وربما كان من أكثر الاسهامات أهمية في هـذا الكتاب قسم من الفصل المدخلي المعنون بـ « الأدب العربي في فترة التنوير » تناقش فيه المؤلفة « الاتجاهات الأساسية لحركة التنوير العربية » (الصفحات ٤ – ١٤) . وتلاحظ دولينينا أن مصطلح حركة التنوير العربية مرادف لمصطلح النهضة كما يستخدم من قبل المؤرخين العرب ، ولكنها تحذر من محاولة المماثلة بينه وبين مصطلح النهضة في أوربا ، فعلى الرغم من إمكانية تفسير أوسع للمصطلح فإنه في الأساس إحياء ثقافي . وربما كان هذا سبب مماثلة دولينينا بين مصطلح النهضة ومصطلح التنوير ، على اعتبار أن الحضارة الأوربية قد جلبت إلى

الأقطار العربيــة في ذلك الوقت . وفي هذا السياق تقوّم دولينينا الدور الذي قامت به الإرساليات المسيحية . وهي ترى أن المرء ينبغي ألا يبالغ في تقدير دورها ، لأن أغراضها كانت بشكل أساسي سياسية واقتصادية ، مع أنه ينبغي ألا تهمل لأنها ملأت فجوة ثقافية وتعليمية هامة . وهكذا فإن حركة التنوير أتت إلى سوريا — كما تحاج دولينينا — عن غير قصد ، وقد أثرت أفكارها على أقلية صغيرة من المسيحيين . ولكنها عندما تسربت إلى مصر تحت قناع الحداثة المسلمة ، نمت أهميتها ، وخاصة في نطاق التعاون السوري المصري .

وتفضل دولينينا حركة التنوير السورية عندما تقوّمها بالمقارنة مع المصرية . لأنها تعتبر أنها أقل ارتباطاً بالدين ، وبالتالي فهي أكثر انفتاحاً على التفكير الحر . على الرغم من أن المصرية غدت أكثر وثاقة عندما ابتعدت بالتدريج عن الدين واقتربت من الوطنية . وتصف دولينينا بالإضافة إلى هذا — جماعات محلية مختلفة وتحللها عن طريق موشور مواقفها من التنوير . ورغم أن المرء قد يدخل في نقاش معها حول بعض النقاط ، إلا أن كتابها هام وحافز .

« كتاب مصر : القرن العشرون . مواد من أجل بيبليوغرافيا ن ، ك كوتسياريف و.س . إ ، شويسكي

أما الكتاب الأخير ، وأكثر الكتب المراجعة فائدة ، فهو عمل مرجعي ، عنوانه : « كتاب مصر ، القرن العشرون ، مواد من أجل بيبليوغرافيا »(١٨) . وقد جمع الكتاب من قبل ن ، ك ، كوتسياريف مع عدة ملاحق أضافها ، س ، إ ، شويسكي ، وهو كتاب ضروري

لأيّ دارس للأدب العربي الحديث في مصر ، ورغم أن هدف الكتاب هو القرن العشرون كله ، فإن التركيز هو - بالتأكيد - على الخمسينيات والستينيات ، أي على السنوات التي تتيسر فيها المعلومات السيرية ، البيبليوغرافية المطلوبة . وهناك ثبت هجائي مفصل وكامل بـ ٣٢٢ مؤلفاً ، وآخر مفصل جزئياً بـ ١٦٨ كاتباً آخر . ويتضمن الثبت الأول معلومات عن كل كاتب يصعب الحصول عليها : حياته ، أعماله في العربية مع تواريخ نشرها ، ترجماته إلى اللغات الأخرى ، ومعطيات بيبليوغرافية موسعة ، حتى عام ١٩٧٤ ، عن هذه الأعمال . وتشمل البيبليوغرافيا مواد بالعربية والروسية واللغات الأخرى .

ويختتم المجلد بعدد من الملاحق : قائمة بالمختصرات ، بيبليوغرافيا ملحقة ، خطوط عامة موجزة للأدب المصري في القرن العشرين ، مسح لتاريخ هذا الأدب ، مدخل لبيبليوغرافيته ، وعدد من الفهارس والإضافات . وعلى الرغم من ضخامة المعلومات ، فإن هناك بضعة أخطاء طباعية أو حقيقية فقط منها (صنوع من ص ٢٠١ - ٢٠٢) و (مجلة الدراسات اليهودية »[١٩] التي أصبحت « مجلة الدراسات السامية »)[٢٠] ، وتجب ترجمة هذا المرجع إلى العربية أو إلى إحدى اللغات الأوربية الغربية حتى تمكن مراجعته من قبل أولئك الذين لايحسنون اللغة الروسية .

مراجع البحث

(١) انظر .

Journal of Arabic Literature, Vol. IX, Leiden, 1978.
Jacob M. Landau,

(٢) انظر .

« Recent Soviet Books on Modern Arabic Literature »

« مجلة الأدب العربي » العدد التاسع ، ١٩٧٨ ، الصفحات ١٥٢ — ١٥٦

(٣) من أجل النسخة الانكليزية من التقارير انظر في سلسلة .

G. Sh. Sharbatov, Arabic Studies, (Philology),
Fifty Years of Soviet Oriental Studies (Brief Reviews), 1917-1967,
The USSR Academy of Sciences'Institute of the People of Asia,
Nauka Press, Moscow, 1967.

وانظر أيضاً :

Asia in Soviet Studies, USSR A. S. I. P. A. , Nauka Press,
Moscow, 1969.
Oriental Studies in the USSR, Nauka Press, Moscow, 1975.

(٤) انظر على سبيل المثال :

Charles Issawi, « Through A Glass, Darkly: A Recent Soviet Study on the Middle East », The Middle East Journal, XIV (4),
Autumn 1960, PP. 470 - 5.

وانظر أيضاً :

Middle East Studies Association Bulletin,
IX (2), 1 May 1975, pp. 80 - 84 ; IX (3) 1 October 1975, pp. 85-9;X(1) 1 Feb. 1976, pp. 61-2; X (2), 1 May 1976, pp. 94-6; X (3), 1 Oct. 1976, pp. 80-1.

(٥) انظر على سبيل المثال مقالتي :

« Some Soviet Works on Modern Arabic Literature »

« Middle Eastern Studies, VII (3), Oct. 1971, pp. 363-5.

ومراجعتي لكتاب كريمسكي

« في مجلة الأدب العربي » العدد الرابع ، ١٩٧٣ ، الصفحات (١٥٧—١٦٠)

History of Modern Arabic Literature, « Krimskiy »

(٦) انظر من أجلها :

Middle Eastern Studies, Vol. VII (2), May 1971, pp. 237-239.

(٧) منها سلسلة حديثة جديرة بانتباه خاص عنوانها ، « الاستشراق » وقد صدرت في أعداد خاصة من

Scientific Papers of Leningrad University

ولدينا منها الان مجلدان صدرا على التوالي في عامي ١٩٧٤ ، و ١٩٧٥ ، ومن ضمن الدراسات المتضمنة فيها (وجميعها بالروسية) :

« مشكلة اللغة في الكتابة المسرحية العربية الحديثة » ا : إ ، إ ، دولينينا

« دليل جديد عن سهير القلماوي » ا : إ ، ن ، سوكولوفا

« توليد الكلمات في شعر شعراء مصر الشعبيين » ا أ ، ب ، فرولوفا

« الرمزية والرومانتيه في مسرحية توفيق الحكيم، أهل الكهف » ك ، أ،يوسوف

(٨) مطبعة جامعة موسكو ، ١٩٧٥ ، وعدد صفحاته (٧٠٧)

(٩) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٥ ، وعدد صفحاته (١:٧) صفحة

(١٠) في الصفحة ١٣٥ ، ينبغي أن يكون كتاب د . شوقي ضيف : (الأدب العربي المعاصر) وليس (المعاصري) وعلى أي حال فأخطاء كهذه نادرة جداً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١) انظر :

C. Mijland,

Mikha'il Nu'aymah: Promoter of the Arabic Literary Revival, Istanbul, Nedrlands Historisch-Archaeologisch Institute, 1975; V, 131 pp.

(١٢) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٤ ، وعدد صفحاته (١٥٢) صفحة

(١٣) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ١٩٧٣ ، وعدد صفحاته (٢٧٢) صفحة

(١٤) من أجل مساهمات دولينينا في مقالات المجموعة انظر الهامش رقم (٧)

(١٥) موسكو ، مطبعة ناوكا ، ١٩٦٨ ، وصفاته (١٤٤) صفحة

(١٦) انظر :

Middle Eastern Studies, VII (3), Oct. 1971, p.364.

(١٧) موسكو ، مطبعة ناوكا ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية للعلوم ، ١٩٧٣ ، وصفحاته (٣٢٠) صفحة .

(١٨) موسكو ، مطبعة ناوكا ، معهد الدراسات الشرقية في اكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٥ ، وصفحاته (٣٤٤) صفحة

(١٩)

Journal of Jewish Studies

(٢٠)

Journal of Semitic Studies

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد النبي اسطيف
كلية سانت أنتوني
جامعة اكسفورد

آراء وأنباء

موجز

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والأربعين (*)

الدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورتـــه الخامسة والأربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ الحادي والعشرين من شباط حتى الثاني عشر من آذار سنة ١٩٧٩ م ؛ وعقد خلالها ، كعادته ، تسع جلسات علنية ، إضافة إلى جلستي الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لأبحاث المؤتمر ومقرراته ، مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات التي اتخذها في جلسته الختامية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين السادس والعشرين من شباط ١٩٧٩ ، واستمع المؤتمرون والمدعوون من رجال الفكر والأدب إلى كل من :

١ – الدكتور حسن اسماعيل ، وزير التعليم والثقافة والبحث

(*) نشر الزميل الدكتور عدنان الخطيب وقائع هذه الدورة في زميلتنا مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها المزدوج برقم (٣ - ٤) ، وحرصاً منا على متابعة نشر وقائع المؤتمر في مختلف دوراته في مجلتنا طلبنا من الزميل إعداد موجز لنا نشره في الزميلة فوافانا بهذا الموجز (لجنة المجلة) .

العلمي ، وقد أشاد في كلمته بالمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، وهو يتصدى لقضايا اللغة العربية ومشكلاتها في العصر الحديث . ثم خاطب المؤتمرين قائلا : « أنتم أطباء اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون دواءها ، فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من علل أو يعتريها من ضعف ، وإذا بها تنهض وافرة الصحة والسلامة والعافية لتؤدي رسالتها الخالدة في كل مجالات الأدب والعلم والفن » .

٢ ـ الدكتور إبراهيم مدكور ، رئيس المجمع ورئيس المؤتمر ، الذي ضمّن كلمته عرضاً كاملا لمشكلة تيسير تعليم اللغة العربية مذ عُنيت بها وزارة المعارف المصرية قبل خمسين سنة ، وكَوَّنت لجنة من كبار رجال اللغة العربية لمعالجة هذه المشكلة ، فوضعت اللجنة مقترحات ، ولكن مقترحاتها لم تلق ما تستحق من الاهتمام ، الا من لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية حين أحيلت إليها ، وبآخرة من إتحاد المجامع العربية الذي عقد سنة ١٩٧٦ ندوة خاصة بالجزائر حول « تعليم النحو العربي » وقد انتهى فيها إلى ضرورة تيسير تعليم العربية ، كما انتهى في ندوة عمان سنة ١٩٧٨ ، إلى توصية المسؤولين عن التعليم بالتوسع في إعداد معلم اللغة العربية إعداداً علمياً وفنياً يمكّنه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

ثم عرض الأستاذ الرئيس للنحو العربي ، مشيداً بمزاياه ومعتبراً إياه من أهم آثار العقل العربي ، ومؤكدا على أنه يتفوق على أي نحو لأي أمة من الأمم . ثم قال : إن هذا النحو « في سعته وتعمقه ، إن لاءم الخاصة ، فإنه لا يلائم العامة بحال . . وقد انقضى زمن

أرستقراطية التعلم والتعليم ، واصبحنا نؤمن ونسعى جميعا إلى ديمقراطية التعليم وشعبيته » . ثم دعا مجدداً إلى العمل المتواصل في سبيل تيسير تعلم العربية ، لأن الجميع يريدون « للعربية السهلة السليمة أن تكون لغة أبناء العربية جميعا في البيت والمدرسة ، في الحقل والمصنع ، في الديوان والمكتب ؛ فلنيسّرها لهم ، ولنحبّبها الى قلوبهم » .

٣ ــ الدكتور محمد مهدي علام ، أمين المجمع ، وقد تلا عرضاً مسهباً لأعمال مجمع القاهرة ولجانه المتعددة ، وأتى على بيان نتيجة مسابقة المجمع الأدبية في موضوع « الدكتور محمد كامل حسين : مفكراً وأديباً » . ثم سرد ثبتاً بالمطبوعات التي تمكن المجمع من نشرها خلال السنة المجمعية الماضية .

٤ ــ الدكتور عمر فروخ ، عضو المجمع من لبنان ، ممثلا أعضاء المؤتمر الوافدين إليه من سائر الأقطار العربية ؛ وقد جعل موضوع كلمته يدور حول العامية وأنصارها وأساليبهم المتجددة ، مذ كانت لهم في مصر جولة ثم اضمحلت ، الى أن جعلوا من لبنان مسرحاً لنشاطاتهم ، وآخر نشاط كان لهم من أيام معدودات ، فقد تمكنوا من دفع جريدة « النهار » البيروتية الى تخصيص أحد أركانها لنشر مقال أو مقالين بالعامية في موضوع ما ، أو في تبرير[1] تقعيد العامية .

---

(١) في المعجم : برّر حجّته : قوّيها ، أما مضعّف الفعل فلم يرد ، ولكن مؤتمر مجمع اللغة العربية أقر في دورته الرابعة والثلاثين اجازة التبرير بمعنى التسويغ ، استنادا الى قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة . وقد اثبت الكلمة المعجم الوسيط .

ثم عرض نتائج الدعوة الى العامية لدى بعض الدول الأوروبية ، وكيف أدت الى انقسام الأمة الواحدة والدولة الواحدة الى شعوب أو دول مستقلة مختلفة اللغات .

ثم حذّر العرب من التساهل مع دعاة العامية ، داعياً الى اعادة النظر في أسلوب تعليم اللغة ، والى العناية باختيار موظفي الإعلام ، لأن أسلوب التعليم الحالي ، إضافة الى لغة وسائل الاعلام الموجهة الى الجماهير العربية ، مسؤولان الى حد كبير عن ضعف العربية على ألسنة كثير من العرب وأقلامهم .

وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع اللغوي .

ثانيا : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها إليه اللجان المختصة ، عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ؛ وأقرّ المؤتمرون غالبيتها بالاجماع حينا وبالأكثرية أحياناً أخرى ، كما جرى تعديل بعضها أو اعادته إلى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمرون ٨٣٦ ، موزعة بين مختلف العلوم والفنون .

ثالثا : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون ، خلال مـــدة انعقاد المؤتمر ، إلى عدد من البحوث والدراسات التي ألقاها الأعضاء ، مناقشين ما ورد فيها أو

معلقين عليه . وفي ما يلي عرض موجز لتلك البحوث والدراسات ، مع أهم ما دار حولها من مناقشات أو تعليقات :

١ – فجر الاعلام في اللغة العربية : بحث ألقاه الدكتور عمر فروخ ، عضو المجمع من لبنان ، تحدّث فيه عن المفهوم المعاصر للاعلام ، وعن الدور الذي يؤديه في توجيه الجماهير وتزويدهم بالمعلومات التي تخدم مجتمعاً أو دولة ما ، أو أي فكرة معينة تُسَخّر أجهزة اعلامية لبثّها بين الناس ، هذا دون تقيد ببسط الحقيقة المجردة ، أو التزام بالصدق الكامل عند عرض المعلومات .

ثم عرض الباحث لفكرة الاعلام عنـــد العرب في الجاهلية ، واستخـدامهم الشعر في سبيل ذلك ، ثم بيّن تطوّر فكرة الاعـلام في صدر الإسلام ، والهدف التي كان يرمي إليه ، وأتى على مجموعة الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم والحديث تحمل معنى الإعلام ، مع تحديد معنى كل منها ، مقارنا ذلك بفهوم الإعلام في العصر الحديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثار البحث تعليقات عديدة [١] ، حول صحة بعض الألفاظ التي وردت فيـــه لبيان أثرها في نفوس سامعيها ؛ فعلق الأستاذ عباس حسن على كلمتي « توافر » و « تواجد » ، مؤكداً صحتها على أنهما مزيدتان من الثلاثي ، وإن لم تردا في المعاجم ؛ أما جملة « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » التي غمز الباحث من آثاره الاعلامية ،

---

(١) أجاز المؤتمر في دورته الثالثة والأربعين كلمة « عديد وعديدة » بمعنى « كثير وكثيرة » وأقرّ استكمال المادة اللغوية في المعجم .

فقال عنها : « أنا اعتبرها حكمة بارعة جليلة الشأن في استثارة همم الناس لاسترداد ما أُخذ منهم » .

وعلق الأستاذ محمد شوقي أمين ، بعد شكر الباحث ، بقوله : « إنّ وَصْم بعض الألفاظ بالغربة عن العربية فيه نظر ، ومنها لفظة « تواجد » ، فأنا أرى أن استعمالها لجماعة من الناس ، مقبول لغة ، مثلها مثل « تكاثر وتناسل » ، أي إذا كان المقصود بها اشتراك جماعة في « الوجود » ، وأما قولهم : تواجد فلان ، وكان لوحده ، فلا أرى له وجهاً ، وكذلك كلمة توافر » .

٢ ـ محمد رسول الله : قصيدة ألقاها الدكتور حسن علي ابراهيم أستاذ الجراحة في كلية الطب وعضو المجمع من مصر ، أوجز فيها سيرة الرسول الأعظم (ﷺ) وكانت في ١٢٤ بيتاً .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ اللغة العربية ووسائل الاعلام : بحث ألقاه الأستاذ حسن عبد الله القرشي ، عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية ، وعرض فيه لمزايا اللغة العربية وسعتها ، ولوسائل الاعـــلام الحديثة وأثرها في الجماهير ، داعياً إلى العمل على جعلها في خدمة الفصحى وتوحيد اللهجات المتعددة ؛ وهذا لا يكون إلا اذا أحسن إعـــداد البرامج ، وتمّ اختيار المذيعين من ذوي الكفايات العالية ؛ مشيراً إلى المساوىء التي تنجم عن وسائل الاعلام كلما افتقد فيها أحد الشرطين الملمح إليهما ، فضلا عن افتقادهما معاً .

٤ ـ قبل يكون .. ، وقبل أن يكون .. في النثر والشعر : بحث طريف ألقاه الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عضـــو المجمع في

مصر ، وعرض فيه لديوان الشاعر المصري تميم بن المعز الفاطمي ، وقد وجد فيه ظاهرة لغوية مستغربة : فالشاعر يحذف (أن) المصدرية بعد (قبل) في كثير من شعره ، مما دفعه إلى تتبع هذه الظاهرة عند غيره من الشعراء والكتاب ، فوجدها عند عدد منهم ؛ والشاعر فيهم قد يلجأ إليها مضطرا ، وقد يكورها في شعره دون ضرورة ؛ لذلك فهي جديرة بالدراسة والتتبع لمعرفة الدافع إليها .

واستشهد الباحث بما وجده عند بعض الشعراء ، أمثال : ابن حيوس ، من القدامى ، وايليا أبو ماضي وزكي قنصل من المعاصرين ، كما وجدها في كتاب « الرسالة » للإمام الشافعي . وأشار أخيراً إلى أن العامة في مصر ، يحذفون في كلامهم (أن) بعد (قبل) غير أنهم يضعون لفظ (ما) بدلا عنها ، فيقولون : « قبل ما روح وقبل ما نام » .

وجرت تعليقات كثيرة على البحث ، كان أهمها تعليق الأستاذ عباس حسن ، فقد قال : إن لفظة (قبل) في اللغة تضاف إلى مفرد ، أو جملة ، ثم تساءل عما إذا كانت (قبل) فيما استشهد به الباحث من المضاف الى مفرد أم جملة ، ليصح الحكم بصحة تلك الظاهرة أو بفسادها .

وعلق الدكتور عمر فروخ متسائلا عما إذا كان الباحث ، وهو شاعر معروف ، قد لجأ إلى حذف (أن) بعد (قبل) في بعض شعره أم لا ؟ وعلّق الدكتور اسحق موسى الحسيني قائلا : إن العوام في بلاد الشام والعراق يحذفون أيضاً (أن) بعد (قبل)

ويستخدمون لفـظ (مـا) ، مما يستوجب دراسة معمقة لهذه الظاهرة ، وأردف يقول : إنـه يرى أنها قد تكون لهجة من لهجات العرب .

وختمت المناقشات بقول الباحث : إن الظاهرة كانت تصك أذنيه كلما سمعها ، لذلك فقد تجنبها في شعره ، كما أفاد بأن بحثه كان مجرد عرض لهذه الظاهرة ، ولم يكن بحثا لغوياً يقرّر جوازها أو عدم صحتها .

٥ ـ كناشة[١] النوادر : بحث ألقاه الدكتور عبد السلام هارون ، عضو المجمع من مصر ، وجمع فيه طاقة من الطرائف المستظرفة والنوادر المستغربة ، التقطها خلال مطالعاته في مختلف كتب اللغـة والأدب ، وكان من أهم ما ورد فيه نظرات نقدية في بعض المعجمات . وفي ما يلي بعض هذه النظرات :

أ ـ عرف المعجم الوسيط كلمة (صابون) في مادة (ص ب ن) العربية ، وقال إنها (دخيلة) بينما قال صاحب القاموس : الصابون : معروف ، ممـا يدل على قدم الكلمة ؛ فان لم تكن عربية النجار ، فهي على الأقل معرّبة ، كما قال عنها

(١) في المعجم الوسيط : « الكناشة : الأوراق تجعل كالدفتر، تقيد فيها الفوائد والشوارد (مولّد) » بينما جاء في متن اللغة : الكناش : كلمة سريانية (معربة) ، ونقل البطريرك برصوم في كتابه « الالفاظ السريانية المعربة » قول الخفاجي في « الشفاء » انها معربة عن السريانية .

ابن دريد [١] .

ب ـ كلمة (شوربة) حشرها المعجم الوسيط في مادة (شرب) بصيغة (الشُّرْبة) وذكر عنها أنها (مولدّة) ، بينما هي فارسية [٢] دخيلة على العربية ، وعربيتها : (الحساء أو المرق) . وأثار هذا البحث تعليقات طريفة ، من قبل كل من الأساتذة : محمد مهدي علام ، ومحمد عبد الغني حسن ، واسحق موسى الحسيني ، وشوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

٦ ـ لغةٌ تجمع القلوب على الحبّ : قصيدة من عيون شعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) في لسان العرب : الصابون الذي تُغسل به الثياب معروف ، قال ابن دريد : ليس من كلام العرب . وعرف صاحب متن اللغة الصابون ونقل قولة ابن دريد ، ثم اردفها بقوله : وقال غيره : هو مما توافقت عليه الالسنة ، وفي « الالفاظ الفارسية المعربة » قال المطران أدي شير : الصابون في الفارسية والتركية والكردية واليونانية والرومية والجرمانية والانكليزية والايطالية والفرنسية والسريانية ، فلا بد أن لغة من هذه اللغات أعارت أخواتها هذه اللفظة ، فذهب قوم الى أنها فارسية ، وقيل إن أصلها لاتيني ، وقيل إنها منسوبة الى مدينة Savon التي صُنِع فيها أول مرة الصابون (كما ذكر القاموس الفرنسي Bescherelle) . ويحتمل أن يكون عربي الاصل ، فان الصابون مصنوع لتنظيف كل ماوسخ من الثياب وغيرها . هذا وفي المعجمات العربية : صبن الشيء : صرفه ، واصطبن وانصبن الشيء : انصرف !

(٢) جاء في « الالفاظ الفارسية المعربة » : الشَّوْرَبة : طعام مائع من الرز واللحم ، تعريب شوربا ومنه : شوربا أو جوربا في جميع اللغات الشرقية المعروفة – ويرادفه : Zuppa أو Soup في اللغات الأوروبية .

الأستاذ محمد الغني عبد حسن ، عضو المجمع من مصر ألقاها معددا فيها مزايا العربية وفضلها ، وبخاصة في جمع الأصدقاء والزملاء على حبها والتعلق بها .

٧ - من تصريف الضمير في القرآن الكريم : بحث قيم ألقاه الأستاذ علي النجدي ناصف ، عضو المجمع من مصر ، حول الضمير العائد الى (الأنعام) في كل الآيتين الكريمتين :

ا - (وإنَّ لكُمْ في الأنعام لعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مما في بُطُونِهِ مِنْ بينِ فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشّاربينَ) .

٦٦ من سورة النحل

ب - (وإنَّ لكُمْ في الأنعامِ لعِبْرةً نُسْقِيكُمْ مِمّا في بُطُونِها ولكُمْ فيها منافِعُ كثيرةٌ ومِنْها تأكُلونَ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢١ من سورة المؤمنون

٨ - ما معنى يوم التغابن : بحث للدكتور أحمد الحوفي عضو المجمع من مصر ، عرض فيه مختلف أقوال العلماء في تفسير كلمة (التغابن) الواردة في قوله تعالى :

(يَوْمَ يَجْمَعُكُم لِيَوْمِ الجَمْعِ ذلكَ يَوْمُ التّغابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بالله وَيَعْمَلْ صالحاً يُكَفِّرْ عنْهُ سَيِّآتِه وَيُدْخِلْهُ جنّاتٍ تجْرِي مِنْ تحْتِها الأنْهارُ خالدِينَ فيها أبداً ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

٩ من سورة التغابن

ونفى الباحث أن يكون التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، ورجّح قول من قال بأن يوم التغابن هو يوم الذهول .

وأثار البحث عاصفة من التعليقات اشترك فيها الأساتذة : عبد الله ابن خميس ، ومحمد أحمد سليمان ، وشوقي ضيف . أما الأستاذ عباس حسن فقد استنكر بعض ما سمع من آراء لأن « صيغة تفاعل تجيء لرؤية الشيء على حاله كما هو ، فحين نقول (التغابن) فهو يعني رؤية المغبون على حاله في حالة الغبن والظلم الذي وقع عليه ، بدليل أنه محرّم عليه أن يغبن غيره ، وعلى هذا فكلمة التغابن يجب أن تفسّر بما يتفق مع الدين واللغة » .

وعقب الباحث على الجميع قائلا : « رأيت المفسرين القدماء والمعاصرين ذهبوا إلى أن كلمة التغابن مشتقة من كلمة الغبن بمعنى الظلم ، وهذا غير صحيح ، ولم يسْلَم من هذا الخطأ الا مجمع اللغة العربية ، فقد رأى بحصافة في كتابه « معجم ألفاظ القرآن الكريم » ، بعد أن عرض ملخص آراء السابقين ، أن كلمة التغابن ما زالت محتاجة الى مزيد من البيان ، ولعلني بهذا البحث قد قدمت البيان الذي كان المجمع يتوقعه »[1] .

---

(١) جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم : « .. والتغابن تفاعل ، وسمي به اليوم الآخر ، لنزول سعداء الدنيا فيه منازل الاشقياء ، ونزول أشقياء الدنيا فيه منازل السعداء ، على أن الغبن هو الوكس والبخس في البياعات ، من معنى اللين والضعف في مدار المادة ، وأما على أن مدارها الخفاء ، فقيل : يوم التغابن تبدو الاشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا ، وعلى الوجهين فان ما في التفاعل — التغابن — من معنى المشاركة لا يزال يحتاج الى فضل بيان ، ولعل هــذا التفاعل =

٩ ـ اللغة العربية في خدمة علوم الاحياء : بحث للدكتور محمود حافظ ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه للمعاجم الرائدة في علوم الأحياء ، وفضل أصحابها في احياء التراث وتنمية المصطلحات في هذه العلوم الهامة .

وكان مما علق به المؤتمرون على البحث قول الدكتور محمد أحمد سليمان : « أين أثر مثل هذا البحث الجامع عند العلماء الذين يقومون على التدريس في الجامعات العربية ، وعلوم الاحياء تدرس حتى اليوم في جامعاتنا باللغة الاجنبية ! » .

١٠ ـ آخر ساجع في الشام : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني ، عضو المجمع المراسل من سورية ، عرض فيه قصة القضاء على السجع في بلاد الشام ، وكيف تولى أدباء كبار وكتاب معاصرون معركة التنديد بالسجع وبيان المشاركة ، إلى أساء المرسل في كتابات الأدباء والمتأدبين ، فضلا عن العلماء والمؤرخين .

وأشار الباحث إلى ذلك الحوار الذي قام في الثلاثينيات [1] على صفحات مجلة « الرسالة » بين الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأمير البيان الأمير شكيب أرسلان في هذا الموضوع ، ثم تكلم عن

= والمشاركة تتضح من صنيع القرآن في غير موضع ، اذ يصف ما يكون بين طبقتي المجتمع من مستكبرين ومستضعفين يتبادلون الاتهام بالغبن الخادع أو الخفي لحقيقة ، حين يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » فيقــول الذين استكبروا للذين استضعفوا : « أنحن صددناكم عن الهدى بعد أن جاءكم بل كنتم مجرمين » وهذا هو التغابن المتبادل بكل معانيه ، يوم الجمع » .

(١) أجاز مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته التاسعة والثلاثين جمــع ألفاظ العقود بالألف والتاء مشترطا الحاق ياء النسب بها قبل اداة الجمع .

وعلى البقية بالأكثرية ، بعد مناقشات حامية لم تخمد أوارها إلا ببيان أقرَّه الجميع يؤكد أن الموافقة على المسائل المعروضة لا يقصد بهـــا تعديل القواعد النحوية ، وإنما هي بهدف تيسير تعليم النحو على الناشئة من الطلاب .

أما المسائل النحوية التي تمت الموافقة عليها : فهي ، كما أقرتها لجنة الأصول ، الآتية :

١ ـ كان وأخواتها

« ترى أغلبية اللجنة الابقاء على باب كان وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورأت الأقلية : أن في ضم الباب إلى باب الفعل ، واعراب المنصوب حالا تيسيراً على الناشئة وتقليلاً للأبواب المقررة عليهم » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ كاد وأخواتها

« رأت أغلبية اللجنة الإبقاء على باب كاد وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورأت الأقلية أن ضم باب كاد وأخواتها إلى باب الفعل أيسر تناولا وأقرب إلى أذهان الناشئة من جعلها باباً مستقلا » .

٣ ـ ما ولا ولات العاملات عمل ليس

« رأت أغلبية اللجنـــة الابقاء على باب « ما » و « لا » و « لات » العاملات عمل ليس على وضعه المقرر في كتب النحو للناشئة » .

٤ ـ ظن وأخواتها وأعلم وأرى وأخواتها

« تقترح اللجنة وضع باب ظن وأعلم وأرى في باب الفعل المتعدي ، على أن يكون ذلك خاصاً بكتب الناشئة » .

٥ ـ التنازع

« بعد أن درست اللجنة المذكرات التي تقدّمت إليها في موضوع التنازع وصوره ، وبعد أن ناقشت الموضوع ، ترى اللجنة أنه تيسيراً لاكتساب الأحكام الخاصة بالباب يكتفى بالصور التي توارد بهـا الاستعمال في الفصحى ، وهي :

أ ـ في مثل : دخل وجلس محمد : (محمد) فاعل ، فاعل (جلس) وفاعل الفعل الأول متروك للعلم به كما يقول سيبويه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ في مثل : محمد يحسن ويتقن عمله : (عمل) مفعول به ليتقن ، واستغنى الفعل الأول (يحسن) عن مفعوله لدلالة مفعول (يتقن) عليه .

جـ ـ في مثل : ناقشني وناقشت محمدا : يعرب محمد مفعولاً به لـ (ناقشت) ، واستغني عن الفاعل في الفعل الأول لدلالة السياق عليه » .

٦ ـ الاشتغال

« ترى اللجنة جواز رفع الاسم المشغول عنه ونصبه ، ولا داعي لذكر حالات الوجوب أو الترجيح ، وتسرّد أمثلته الواردة في المذكرة الى أبوابها من كتب النحو » .

٧ ـ التمييز

« ترى اللجنة أن الصيغ النحوية التي تعرب تمييزاً وتتفرق في أبواب كثيرة ، يمكن جمعها في باب واحد تيسيراً على الناشئة » .

٨ ـ التحذير والاغراء والترخيم والاستغاثة والندبة

« ترى اللجنة أنه لا مانع من ادخال باب التحذير والاغراء في باب المفعول به ، وباب الاستغاثة والندبة في باب النداء ، مع تعيين دلالة كل صيغة منها عند عرض أمثلتها ، وترى أيضاً حذف باب الترخيم من كتب النحو المدرسية » .

٩ ـ الاعراب التقديري والمحلي

« ترى اللجنة أن ما انتهى إليه اتحاد المجامع العربية من الإبقاء على الاعراب التقديري والمحلي دون تعليل (أي دون تكليف التلاميذ تعليل خفاء الاعراب) فيه تيسير في تعليم النحو العربي ، ففي نحو : جاء القاضي ، يقال : (القاضي) مرفوع بضمة مقدرة ، وفي نحو : جاء من سافر ، يقال : (من) فاعل محله الرفع ، وفي نحو : محمد يحضر ، يقال : (يحضر) جملة فعلية خبر » .

وألحق بهذا القرار قراران هما : الأول : « لا ضرورة لذكر متعلق عام للظرف أو الجار والمجرور » ، الثاني : « يُكتَفَى بأن يقال في اعراب الفعل المضارع المنصوب بأنْ المضمرة بأنه منصوب بعد الأدوات الظاهرة » .

١٠ ـ ألقاب الإعراب والبناء

« ترى اللجنة الأخذ بقرار المجمع عام ١٩٤٦ في هذا الموضوع ، وهو أن يكون لكل حركة لقب واحد في الاعراب والبناء ، وأن يكتفى بألقاب الاعراب » .

١١ ـ العلامات الأصلية والعلامات الفرعية

« ترى اللجنة توحيد أسماء علامات الاعراب الأصلية والفرعية ، بتسميتها : علامات إعراب » .

١٢ ـ الاستثناء

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

أولاً : المستثنى التام الموجب وغير الموجب يجوز نصبه [١] نحو : نجح الطلاب إلا طالباً ، وما نجح الطلاب إلا طالباً .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانياً : في حالة الاستثناء بخلا وعدا وحاشا يكون المستثنى منصوباً دائماً على اعتبار أن هذه كلها أدوات استثناء ، مثل « إلاّ » .

ثالثاً : إذا كانت أداة الاستثناء « غير أو سوى » كانت الأداة منصوبة ومضافة ، وما بعدها مضاف إليه مثل : ما جاء أحد غيرَ علي .

---

(١) صوغ قرار اللجنة على هذا الشكل انما كان بتأثير مذكرة للدكتور شوقي ضيف ينقد فيها صيغة مجمعية تقترح قصر تدريس الاستثناء الناشئة على حالة النصب فقال فيها : « وكان رأي المجمع ان لانعرض عليهم صيغة الاستثناء مع الكلام غير الموجب ، وانه يجوز في المستثنى حينئذ ان يكون منصوبا على الاستثناء ، او ان يكون مرفوعا على البدلية ، في مثل : ماتكلم احد الا محمدا ، فانه يجوز في محمد الرفع على البدلية ، ولعل المجمع راى ان يُقتصر في حالة الكلام غير الموجب على نصب المستثنى وان يهمل القول بأنه يجوز في المستثنى الرفع ... » .

أما نحو : « ما قام إلا محمد وما قام غير زيد » فهو قصر لا استثناء » .

١٣ - إعراب أدوات الشرط

« لا ترى اللجنة ضرورة أن يكلف الناشئة اعراب أسماء الشرط ، ويكْتَفَى في هذا الباب بذكر ما يَجْزِم من هذه الأدوات وما لا يَجْزِم ؛ ويذكر أن هذه الأدوات تقتضي جملتين : جملة الشرط وجملة الجواب ، ويجزم فعل الشرط وفعل الجواب إذا كانا مضارعين » .

١٤ - كم الاستفهامية والخبرية

« ترى اللجنة الاكتفاء في باب كم (وهي من كنايات العدد) بأنهـا إذا كانت استفهامية تمييز بمفرد منصوب ، نحو : « كم كتاباً قرأت ؟ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا سبقت بحرف جر يضاف المميز إليها ، نحو : « بكم قرش اشتريت الكتاب ؟ » .

وإذا كانت خبرية (للكثرة) فتميز مفرداً ، أو جمعا مجروراً بالاضافة نحو : كم بطل استشهد في المعركة ، أو كم أبطال استشهدوا في المعركة ؟ .

وقد يسبق تمييزها بحرف جر نحو قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

١٥ - لا سيما

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

لا سيا أداة للمخالفة في الحكم بترجيح ما بعدها على ما قبلها في المعنى ، وإذا كان ما بعدها اسماً مفرداً جاز رفعه ونصبه وجرّه ، كقولك : أحبُّ الفاكهة لا سيا التفاح » .

١٦ – تعريف المفعول المطلق

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

المفعول المطلق : اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يدلّ عليه نوعاً ، كقولك : سار سيراً ، وصبر أجمل الصبر ، وضربته سوطا » .

١٧ – تعريف الحال

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

الحال : وصف مؤقت نكرة منصوب لبيان هيئة صاحبه » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨ – تعريف المفعول معه

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

المفعول معه : اسم منصوب تال لواو بمعنى مع ، لا يشترك مع ما قبل الواو في معنى العامل » .

١٩ – جواز لحوق تاء الوحدة أو المرة بالمصدر الثلاثي على لفظه

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

بناء على قول الزمخشري : « إن بناء المرة قد جاء على المصدر المستعمل » وقول ابن يعيش : « قد يزيدون التاء على المصدر المزيد » وقول سيبويه : « وقالوا أتيته إتيانة ، ولقيته لقاءة ،جاؤوا به على

المصدر المستعمل في الكلام ؛ ونحو إتيانة قليل « يجوز إلحاق تاء الوحدة أو المرة بالمصادر الثلاثية المزيدة » .

٢٠ – نحو تيسير النحو في احكام العدد

أ – حكم جمع التصحيح في تمييز العدد المضاف

« ترى اللجنة جواز اضافة أدنى العدد (من ثلاثة الى عشرة) الى جمع التصحيح (مذكراً أو مؤنثاً) أو جمع تكسير وصفاً أو غير وصف ، استناداً إلى اطلاق القول في ذلك عن ابن يعيش وابن مالك » .

ب – حكم لزوم العـــدد حالة التأنيث وجر المعدود بمن في أدنى العدد

« بعد مناقشة ما قدم إلى اللجنة من مذكرات في موضوع العدد ، لم تجد في أقوال النحاة ما يمنع من جواز تأنيث أدنى العدد (من ثلاثة إلى عشرة) وجواز جر العدد بمن » .

ج – اضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد

« ترى اللجنة أنه ليس هناك ما يمنع من قول الكتاب : سنة ثمان وسبعين ونحو ذلك من إضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد » .

د – حكم أبنية الكثرة في تمييز العدد المضاف

« ترى اللجنة قبول ما شاع استعماله جمع كثرة في تمييز أدنى العدد تيسيراً على الكتاب ، لمـــا صرح به النحاة من استعارة جمع الكثرة للقلة ، ودلالة جمع الكثرة على القليل والكثير ، ولما ورد من أمثلة في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب » .

هـ - التعاقب بين جمع القلة وجمع الكثرة

« بعد مناقشة الموضوع انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

دلالة الجمع أيا كان نوعه (جمع تكسير أو جمع تصحيح) صالحة للقليل والكثير ، إنما يتعين أحدهما بقرينة » .

سادساً : أعمال لجنة اللهجات

عرضت على المؤتمرين أعمال لجنة اللهجات متضمنة جملة من المسائل انتهت فيها إلى القرارات الآتية :

أ - القاف في العامية وغيرها

« بحثت اللجنة هذه المسألة على ضوء المذكرات المقدمة ، وانتهت إلى القرار التالي :

١ - القاف في أصل اللغات السامية : صوت لهوي شديد مهموس ، كما ينطق به الآن في الفصحى مجيدو القراءات القرآنية من القراء في الأمصار العربية .

٢ - وصف قدماء النحاة العرب القاف في الفصحى بأنها صوت مجهور (سيبويه ٤٠٥/٣) وهو نطق لا يزال حياً في كثير من البوادي العربية وغيرها ، وإنْ تقدَّمَ فيه مَخرجُ القاف إلى الأمام قليلاً ، فأصبحت كالكاف الفارسية .

٣ - تعاني القاف العربية من كثير من التغييرات ، وقد عدّ ابن خلدون لمعاصريه ثلاثة أنواع من القاف (المقدمة ٥٥٨) ، كما أنها في العصر الحاضر تنطق كالجيم الفصيحة في بعض بلاد الخليج كالبحرين ، كما تنطق غيناً في السودان وجنوبي العراق ، وكافاً

عنـــد بعض الفلسطينيين ، و (دز) في الرياض وما حولها في السعودية .

٤ — من تغييرات القاف : نطقها همزة في القاهرة وضواحيها ، ومحافظة القليوبية ، والوسطى ، وجزء من الفيوم . وكذلك في : دمشق وتلمسان ، وشمالي مراكش ، وفي اللغة المالطية وفي لغة اليهود في شمالي أفريقيا .

٥ — قلب القاف همزة : أمر حدث قديماً في بعض أعلام اللغـــة الفينيقية كما توجد منه أمثلة في العربية الفصحى ، فقد روت المعاجم : قشب وأشب ، والقفز والأفز ، وزهاق وزهاء ، وزنق وزناً ، وقرم وأرم ، والقصر والأصر ، وتقبض وتأبض ، والوقبة والوأبة ، وقفخ وأفخ ، وغير ذلك .

٦ — يبدو أن قلب القاف همزة في بعض بلاد مصر وغيرها ، ليس وليد اليوم ، فقد وردت منه بعض الأمثلة في تاريخ ابن إياس (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ) وديوان ابن سودون (من شعراء العامية في القرن التاسع الهجري) » .

ودارت حول تقرير لجنة اللهجات هـــذا ، تعليقات كثيرة ومناقشات حول مخارج حرف القاف في مختلف البيئات العربية ، وكان من أهم التعليقات ما ورد على لسان الأستاذ عباس حسن ، فقد قال : « هذا البحث قد نوقش في أحد الكتب . وخلاصة ما ورد فيه أن البحث في هذا الموضوع لا قيمة له ، فقد فرغ القدماء والمحدثون من تسجيل الحدّ النهائي للاستشهاد ، فما جاء بعده عاميّ لا يُلتَفَت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إليه ، ولا قيمة له ؛ فالعامية بأنواعها مرفوضة حديثاً وقديماً ، ودراسة لهجاتها لا ينبغي أن يعنى بها المجمع » .

وقال الدكتور محمد أحمد سليمان : « إن من مهمة المجمع أن يقرّب الفصحى إلى هؤلاء الناس الذين يتكلمون العامية ، ومن وسائل هذا التقريب إيضاح المسافة بين العامية والفصحى ، وهي ليست ببعيدة . فهذه دراسة لها جدواها ، وهي نافعة مفيدة » .

وانتهت التعليقات باقرار المؤتمرين تقرير اللجنة .

ب - المصطلحات اللغوية

« انتهت اللجنة من المصطلحات التالية :

أولاً : المعاقبة

آ - المعاقبة في اللغة : احلال شيء محل آخر .

ب - وهي تطلق عند علماء اللغة على إحلال الحرف مكان حرف آخر (اللسان : عقب) وفي أمالي القالي (٢/٣٦ - ١٤٧) فصول كثيرة لتعاقب الفاء والثاء ، وتعاقب اللام والنون ، وتعاقب الميم والباء ، وغير ذلك . وللزجاجي كتاب عنوانه : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » تناول فيه شيئاً كثيراً من ذلك . وقد مثل سيبويه للمعاقبة بجفتلم ومغيلم ومغيليم ، وزناديق وزنادقة .

ج - تطلق المعاقبة اطلاقاً خاصاً على قلب الحجازيين الواو ياء في مثل : صوام وصيام ، وصواغ وصياغ ، وتسمى « المعاقبة الحجازية » (اللسان : خيص وصوغ) .

د ـ لعل هذه المعاقبة الحجازية مرتبطة باتجاه الحضر إلى إيثار الكسرة والياء ، في مقابل اتجاه البدو إلى إيثار الضمة والواو .

هـ ـ يبدو أن ما في اللهجة المصرية المعاصرة من قول العامة : « عاوز وعايز » ، من هذه المعاقبة الحجازية .

ثانياً : الغمغمة

الغمغمة في اللغة : الكلام الذي لا يبين (القاموس : غم) ولم تبين اللجنة لهذه اللفظة مدلولاً محدداً ، لا بالوصف ولا بالتمثيل . فهي اذن ليست بمصطلح لغوي يُعتد به . ولذلك رأى مجلس المجمع حين نظر في تقرير اللجنة أن يصرف النظر عنها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثالثاً : القطعة

١ ـ القُطعة : لقب يعزى الى قبيلة طيء ، وهي عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه ، كالذي روي عن طيء أنها كانت تقول : «يا أبا الحكا» بدلاً من : يا أبا الحكم (العين للخليل بن أحمد ١٥٦/١) .

ب ـ القطعة على هذا ، نوع من ترخيم اللفظ في غير النداء .

جـ ـ قبائل شمر التي تشغل الآن مواطن طيء القديمة في الجزيرة العربية ، تشيع فيها هذه الظاهرة .

د ـ يمكن أن يعد من القطعة ما في كثير من بلاد مصر في الوقت الحاضر من المحلة الكبرى ، وجزيرة بني نصر ، وأبيار ، ومعظم قرى محافظتي البحيرة وبني سويف ، من مثل قولهم :

« النهار طلا » في : النهار طلع ، و« النور ظها »، في : النور ظهر ، وغير ذلك . (مميزات لغات العرب ٢٩) . ومما ينبز به في بني سويف قولهم : « العي والبي والبلا الأحمر » والمراد : العيش والبيض والبلح الأحمر » .

وجرت تعليقات قصيرة على موضوع هذا التقرير ، ثم وافق المؤتمر عليه ، بعد أن طلب الدكتور عبد الكريم خليفة تسجيل ملاحظة يقول فيها : « ان دراسة الصوتيات والعلوم الصوتية والدراسات اللغوية يجب أن تشجّع ، لتقود العامية إلى الفصحى ، وحتى لا يكون هناك التباس ، أرجو أن يتضح لنا أن اهتمامنا بالعامية ليس راجعاً إلى العامية ذاتها ، فنحن نهتم بالعامية لمعرفة مدى الاختلاف والاتفاق بينها وبين الفصحى ، وهذا بالطبع يؤدي إلى سد الهوة بين العامية والفصحى » .

سابعاً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة إلى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمرون بعضها ، بينما دار نقاش شديد حول بعضها الآخر انتهى برفضه أو اعادته إلى اللجنة لدراسته مجدداً .

وفي ما يلي عرض موجز لما عرض على المؤتمر من مسائل :

أولا : الألفاظ

١ — الصدفة والمصادفة

« يشيع في الاستعمال العصري لفظ الصدفة والمصادفة لمعنى حدوث الشيء، والوقوع عليه عرضاً واتفاقاً دون قصد أو عمد. وقد يؤخذ على هذا أن المعجمات لم تثبت صيغة الصدفة ، وأن المعنى الذي ذكرته للمصادفة - وهو مطلق وجدان الشيء، أو ملاقاته - يختلف عن دلالتها العصرية التي تقيّد الاستعمال بالعرض والاتفاق .

غير أنه يمكن القول بصحة الاستعمال المعاصر للمصادفة ، استناداً إلى أن كتب اللغة تفسر الموافقة بأنها : المصادفة . يقول الصاغاني : « يقال أوفـق لزيد لقاؤنا ، أي كان فجأة » . ويزيد الزبيدي قوله : « ومصادفة » . . ومن قول العرب : وافقت فلاناً بموضع كذا : أي صادفته .. هذا إلى أن كلا من الموافقة والاتفاق قد استعمل منذ عصر أبي حيان ومسكويه بمعنى حدوث الشيء ، أو وقوعه بغير قصد أو تدبير .

على أن القول بأن المصادفة « مطلق الوجود » لا يمنع استعمالها في معنى الوجود المقيد بنفي العمد أو القصد أو التدبير ؛ واللغة تأنس بتخصيص العام وتقييد المطلق في بعض مقامات التعبير .

أما الصدفة فلا مانع من قبولها باعتبارها مصدراً مستحدثاً من الفعل « صَدِفَ » بوزن فَرِحَ ، مثل قوي قوة ، أو باعتبارها اسم مصدر من صادف ، مثل الفرقة والخلطة ، من المفارقة والمخالطة .

ولهذا ترى اللجنة : إجازة استعمال الصدفة والمصادفة في المعنى الذي يستعملها المعاصرون فيه » .

وأقر المؤتمرون هذا التقرير دون معارضة .

٢ ــ سعر التكلفة

« يشيع في اللغة التجارية المعاصرة قولهم : « هــذا سعر التكلفة » ، يريدون به الثمن الذي أنفق في صنع السلعة ونقلها . وقد يرد على الاستعمال المعاصر أن الكلمة لم تأت بهذا المعنى في معجمات اللغة ، غير أن هذه المعجمات ذكرت أن التكليف هو الأمر بما يشقّ ، وكلفه الأمر فتكلفه أي تجشمه ، وحملته تكلفة إذا لم يطقه إلا تكلفاً .

وترى اللجنة أن سعر التكلفة مأخوذ من حَمَلْتُه تكلفة بالمعنى المتقدم ، على أساس أن السلعة كلّفت صاحبها جهداً ومالاً وعناية . وعلى هذا يكون استعماله صحيحاً في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيـــه » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقر المؤتمرون هذا التقرير دون معارضة .

٣ ــ مناورة

« يشيع في لغة الجيش وغيره مثل قولهم : « قام الجنود بمناورة حربية » ، ومثل ما يتردد في لغة السياسة من قولهم : « هذه مناورة سياسية » . وقد يُعْتَرَض على اللفظ واستعماله المعاصر بعدم وروده بالمعنى العسكري أو السياسي في معجمات العربية .

ودرست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى اجازة استعمال لفظ (المناورة)، بدلالتيه الحربية والسياسية على أحد وجهين :

الأول : أن اللفظ منقول من الكلمة الفرنسية Manœuvre ،

أو من الكلمة الانكليزية Maneuver . وقد أشار المعجم الوسيط في طبعته الثانية إلى أنه معرّب [١]

الثاني : أن للمناورة معنى آخر هو الدهاء ، فهي من مادة (نور) التي تحمل معنى الخداع والحيلة . ومعلوم أن وزن المفاعلة شائع في العربية مثل : المداورة ، والمراوغة ، والمشاورة ، والمحاورة » .

وجرت مناقشات حادة أسفرت عن انقسام في الرأي حول ترجيح أحد الوجهين اللذين استندت اليها اللجنة . وقد اشترك في المناقشة كل من الأساتذة : محمد الفاسي ، وعز الدين عبد الله ، ومحمد مهدي علام ، وأحمد الحوفي ، وابراهيم مدكور ، وعباس حسن ، وحامد جوهر ، ومحمد شوقي أمين ، وكان من أهم التعليقات اشارة الدكتور محمد أحمد سليمان إلى أن الكلمة ، وهي معربة عن الفرنسية ، ذات معنى حقيقي هو (العمل اليدوي) ثم انتقل هذا المعنى مجازاً إلى المعنى العسكري والسياسي . وانتهى النقاش بموافقة المؤتمرين على تقرير اللجنة ، تاركين ترجيح أحد الوجهين إلى جهد علمي مستقل .

٤ – عَمْرة

« يشيع على ألسنة المعاصرين قولهم [٢] : المنزل محتاج إلى

(١) اما في الطبعة الاولى فكان المعجم قد ذكر ان الكلمة (مولدة) .

(٢) تشيع هذه الكلمة في مصر ، ولا اعرف قطرا آخر تشيع فيه ، اما في سورية والعراق والبلاد الأخرى التي اقرت في جيوشها مصطلحات المعجم العسكري الموحّد ، فتشيع الكلمة اسما لغطاء الرأس عند الجنود والمنظمات شبه العسكرية .

عَمْرة ، ونحو ذلك مما يستعمل فيه لفظ العمرة مراداً به ما يحدث من أعمال الاصلاح والترميم .

وهذا خلاف ما أثبتته المعجمات من معاني عمرَ ، التي تدور حول المدة واطالة العمر .

درست اللجنة لفظ العَمْرة ، وانتهت إلى أنه تمكن اجازته على أنه اسم مرة من « عَمَرَ » بمعنى بنى ، كما أثبت الفيومي في المصباح ، إذ الإصلاح نوع من البناء .

ولهذا ترى اللجنة جواز استعمال لفظ العَمْرة في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

وأقر المؤتمرون تقرير اللجنة هذا .

٥ — جاهز وجاهزة

« يشيع على ألسنة المعاصرين قولهم : ملابس جاهزة أو مساكن جاهزة ؛ وقد يؤخذ على استعمال اللفظ أن معجمات اللغة لم تثبت في هذا المعنى إلا (جَهَّز) المضعّف ؛ فالملابس مجهّزة .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى أن قولهم : ملابس جاهزة ، يجاز بأحد وجهين :

أولهما : أنه يمكن اشتقاق فعل ثلاثي من الجهاز باعتباره اسم ذات ، ويكون (جاهز) حينئذ وصفاً من هذا الفعل .

والثاني : أن وجود المضعّف يشعر أن للمادة ثلاثياً مهملا لم تثبته المعجمات ، ويكون (جاهز وجاهزة) وصفاً منه ، وهو كثير في اللغة .

لهذا ترى اللجنة إجازة قول المعاصرين : « ملابس جاهزة ، ومساكن جاهزة » .

وأقر المؤتمرون تقرير اللجنة بعد مناقشة دارت حول طلب الأستاذ عباس حسن الاكتفاء بالوجه الثاني من التعليل .

٦ — التطبيع

« يشيع في الاستعمال الحديث قولهم : تطبيع العلاقات أو الحدود بين بلدين ، بمعنى جعلها طبيعية تجري على العادة والعرف ؛ وقد يُعْتَرَض على هذا بأنه ليس في اللغة طبّع بالمعنى المتقدم ، حتى يكون التطبيع مصدراً له .

غير أن العربية تسمح بالاشتقاق من أسماء الأجناس ، وهو أمر أقَرَّ المجمع قياسيته ، وعلى هذا يكون المراد بقولنا تطبيع العلاقات أو الحدود هو تصييرها إلى المعتاد المألوف بين الدول .

ولذلك ترى اللجنة أن مثل قول المعاصرين : تطبيع العلاقات أو الحدود ، قول جائز تبيحه الضوابط العربية » .

وأثار هذا التقرير مناقشات حامية حول معنى الكلمة الأجنبية التي ترجمت كلمة التطبيع عنها Normalise ، والخطأ في فهمها . واشترك في المناقشات الأساتذة : محمد أحمد سليمان ، ومحمد عبد الغني حسن ، ومحمد شوقي أمين ، وحامد جوهر ، وعز الدين عبد الله . وعند التصويت قررت الأكثرية رفض الموافقة على اجازة الكلمة .

٧ — التحديث

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ (التحديث) ، بمعنى

جعل الشيء حديثاً ، يقال : تحديث الأمة ، أو تحديث العقل العربي أو تحديث وسائل التعليم ، والمعنى : جعل كل منها حديثاً .

وقد يبدو أن هذا مخالف لما في المعجمات من معاني حَدَّثَ المضعّف ، الذي يدل على التكليم أو الإخبار ، ومنه حدّث فلان صاحبه في أمر ، أى كلّمه فيه أو أخبره به .

غير أن أصل المادة وهو "حدَث" ، يدل على ما يناقض القدم ، يقال : حدث حدوثاً وحداثة . ولما كانت القاعدة الصرفية ، تجيز ـ كما أثبت الجوهري في الصحاح ، وكما أقرّ المجمع ـ أن تصوغ من الفعل الثلاثي فعل المضعّف ، الذي يدل في بعض معانيه على الجعل أو التصيير ، مثل : قوّاه جعله قويا ، وحسّنه صيّره حسنا ـ لما كان الأمر كذلك ، فإن حدّث المضعف مشتق بالمعنى المتقدم من حَدَث الثلاثي . وعليه يكون معنى قولنا : حَدَّث فلان أفكاره هو جعلها حديثة ، والمصدر منه التحديث .

لذلك كلـــه ترى اللجنة أن الاستعمال العصري للفعل حدّث ومصدره التحديث استعمال جائز يجري على مقاييس العربية » .

وتبعاً للمناقشات التي دارت حول كلمة تطبيع ، احتدم النقاش مرة أخرى ، واشترك فيه الأساتذة : محمد الفاسي ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعباس حسن ، ومحمد أحمد سليمان ، ومحمد شوقي أمين ، واسحق موسى الحسيني ، وعند التصويت قررت الأكثرية رفض الكلمة وردّ تقرير اللجنة اليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ - التَّسيُّب

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ : التَّسيُّب ، في التعبير عن حالات الاهمال وانعدام الضوابط ، أو ضعف الالتزام بالقوانين ، على حين أن المعجمات لم تثبت الفعل تسيَّبَ ومصدره ، وانما اثبتت (ساب) الثلاثي و (سيَّب) المضعّف ، بمعنى أطلقه وتركه ؛ ولكن القاعدة الصرفية تقول : صيغة تَفعَّل تأتي كثيراً مطاوعة لصيغة فعَّل ، مثل كَسَّرتُه فتَكسَّر ، وعلَّمْتُه فتَعلَّم .

وعلى ذلك يكون (تسيَّبَ) مطاوعاً للفعل سيَّبَ والمصدر منه هو التسيُّب .

ولهذا ترى اللجنة اجازة لفظ التسيب في المعاني والمواقف التي يستعمله فيها المعاصرون » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقرَّ المؤتمرون هذه الإجازة .

ثانياً : الأساليب

١ - دخل خالد بينا كان علي يتكلم

« يخطىء بعض الباحثين مثل قولهم : دخل خالد بينا كان علي يتكلم ، على أساس أنه يخالف المشهور من استعمال العرب ، ولما نص عليه النحاة من أن : (بينا) من كلمات الابتداء .

درست اللجنة هذا ثم انتهت ، إلى أن التعبير - كما شاع عند المعاصرين - يمكن أن يجاز على أساس أن تكون (بينا) فيه ظرف زمان للاقتران فقط ، ولهذا ساغ أن تكون مثل (بين) في جواز التوسط .

وقد يستأنس للأسلوب المعاصر بقول ابن منظور في كتابه (أخبار أبي نواس) ص ٢١٦ :

(. . . وبنى لنفسه في نهر طابق الدور التي لم يبْنِ مثلها عظماء الناس ، بينما الأصمعي يستقرض من أصحابه حاجته من المال) .

وقام جدل عريض بين مخالفي الاجازة ، ومنهم الأستاذان : عبد السلام هارون ، وأحمد الحوفي ، ومؤيديها وفي طليعتهم الأستاذان : شوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

وتمت الاجازة عند جمع الأصوات بالأكثرية .

٢ ـ كلّفتُ البناءَ مالاً كثيراً

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : كلّفت البناء كذا ، ويريدون به الإنفاق على البناء . وقد يعترض على هذا التعبير بأن الصواب أن يقال : البناء كلّفني ، بدلاً من كلّفته ، لأن الحقيقة الأمر تقتضي أن التكليف يكون من البناء لصاحبه .

وترى اللجنــــة أن التعبير العصري جائز ، على أنه من قبيل القلب المعنوي الذي يتحول فيه الإسناد من الشخص إلى الشيء ، ومن أمثلته الشائعة : نهاره صائم وليله قائم » .

وأقرّ المؤتمرون تقرير الإجازة .

٣ ـ جاء توّاً

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : « جـــاء توّاً » ، يريدون به جاء الآن . وقد يُعترض على هذا بأن الوجه فيه أن يقال : جاء التوَّة ، أي الآن ، ففي اللغة : التوَّة الساعة ، الا أن الاستعمال الشائع يمكن أخذه من قول العرب : جاء توّاً ، أي قاصداً

لم يتخلف في الطريق ؛ إذ القصد أمر اعتباري يؤدي إلى الحضور الفوري .

ولهذا ترى اللجنة اجازة قول المعاصرين : جاء توا في معناه الذي يستعملونه فيه » .

وأجيز هذا القرار بعدم الاعتراض عليه .

٤ ـ أكد الخبير على أن التوقيع مفتعل

« تتردد كثيراً أشباه هاتين العبارتين : أكدت المدرسة على المواظبة ، وأكد الخبير على أن التوقيع مفتعل ؛ وقد درستها اللجنة فلاحظت :

أولاً : أن الفعل (أكد) فيها لزم يتعدّى بعلى ، وهو في المعاجم متعدّ بنفسه .

ثانياً : أن الفعل في العبارة الأولى مسلط على المواظبة نفسها ، اذ كانت تالية للحرف (على) وهو الذي أوصل الفعل إليها ، وإذن تكون المواظبة في العبارة هي الأمر الذي تؤكده المدرسة ، وتدعي أنه محقق ، والواقع أنها انما تريد أن تدعو إلى الاهتمام بها ، لأنها دون ما ينبغي أن تكون .

ويمكن تخريج هذه العبارة من وجهين :

أحدهما : أن يقدّر لأكّد مفعول محذوف هو مصدر يدل عليه المقام ، ويصلح متعلقاً لعلى ، مثل التنبيه والحث ، وحذف المفعول به سائغ في العربية . وإذن يكون تأويل العبارة هو :

أكدت المدرسة التنبيه أو الحث على المواظبة ، لتصل إلى غايتها المنشودة .

وأما العبارة الثانية فليس يؤخذ عليها إلا جعل « أكّد » لازماً يتعدى بعلى ؛ ولو حذف منها هذا الحرف لتصير : أكد الخبير أن التوقيع مفتعل ، ما كان لهذا المأخذ عليها من سبيل ، أما تخريجها مع الإبقاء على الحرف فبمثل ما تُخرَّج به الاولى .

الوجه الثاني من وجهي تخريج العبارتين : أن يُضمَّن الفعل (أكّد) معنى نبّه ؛ يقال : نبّهه على الأمر ، أي وقفه عليه وأعلمه به . و إذن يكون تأويل العبارتين : نبّهت المدرسةُ على المواظبة ، والخبيرُ على أن التوقيع مفتعل .

ولهذا ترى اللجنة أن العبارتين صحيحتان ، ولا مانع لغة من استعمالهما » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجرت المناقشة حول العبارتين وتخريجها ببرود ، حتى قال الرئيس يظهر أن لا رفض للتعبير ولا قبول له ، فلنترك للزمن أن يقول كلمته فيه . واعتبر قرار الاجازة مقبولاً .

٥ ـ لعب دوراً (١)

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : لعب دوراً ، يريدون به أداء مهمة من المهات في أي عمل من أعمال الحياة . وربما يسبق إلى الخاطر أن العبارة غير صحيحة على أساس أن الفعل (لعب) لازم ، ولكن لا مانع من استعماله ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

(١) كان الدكتور ميشيل الخوري زميلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ثتب =

أولها : أن يجعل (دورا) مفعولاً مطلقاً مباشراً ، ومعلوم أن المفعول المطلق يصف الفعل من أي وجه كان ، وكلمة « دورا » في اللغة العربية المعاصرة تعني مهمة أو نصيباً ، وهي وصف للفعل « فلعب دوراً أي نصيباً » ، ولذلك تصبح كلمة دور مفعولاً مطلقاً .

الوجه الثاني : أن قائل هذه العبارة وما يشبهها لا يريد بالفعل « لعب » معناه الحقيقي الذي يدل لفظه عليه ، بل يريد معنى أدّى ونحوه ، أما لفظ (دور) فمصدر دار ، ويراد به في العبارة معنى المهمة أو القدر أو النصيب ، وإذا يكون الفعل (لعب) في يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة متضمناً معنى (أدّى) مثلا ، وهو متعدّ ، وإذاً يكون دوراً مفعولاً به للعب .

ان صيغة « لعب دوراً » صحيحة لغويا ، إما على أن كلمة « دوراً »

= سنة ١٩٧٢ في مجلة المجمع (مج ٤٧ : ٤٦٠) مقالاً طولاً موضوعه العبارة « لعب دوراً » . وقد ذكر في مقاله ان هذه العبارة مترجمة عن اللغات الاجنبية ، وان الخطأ الرئيسي في استعمالها يكمن في ترجمة الفعل لعب ؛ لانـــه في الأصل الاجنبي المنقول عنه لايعني القيام بالحركات الرياضية المألوفة فحسب ، بل يعني « مثّل » على اعتبار ان كلمة الدور تعني نصيب الممثل في اداء المسرحية أو التمثيلية (او الرواية كما نقول سابقاً) ، وارتأى الزميل الكاتب في نهاية مقاله نبذ العبارة « لعب دوراً » لاستغناء اللغـــة العربية عن امثالها من العبارات المترجمة ، والاستعاضة عنها بإحدى العبارات : « قام بدور » او « أدى دوراً » او « اضطلع بـــدور » وما الى ذلك . وقد رد عليه الدكتور ف . عبد الرحيم الاستاذ في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في مجلة المجمع (مج ٤٨ : ٤٨١) فقال ان العبارة « لعب دوراً » لا غبار عليها من جهة النحو ولا من جهة اللغة ولا بأس في استعمالها . (لجنة المجلة)

مفعول مطلق ، وإما على أنهـــا مفعول به لفعل لعب المتضمَّن معنى (أدّى) .

ولا محل للاعتراض على التخريج الأول ، لأن دلالة اللعب قد تطورت في العصر الحديث ، تصوّره المذكرة المرافقة للأستاذ علي النجدي ناصف ؛ لذلك ترى اللجنة ، اجازة هذا التعبير في نطاق ما يستسيغه الذوق العام » .

وبدأت مناقشات أعضاء المؤتمر تظهر أن أغلبيتهم غير راضية عن إجازة هـــذا التعبير المترجم ترجمة ، مما جعل الرئيس يقول : يبدو أن الرأي الغالب هو ايثار أن نقول : أدّى دوراً ، بدلاً من لعب دوراً . وأحجم عن طرح الاجازة على التصويت [1] .

٦ - سواء كذا أو كذا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : سواء كذا أو كذا ، وقولهم : سيان كذا أو كذا ، وقولهم : لا خلاف بين هذا أو ذاك . وقد يرى بعض نقاد اللغة أن استعمال (أو) في هذه العبارات على غير صواب ، إذ الصواب أن تستعمل (الواو) هنا مكان (أو) ، فالمقام مقام جمع يستدعي العطف بأداته وهي الواو .

وقد درست اللجنة هـــذه الاستعمالات العصرية ، وانتهت إلى إجازتها استناداً إلى أن جمهرة كبيرة من النحاة ينصّون على أن من معاني (أو) مطلق الجمع ، يضاف إلى ذلك المرويّ من الشواهد الدالة على ذلك شعراً ونثراً » .

---

(١) سبق أن عرضت المسألة نفسها على المؤتمر في دورته الرابعة والاربعين ، وبعد أن جرت مناقشات حامية قرر المؤتمر بالأكثرية رفضها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأبدى بعض الاعضاء رفضهم لهذا التساهل مع كل ما يشيع من استعمالات ضعيفة أو ركيكة ، ولدى طرح المسألة على التصويت قبلت بالأكثرية .

ثامناً : أعمال لجنة وضع أسلوب اختيار المصطلحات العلمية

تليت على المؤتمرين التوصيات التي أقرّتها لجنة وضع أسلوب اختيار المصطلحات العلمية ، والتي وافق مجلس المجمع عليها ؛ وهي عبارة عن منهج متكامل لوضع المصطلحات العلمية وتعريفاتها ، وفاءً بأغراض التعليم العالي ، ومطالب التأليف والترجمة ، ضمن النهج العلمي العالمي في اختيار المصطلحات مع الحفاظ على التراث العربي ، وخاصة ما استقرّ منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال في العصر الحديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأبدى أعضاء المؤتمر موافقتهم التامة على التوصيات التي تضمنها التقرير .

تاسعاً : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الإثنين في الثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٧٩ م ، عرض فيها الدكتور محمد مهدي علام ، أمين المجمع ، ما أنجزه المؤتمرون خلال هذه الدورة ، ثم تليت اقتراحات الأعضاء وملاحظاتهم ، وبعد مناقشتها ، تمت الموافقة على التوصيات والمقررات التالية :

١ – أن تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحقّ تزويد مكتباتنا بمؤلفات عربية حديثة وافية ، وقيام الأستاذ بواجبه قياماً حقاً نحو لغته ، وتمكين الطالب من لغته

القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية ، تربطه بموكب العلم وتقدّمه .

٢ — إن توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والأفراد يعمد إلى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون . والمؤتمر يوصي بأن يترك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على أن يُنسَّق هذا في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٣ — يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بأن تعنى عناية كاملة بتيسير تعليم اللغة العربية للنشء ، مستهدية في ذلك بما قرره اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في ندوة الجزائر ، وكان موضوعها (تيسير تعليم اللغة العربية) وندوة عمّان ، وكان موضوعها (تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — يوصي المؤتمر بإعداد العاملين بالاذاعة المسموعة والمرئية ، إعداداً صوتياً ولغوياً ، لعلاج ما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على ألسنتهم ، ومن أخطاء في ضبط بعض الكلمات . فعلى وزارات الإعلام وهيئات الإذاعة المسموعة والمرئية ، أن تستعين في علاج ذلك بالأساتذة المختصين في صوتيات اللغة وقواعدها النحوية .

٥ — يأسف المؤتمر لتقديم أكثر المسرحيات والتمثيليات الإذاعية (المسموعة والمرئية) باللهجات العامية ، ويوصي في تقديم عدد أكبر من التمثيليات باستخدام لغة فصحى ، يسهل فهمها على العربي من مختلف المستويات ، وفي جميع البلاد العربية .

٦ - تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية ، وإتحاد المجامع والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم والثقافة والاعلام في الوطن العربي .

٧ - يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدّرُ للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة ، وفنون الأدب بخاصة ، ويوصي كذلك بفسح مجال أوسع لذلك الزاد الثقافي والأدبي .

ثم أعلن الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المؤتمر ، ختام الدورة الخامسة والأربعين ، متمنيا للأعضاء الوافدين عودا حميدا ، آملا لقاء الجميع في المؤتمر القادم الذي سيعقد في الأسبوع الأخير من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٨٠ إن شاء الله .

دمشق عدنان الخطيب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحقيق معنى « التصويب »

الأستاذ محمد شوقي أمين

١ – طالعنا الجزء الأول من المجلد الرابع والخمسين من مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق بمقال فياض للأستاذ « صبحي البصام » من « درم – انكلترا » يأخذ فيه على « المعجم الوسيط » الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة قوله : « صَوَّب الخطأ : صححه » .

وقصارى ما أفاض فيه الأستاذ الباحث ، ما يلي :

أ – تخطئة « المعجم الوسيط » فيما ذكره من أن تصويب الخطأ : تصحيحه ، بمعنى الإصلاح والتقويم .

ب – جريان المؤلفين على استعمال كلمة « التصحيح » أو « الإصلاح » بكثرة ، وكلمة « التصويب » بقلة ، وهذا الاستعمال الأخير خطأ في الدلالة على معنى الإصلاح .

جـ – ما سجلته المعجمات وما جرت بـه النصوص ، هو أن معنى التصويب : الحكم للشيء بأنـه صواب . فيقال : صوَّب رأيه وعزمه واعتقاده وكلامه : عدَّه صوابا .

د – لا وجود في مأثور اللغـة للتصويب بمعنى إصلاح الشيء ، وردّه إلى الصواب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـ – لا يقال : « تصويب الخطأ » إلا على معنى أن ما ظننته خطأ محكوم له بالصواب .

وفي هذا الذي استخلصه الباحث نظر :

٢ – أما أن في مسموع اللغة التصويب بمعنى الحكم للشيء بأنه صواب ، فذلك معنى لامشاحة فيـــه ، ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ هو منصوص عليه ، وفي الأسانيد الوثيقة قول العرب : صوَّب به : قال له : أصبت . وقولهــم : أصابه ، واستصابه ، واستصوبه : رآه صواباً .

ولقد تواردت النصوص في هذا توارداً لامجال فيه لمعقّب ، وما كان « المعجم الوسيط » أن يغفل هذا المعنى الذي جاء به السماع ، وقد أثبتـــه في موضعين ، فقال : « صوّب قوله أو فعله : عـدّه صواباً » . وقال : « صوَّب فلاناً : قال له : أصبت . ومنــه : إن أخطأت فخطئني ، وإن أصبت فصوّبني . » .

وأحسب أن الباحث كان في غنية بهذا عما أجهد فيه نفسه ، وأنفق وقته ، بالترصّد والتتبع لهذا الاستعمال في عبارات الكتاب والمؤلفين على اختلاف عصور العربية ، فإن هذا جهاد في غير عدوّ ، وكيف يسوق للاثبات شواهد لاحقة للأسانيد اللغوية التي هـــي مناط الاثبات ؟

وما أحسب أن الباحث يريد بتأكيد معنى صيغة من الصيغ أن ينفي بهذا دلالة الصيغة على معنى آخــــر قريب من ذلك المعنى أو بعيد ، فإن الصيغ تتعدد معانيها ، ويتنوع مقام استعمالها ، تأسيساً

على أن اللغة فيها مايتفق لفظاً ويختلف معنى ، والاشتراك اللغوي باب في العربية رحيب .

٣ - والباحث حين ينكر التصويب بمعنى الإصلاح ، والتقويم ، يضع « التصحيح » مكان التصويب لهذا المعنى ، فهل غاب عنه أن التصحيح نفسه لايقتصر معناه على الإصلاح ، بل يؤدي أيضا معنى النسبة إلى الصحة والحكم بها ؟ أولم يقع له هذا المعنى في فصيح الكلام ؟ حسبي أن أذكره بما يتردد في كتب أهل « الحديث » من قولهم : « صححه الترمذي » أو « صححه الحاكم » فهل يظن الباحث أن المقصود بهذا هو الإصلاح والتقويم : أو ليس المعنى أن الحديث معدود في الصحيح أو منسوب إلى الصحة ، أو محكوم له بها ؟ أخشى ما أخشاه أن يعمد الباحث بهذا إلى إنكار التصحيح بذلك المعنى الذي يجري في تعبير رجال الحديث ، ويصر على أن للتصحيح معنى واحداً هو الإصلاح والتقويم ، أسوة بما يصرّ عليه في شأن « التصويب » من أن له معنى واحداً هو الحكم للشيء بأنه صواب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ - وبادىء بدء ، أسوق للباحث أفعالاً من وادي « صوّب » تدل على أن « فعّل » لا يقتصر معناها على الحكم للشيء بأصل الفعل ، ولا مجرد نسبة الفعل إلى الشيء ، بل تدل كذلك على أن أصل الفعل قد انتقل إلى الشيء بممارسة وعلاج وصيرورة . فاللغة تقول : أمّره : صيّره أميراً ، وأنّقه : صيّره أنيقاً ، وأهّل فلانا : صيّره أهلا . وفي القرآن الكريم : « خلقك فسوّاك فعدّلك » وقد قرأ نافع وأهل الحجاز « عدّلك » بالتشديد ، وكانت هذه

القراءة أعجب الوجهين إلى « الفرّاء » وأجودها في العربية عنده ، والمعنى : قَوَّمك وجعلك معتدلا . فأنت ترى أن « فَعَّل » هنا للجعل والصيرورة .

ونحن نقول في عهدنا الحاضر : « حَقَّقَ الكتاب » ، ولا نعني نسبته إلى الحق ولا الحكم له به ، وإنما نعني معالجته بحيث يكون ما فيه صحيحاً . ونحن كذلك نقول حَسَّن الكاتب عبارته ، ولا نعنى أنه قضى لها بالحسن ، بل نعنى أنــه أدخل عليها ما يجعلها حسنة .

ولو مضينا في سرد الأمثـلة ، والشواهد عليها ، من مأثور اللغة ، ومن مستجاد البيان القديم والحديث ، لطال بنا نَفَس القول ، ولما عَدِمْنا من يعيب علينا قولنا السالف : إن هذا جهاد في غير عدو !

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ — وفي حسباني أن الباحث أعجله الوقت عن مراجعة ما خاض فيه فقهاء التصريف حين ساقوا معاني صيغ الزوائد ، وحين شرحوا معاني التعدية في الأفعال ، ولو أنه عُنِيَ بهذه المراجعة لاهتدى إلى صواب استخدام التفعيل لمعنى الجعل والصيرورة أو التصيير :

أ — يقول « سيبويه » في كتابه : « تقول دخل وخرج ، فإذا أخبرت أن غيرك صيّره إلى شيء من هذا قلت : أخرجه وأدخله ، وقد يجيء الشيء على : فَعَّلت ، فيشرك أفعلت » .

ب — يقول « الرضيّ » : « الغالب في « أفعل » أن يجعل الشيء ذا أصله ، نحو : أفحى قِدْره : جعلها ذات فحا ، وأجداه :

جعله ذا جدوى »، وأذهبه : جعله ذا ذهب » . ويقول : « وفَعّل للتعدية ، والأولى أن يقال : هو بمعنى جعل الشيء ذا أصله ، نحو : فحّى القِدْر » ويقول : « الأغلب ألاّ تنحصر الزيادة في معنى ، كالهمزة في « أفعل » ، تفيد النقل والتعريض وصيرورة الشيء ذا كذا . وكذا فَعّل » . أي بالتضعيف .

ج - يقول « الرضي » : « معنى التعدية في هـذا الباب - يعني باب « فَعّل » المضعف - كما هو في باب أفعل » . ويقول : « المعنى الغالب في أفعل »: التعدية ، وهي جعل ما كان فاعلاً للازم مفعولاً لمعنى الجعل ، بمعنى : أذهبت زيداً : جعلت زيدا ذاهباً ، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة » .

وأقول : يستبين لك من هذا أن التعدية لمعنى الجَعْل هي في باب « فَعّل » المضعّف ، كما هي في باب « أفعل » المعدّى بالهمز ، سواء بسواء .

وفيما أوردناه من النصوص الصرفية غنية عن التكرار ، فليست هذه النصوص من قبيل الآراء التي يستقل بها أصحابها ، ووراءها ما يعارضها ، وإنما هي إجمال لما يتردد في أمهات كتب التصريف ، منسوباً إلى أئمة الفقه اللغوي .

٦ - لعل الباحث - أو لعل القارىء - يسأل : هل التصويب بمعنى جعل الشيء صواباً بالمعالجة والتغيير والإصلاح ، مصدر من الصواب أصلاً ، أو هو تحميله هذا المعنى ، مع أنه مسموع متواتر في المعنى الآخر ، وهو الحكم للشيء بأنه صواب ؟

أما على الوجه الأول ، فلا بأس به . وقد قرر علماء التصريف أن أبواب الزيادة تجيء بكثرة مما جاء منه فعل ثلاثي ، وتجيء بقلة مما لم يأت منه ذلك ، وهم يضربون لهذا القليل أمثالاً ، ويعقّبون بأن قلّتها إنما هي قلة نسبية ، لا قلة عددية .

وأما على الوجه الآخر ، فقد أسلفنا قول العرب : صَوَّبه ، لمعنى الحكم له بالصواب . ومُفَادُ ذلك أن صيغة الفعل مضعّفة متعدية حاصلة في الكثف ، واستخدامها لمعنى الجعل والصيرورة مساير لمعنى التعدية ، كما فسّرها فقهاء التصريف .

٧ ـ بقي أن أقول إن دلالة « النسبة » التي يرجع إليها قول العرب : « صوَّب رأيه : أي رآه صواباً » أو عدّه صواباً ، أي نسبه إلى الصواب ، صالحة أيضاً في توجيه قولنا : صَوَّبت الكلمة الخطأ ، لمعنى : أصلحتها ورَدَدْتها إلى الصواب ، وبذلك تنتسب إلى الصواب بالمعالجة والإصلاح .

ويؤازر هذا التوجيه أن « ابن الحاجب » قال في تعليل : « فسّقته » إنه يرجع في معناه إلى التعدية ، أي جعلته فاسقاً ، بأن نسبته إلى الفسق » .

٨ ـ وأخيراً ، أرجو أن يكون الباحث قد رضي عن « تصويب » ماذهب إليه في إنكار التصويب لمعنى الإصلاح والتقويم .

محمد شوقي أمين
عضو مجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قطعة من تاريخ أصبهان

بين يدي وريقات من كتاب في تاريخ الرجال، تتداخل بدايتها مع كتاب آخر وكذلك نهايتها عدتها قرابة ثماني ورقات في المخطوط ذي الرقم ٢٣٣ / حديث - في مكتبتنا الظاهرية، تبدأ في الورقة ٢٢٨ وتنتهي في الورقة ٢٣٧.

يقول الشيخ ناصر الدين الألباني في المنتخب (ص ١١٩) إن هذه الورقات من تاريخ أصبهان ليحيى بن أبي عمرو عبد الوهاب ابن محمد بن إسحاق بن منده (ت ٥١١)، ويذكر أن الذي ساعده على معرفة اسم الكتاب ترجمة « الكَنْدَلاني » التي نقلها السمعاني عنه في الأنساب.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأضيف إلى ما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني تعقيباً وتوضيحاً :

أ - قال السمعاني في الأنساب : (الكَنْدَلاني - بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وفي آخرها النون - هذه النسبة إلى كندلان من قرى أصبهان ذكره أبو زكريا يحيى بن أبي عمرو بن منده الحافظ في كتاب أصفهان فقال : أبو طالب الكندلاني، حدث عن أبي بكر بن أبي علي وأبي عبد الله الجمال وغلام محسن وأبي علي الصيدلاني . وروى عن أبي بكر بن مردويه ولم يسمع منه، ولم يكن الحديث والرواية من صنعته ؛ إن أخطأ لا يعلم، لا يعتمد على روايته إلا ما كتب عنه أهل الرواية والمعرفة . ومات في التاسع عشر من المحرم سنة ٤٩٣) .

وفي الورقة ٢٣١ من الكتاب الذي نفترض أنه من تاريخ أصبهان :
(أبو طالب الكندلاني روى عن أبي بكر بن مردويه ولم يسمع منه ، وسمعت أنه روى عن شيوخ لم يسمع منهم إلا أن الحديث والرواية لم تكن من صنعته ، إن أخطأ لم يعلم ، لا يعتمد على روايته إلا ما كتب عنه أهل الرواية والمعرفة والعلم ، مات في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة في تاسع عشر من محرم ، وحدث عن أبي بكر ابن أبي علي وأبي عبد الله الجمال وغلام محسن وأبي علي الصيدلاني وغيرهم)

لا نشك إذا أن السمعاني أخذ من تاريخ أصبهان ولكنه قدم في العبارات وأخر وكأنه أعاد تنظيمها على النحو الذي يروق له كما يفعل ابن عساكر في النصوص التي ينقلها من الكتب أحياناً .

ولكن هذا التطابق بين النصين وحده لا يسمح لنا بأن نقول ونحن مطمئنون بأن هذه القطعة التي بين أيدينا هي من تاريخ أصبهان ، وما زلنا بحاجة إلى أدلة شبه قاطعة تثبت نسبة الكتاب ليحيى بن منده .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لنستنطق أولاً المصادر بغية التعرف على هذا الرجل والوصول إلى أسماء الكتب التي ألفها . وخير من يحدثنا عن ابن منده تلميذه السمعاني في مشيخته [١] وما اقتبسه عنه الذهبي في العبر [٢] ؛ إنه أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ محمد بن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني الحافظ ، قال السمعاني : جليل القدر ، وافر الفضل واسع الرواية ، حافظ ثقة ، فاضل مكثر صدوق كثير التصانيف ، صنف تاريخ أصبهان) . ويسرد السمعاني أسماء مسموعاته

(١) انظر مشيخة السمعاني ٢/٣٧٨ ٢) انظر العبر الذهبي ٤/٢٥

من الكتب التي أجازه بروايتها فيستغرق هذا السرد أكثر من صفحة . لم يسمع منه السمعاني ولكنه كتب إليه إجازة بجميع مسموعاته ، وكذلك كتب إجازة لأبي القاسم بن عساكر ولم يحصل له منه سماع وحدثه عنه أبو بكر اللفتواني بكتاب تاريخ المصريين لأبي سعيد بن يونس [١] . وهو من بيت علم ورواية وسيلقي بعض رجال هذا البيت ضوءاً على صحة نسبة هذه الوريقات إليه .

ذكرت له المصادر إذاً كتاباً باسم (تاريخ أصبهان) فهل ستساعدنا هذه القطعة التي نفترض أنها منه على معرفة مؤلفها .

في الورقة ٢٣١ ، وفي ترجمة أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن داود المعروف بالخياط يقول المؤلف : (... ويلازم مجالس الإمام أبي القاسم عمي رحمه الله . وسمع من أبي بكر الأعرج بافادة عمي الإمام ... توفي سنة ٤٧٨) وأبو القاسم هذا هو عبد الرحمن بن محمد ابن اسحاق بن منده (ت ٤٧٠) عم أبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب من محمد بن اسحاق بن منده .

ويبدأ اليقين يتسرب إلى نفوسنا ليحل محل الشك في صحة نسبة هذه القطعة من الكتاب إليه حين نلمس من طبيعة أخبار المترجمين ما يوحي لنا بهوية المؤلف ؛ فقد حدد سنوات وفياتهم وذكر لقاءات تمت بينه وبينهم . يقول في الورقة ٢٣٠ في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبي العباس : (سمع من أبي بكر بن ريذَة ، ومن بعده كان يختلف معنا إلى أن مات ...) ، فهو معاصر له وسمع من أبي

---

(١) انظر تاريخ دمشق المطبوع (عاصم - عايذ) ص ٣٩ ، ١٤٨

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

بكر بن ريذة ، وأبو بكر هذا شيخ يحيى بن منده ذكر ذلك السمعاني والذهبي .

ويقول أيضاً في ترجمة أحمد بن محمد بن الحسين الحبال : (سمع من أبي بكر بن ريذة ... من أصدقائنا مات سنة ٤٩٩ .

كذلك لا شك لدينا أن الكتاب تاريخ لرجال عاشوا في أصبهان أو وفدوا إليها ؛ فهو لا ينسى أن يذكر في ترجمة كل منهم عبارات تحدد مسكنهم في هذه المدينة . يقول في ترجمة أبي منصور المزني ق ٢٢٩ : (مسكنه في درب بحرستان قرب جامع الضيق) ، ويقول في ترجمة ابن شرويه الفقيه ق ٢٣٠ : (سكن درب الجصاصين في سكة الخلالين) ، وفي ترجمة أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله المهندس : (سكن سكة الجوز) وفي ترجمة الذي يليه : (سكن باب النصر في سكة هبالإباد ...) وهكذا ... هذا إذا كان المترجمون من أهل أصبهان أما إذا كانوا من الواردين عليها فإنه يقول : (قدم أصبهان [1]) ، أو (قدم علينا أصبهان [2]) ويذكر سبب قدومه أحياناً ، وإذا لم يذكر شيئاً عن مسكنه أو قدومه ، نعرف من طبيعة الأخبار ومن روايته أنه من هذه المدينة .

نستطيع أن نقول الآن وبشيء من الثقة إن هذه الوريقات من كتاب يؤرخ لعلماء أصبهان وإن مؤلفه أبو زكريا بن منده الرجل الذي امتدت حياته (من ٤٤٣ – ٥٥١) لقد عرفناه من شيوخه وأقرانه ومعاصريه ، وأي كتاب سيكون هذا الكتاب غير تاريخ أصبهان الذي ذكرته له المصادر ؟

---

(١) انظر و ٢٣٢ أ ، ٢٣٢ ب (٢) انظر و ٢٣٣